
مجلة المجمع العلمي
مجلة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ - ١٩٥٠م - الجزء الاول - المجلد الرابع والاربعون





مجلة المجمع العلمي

الجزء الاول ــ المجلد الرابع والاربعون
بغـــداد
١٤١٧هـ ــ ١٩٩٧م

شروط وضوابط النشر

١ ـ تنشر المجلة البحوث العلمية ذات السمة الفكرية والشمولية وبما يسهم في تحقيق اهداف المجمع .

٢ ـ لغة المجلة هي اللغة العربية ويراعي الباحثون والكتاب في صياغتهم الوضوح وسلامة اللغة .

٣ ـ يشترط في البحث ان لايكون قد نشر او قدم للنشر في مجلة اخرى .

٤ ـ تعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة على محكمين من ذوي الاختصاص لبيان مدى اصالتها وجودتها وقيمة نتائجها وسلامة لغتها وصلاحيتها للنشر .

٥ ـ هيئة تحرير المجلة غير ملزمة برد البحوث الى اصحابها في حالة عدم قبولها للنشر .

٦ ـ يرسل البحث الى المجلة بالمواصفات التالية : ـ

أ ـ ان يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة او مكتوباً باليد بخط واضح وجيد وعلى وجه واحد من الورقة .

ب ـ ترسل نسخة واحدة من البحث تحمل اسم الكاتب وعنوانه كاملا باللغة العربية .

جـ ـ يجب ان لاتزيد عدد الصفحات عن (٣٠) ثلاثين صفحة وبما لايتجاوز (٧٥٠٠) سبعة الاف وخمسمائة كلمة .

د ـ ان يكون مستوفيا للمصادر والمراجع ، موثقة توثيقا تاما حسب الاصول المعتمدة في التوثيق العلمي .

هـ ـ يرفق بالبحث ما يلزمه من اشكال او صور او رسوم او خرائط او بيانات توضيحية اخرى ، على ان يوضح على كل ورقة مكانها من البحث ويشار الى المصدر اذا كانت مقتبسة .

و ـ ان تستخدم في البحث المصطلحات المقرة عربيا .

٧ ـ يعطي صاحب البحث ـ عند نشره ـ ثلاث نسخ من المجلة مع عشر مستلات من بحثه .

٨ ـ المواد المنشورة تعبر عن راي كاتبها .

مجلـة المجمـع العلمـي

مجلـة فصلية انشئت سنة ١٣٦٩هـ / ١٩٥٠م

ـ توجـه البحوث والمراسلات الى : رئيـس تحريـر مجلـة المجمـع العلمـي المجمـع العلمـي ـ ص . ب . (٤٠٢٣) بغـداد ـ جمهوريـة العـراق
هاتـف : « ٤٢٢١٧٢٣ ـ ٤٢٢٢٠٦٦ » فاكس : (٩٦٤ ـ ١) ٤٢٥٤٥٢٣

ـ الاشتراكات : داخـل العـراق (٤٠٠) دينـار سنويـا .
خـارج العـراق (٥٠) دولار امريكي سنويا وتضاف أجـرة البريـد .

الفهرس

الموضوع	الصفحة

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الافتتاح

يصدر هذا الجزء من مجلة المجمع العلمي خلال الفصل الاول من عام ١٩٩٧ حيث يستذكر العراقيون والعرب والشرفاء في العالم العدوان الثلاثيني على شعب العراق في المنازلة الكبرى : أم المعارك ، المنازلة بين قوى الخير وقوى الشر بما لديها من امكانات تقنية ومادية وبشرية • الا ان خواص الصراع وسماته واحدة فالمعيار القيمي هو ما يحكم الصراع المعبر عن جوهر القوة والضعف للقوى المتصارعة بمقياس انساني وحضاري •

لقد تصدر الجزء الثاني من المجلد الثالث والاربعين موضوع حماية البيئة لما يشهده هذا القطاع الحيوي من أهمية متميزة واستمر هذا الجزء فشمل بحثاً عن التلوث يوثق بالاحصاءات ما أحدثه العدوان من مضار للبيئة وبحثا يعالج ما أهتم به سلفنا الصالح من عناية بالبيئة ، وفي آخر نرى التلوث ضمن منظور اقتصادي ونفسي إذ عمد المعتدون الى خلق نوع من التلوث المعنوي الذي يسبب آثاراً نفسية تهيء للاختراق السياسي ، مما يتطلب العمل لتجاوز المعوقات ومجابهة التحدي بالاستزادة من العلم والمعرفة والتقنيات المتقدمة كما عالجه أحد البحوث ، ولا يكتمل الحديث عن الحاضر والمستقبل وما كان في الماضي من دون وسيلة اتصال سليمة وواضحة شكلاً ومضموناً ، واللغة هي العمود الذي يبنى عليه الاتصال ، لهذا فاللغة السليمة أساس

ضروري لضمان الترابط وتأمين التفاهم وتأمين وحدة الثقافة ، والتعريب الذي يعالجه أحد بحوث العدد يقربنا من مجريات العصر بلغة سليمة سندها خزين لغوي تزخر به لغة الضـــاد ويؤدي التقديم والتأخـير في اللغــة دوراً في دقة ايصال ما يريد المصدر ايصاله الى المتلقي ليشد من وشيجة الفهم المشترك فتكتمل الدقة وسلامة اللغة وجماليتها .

وبعد : فهذا الجزء من مجلة المجمع العلمي هو محاولة للسير في رحلــة شاملة ومتنوعة تربط الماضي بالحاضر وتؤشر بعض متطلبات المستقبل .

والله ولي التوفيق وبه المستعان .

الاستاذ الدكتور ناجح محمد خليل الراوي
رئيس التحرير
رئيس المجمــع العلمي

قـــراءة النص الشعري

الدكتــور احمــد مطلــوب
عضو المجمع العلمي
وأمينــه العــام

(١)

القراءة بالمفهوم الادبي المعاصر فك رموز الخبر المكتــوب وتأويل نص أدبي ما ، والقراءة الجمعية تأويــلات متعددة لنص عبــر مستويات مجازية في الغالب[١] .

وعرفها وليم راي بقوله : « انها دمج وعينا بمجرى النص » ، وقال « إن معنى أي نص أقوم بقراءته إنما هو في الحقيقــة المعنى الذي أقصــده لذلك النص » ، والقراءة بعد ذلك هي إعادة تركيب مستمرة لتجارب القراء[٢]، وأكد أن القراءات لاتتطابق ، وأن لكل قــارىء فهمه للنص ، قال : « لايمكن القول أن قراءتين من القراءات متطابقتان تمامــا وكذلك لايمكن لأي ناقد أن يزعم أنه قد ألمّ إلماما مطلقا بالمعنى الذي أراده المؤلف[٣]» . ولذلك تتعدد القراءات فيحمل البيت الشعري « لألف قارىء من قرائه ألف معنى ، أي أنه بيت بلا معنى محدد والقارىء ــ فقط ــ هو الذي يفسره حسبما تمليه عليه نفسه »[٤] .

وقد تتعدد قراءة القارىء الواحد باختلاف الهدف والمنهج وتفاوت زمن القراءات .

---

١ ــ معجم المصطلحات الادبية المعاصرة ص ١٧٥ .
٢ ــ المعنى الادبي من الظاهراتية الى التفكيكية ص ١٧ ، ١٨ ٦١ .
٣ ــ نفسه ص١٠ ، وينظر البنيوية في الادب ص١٦٢ .
٤ ــ الخطيئة والتكفير ص٢٦٩ .

وعرض تودورف لثلاثة أنواع من القـراءة هي : الاسقاط ، والتعليق ، والشعرية .

١ ـ الاسقاط : « طريقة في القراءة عبر النصوص الأدبيـة باتجاه المؤلف أو المجتمع أو شيء آخر يهمّ الناقد » .

٢ ـ التعليـق : « مكمل للاسقاط ، فكمـا يسعى الاسقاط الى التحرك عبر وخلف النص يسعى التعليق الى البقاء داخـل النص . والشكل الأشدّ شيوعا هو ماندعوه تفسيراً أو قراءة دقيقة . إن الحـدّ الاقصى للتعليق هو اعـادة الصياغـة ، والحدّ الاقصى لاعـادة الصياغة ، هـو تكرر النص نفسه » .

٣ ـ المقاربة الثالثة للأدب هي : « الشعرية التي تبحث في المبادىء العامة التي تتجلى في الأعمـال الخاصـة . والشعرية يجب أن لاتختلط بالرغبة في رؤية الاعمال الخاصة أمثلة محضة للقانون العام . إن الدراسة الشعرية لأي عمل خاص لابدّ أنْ تقـود الى نتائج تكمـل أو تعدل الفرضيات الأدبية للدراسـة . أما السعي الى العثور على الانماط النموذجية أو أي نمـوذج بنيـوي موطـد ، فانـه ليس ممارسـة للشعرية بل تقليـد مضحك لها[٥] » .

والقـراءة لاتكون بريئة ، وذهب الى ذلك ممثلو البنيوية وقالـوا بعدم « وجود قراءة بريئة لأي نص من النصوص فالقراءة نفسها ــ فيما يفترضون ــ عملية إنتاج تؤكد فاعلية الانساق التي يحتويها القارىء ــ أو تحتويه ــ في إدراك النسق الذي ينطوي عليه النص»[٦] .

---

٥ ـ البنيوية في الأدب ص١٦٣ ، وينظر الخطيئة والتكفير ص٧٥ ، ١٣٠ . بنية الخطاب النقدي ص ٧٣ ، جمرة النص الشعري ص ٢١٨ ، ٢٢٢، ومعايير تحليـل الاسلوب ص ٧ــ٩ ، ٤١ ٤٣ ، ٤٥ لمعرفة القـارىء المثالي .

٦ ـ عصر البنيوية ص ٦ ، ٥١ .

ويؤدي تعدد القراءات الى استكشاف المعاني الكثيرة التي يضمها النص الشعري ؛ لان العمل الادبي ـ مهما كان مستواه الفني ـ حَمّال أجه ، أي أنه يحمل عدداً من المعاني ، ويتحمل قَدْراً لاحدّ له من الشروح والتفسيرات.

وهناك القراءة السيميائية ـ السيميولوجية ـ للنص وهي « تقوم على إطلاق الاشارات كدوالّ حرة لاتقيدها حدود المعاني المعجمية ويصير للنص فعالية قرائية إبداعية تعتمد على الطاقة التخييلية للاشارة في تلافي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقي ، ويصير القارىء المدرب هو صانع النص . ولذلك شرطان يقترحهما شولزهما :

١ ـ لكي نقرأ النص لابد أن نعرف تقاليده الجنسية ، أي سياقه الفني داخل الجنس الأدبي الذي ينتمي اليه النص .

٢ ـ لابد أَنْ يكون لدينا مهارات ثقافية تمكننا من جلب العناصر الغائبة[٧].

وذكر الدكتور عبدالله الغذامي أن هذه القراءة تأخذ بملاحقة الاشارات النصوصية بعد رصدها ومسايرة علاقات السياق داخلها من أجل « تحرير النص من قيوده المفروضة عليه »[٨].

ولا يعني تعدد القراءات أن النص يختلف أو يفقد جوهره ؛ لأنه « عالم جوهري يحمل كل خصائص الجوهر لما فيه من شرعية وآنية وأصالة وخلود . لايختلف من زمن لزمن ولا من مكان لمكان ولا من شخص لآخر ، وإنما الذي يختلف هو الدراسة التي تقوم حوله ثم الاشخاص الذين يتناولونه»[٩].

---

٧ ـ الخطيئة والتكفير ٤٩ . وينظر نظرية البنائية في النقد الادبي ص٣٤٥ ، جمرة النص الشعري ص ٤٧٣ .

٨ ـ تشريح النص ص١٣٥ ، وللدكتور صلاح فضل كتاب « شفرات النص » وهو بحوث سيميولوجية .

٩ ـ النص الآدبي من اين ؟ ص ٥٣ . وينظر معايير تحليل الاسلوب ص ٩.

ومن أمثلة تعدد القراءات قراءة ابن قتيبة وابن جني وعبدالقاهر الجرجاني للأبيات[١٠] :

ولما قضينا من منى كل حاجة ... ومسّح بالاركان من هو ماسح
وشدّت على دهم المهارى رحالنا ... ولم ينظر الغادي الذي هو رائح
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا ... وسالت بأعناق المطي الاباطح

وقراءة الجرجاني والدكتور كمال أبو ديب والدكتور فايز الداية لبيت النابغة الذبياني :[١١]

فانك كالليل الذي هو مدركي ... وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

وقراءة الجرجاني والدكتور كمال أبو ديب والدكتور فايز الداية لبيتي ابن المعتز[١٢] :

قد انقضت دولة الصيام وقد ... بشّر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره ... يفتح فاه لأكل عنقود

فقد ذهب هؤلاء في قراءتهم كلّ مذهب، ونظروا الى النص من خلال فهمهم وإدراكهم له ، فابن قتيبة وابن جني نظرا اليه نظرة شكلية ، وحلّله عبدالقاهر تحليلا أسلوبيا ، وفسّره أبو ديب في ضوء النقد الحديث ، وفسّره الداية تفسيراً بلاغياً ، ولكن النص لم يتغير ، إذ بقي جوهره ثابتا على الرغم من تعدد القراءات التي لن تنتهي مادام هناك قراء يختلفون في الثقافة ، والموقف ، ومناهج التحليل .

١٠- ينظر الشعر والشعراء ج ١ ص ٦٦ ، الخصائص ج١ ص ٢١٧ ، اسرار البلاغة ص ٢٢ .

١١- ينظر أسرار البلاغة ص ٢٧ ، ١٢٧ ، ٢٢٥ ، ٢٢٨ ، ٣٢٠ ، جدلية الخفاء والتجلي ص ٣٧ ، جماليات الأسلوب ص ٩٩ - ١٠٠ .

١٢ - ينظر اسرار البلاغة ص٨١ ، جدلية الخفاء والتجلي ص٢٣ ، جماليات الأسلوب ص ٩٧ . وللاطلاع على قراءات مختلفة للنصوص ينظر التركيب اللغوي ص ١٢٨ ، بحوث لغوية ص ٥٥ .

ولابدَّ من الاشارة الى أن « أي تخطيط علمي لعملية القراءة لاينبغي أن يحولها الى عملية آلية ، فالكتابة والقراءة طرفـان في عملية توصيل واحدة . وهذه العمليـة لابـدَّ لها من اسـاس مشترك بين الطرفـين ، ومن ثَمَّ يحس القارىء من أول قراءة بقدرة التوصيل ومداه . ولابدّ أن تلقيه القطعة الأدبية في نـوع من القلق راجـع الى أن جهازه اللغـوي مطالب بأنْ يتكيف طبقا للشروط الخاصة بالقطعة الادبية[13] » .

ولا تدخل كلُّ قراءة في مجـال النقد الادبي ، وقد فَرَّقَ رولان بارت بين الناقد والقارىء ، قال : « إنَّ الناقد لايمكن أنْ يكون بديلا للقارىء في شيء ، فليس من المجدي أن يسمح لنفسه أو يطلب منـه البعض إعطاء صوت مهما يكن محترما لقـراءة الآخرين ولا يكون هو ذاتـه ، قارىء أنابه آخرون للتعبير عن مشاعرهـم الخاصـة بدعوى معرفتـه أو قدرتـه على إصـدار الأحكام[14] » وقال : « أما الانتقال من القراءة الى النقد فمعناه تغيير الشهوة بحيث لا نعود نشتهي الأثر الادبي وإنما لغتنا الخاصة[15] » .

فقراءة النص نوعان : ــ

الاول : قراءة التذوق والمتعة كتذوق الفنون المختلفة والتمتع بها من غير دراسة وتحليل ، وهذه هي القراءة الغالبة ، إذ معظم قـراء الادب وعشاق الفن ينحون هذا المنحى في الاستمتاع الفني وإن سعت بعض القراءات الى الفائدة العلمية واكتساب المعرفة والمهارة من غير أن يدخل القـراء في البحث وإصدار الاحكام ، وفي هذا النوع من القراءة «يبقى القراء على هامش مايقرأون»[16] .

١٣ــ مدخل الى علم الاسلوب ص ٤٦ .

١٤ــ النقد والحقيقة ص ٨٢ ، ٨٣ .

١٥ــ نفسه ص ٨٦ ، وتنظر مقدمة لذة النص ص ٦ .

١٦ــ في معرفة النص ص ٥ ، وينظر التركيب اللغوي للوقوف على القـراءة الناقدة ص ١٣٦ ، ونظرية الادب ص ١٨٦ .

الآخـر : القراءة النقدية ، وهي القراءة التي تدخل في مجال الدراسات الادبية ، وتحتاج الى ذوق رفيع وثقافة واسعة وإدراك عميق للنص وما فيه من شحنات تبعث اللذة أو النشـوة والهزة في نفسى المتلقي ، وهـذه القراءة هي التي تصير نقداً ، أي « لايبقى القراء على هامش مايقـرأون » بل يكـون لهم حضور في ثقافة المجتمع الذي يعيشون فيه •

وهذه هي قراءة النقاد منذ القديم ، وهي التي تركت تراثا نقديا ضَخْماً تعتزّ به الانسانية ويفخر به المثقفون • ولم يكن العرب بمنأى عن هذا النوع من القراءة فقد بدأت عندهم القراءة الذوقيـة والتأثرية ، ثم أخـذت تكتسب طابعا تحليليا وتعليليا في عهد ازدهار النقد العربي في القـرون الهجرية الاولى وظهور النقد المنهجي على يد كبار النقاد العرب كالآمدي ، والقاضي الجرجاني، وعبد القاهر الجرجاني الذين أرسوا أصول النقد العربي القديم •

وكان النص الشعري مدار قراءة البلاغيين والنقاد ، إذ اتخذوا من البيت الواحد ــ في الأعم الغالب ــ شاهدا وقفوا عنده ، فأوضحوا ألفاظه ، وبيّنوا تراكيبه ، وحلّلوا أسلوبه ، وأعطوا حكما يتصل بحسنه وجودته ، أو رداءته وتهافته • وكانوا ينطلقون من النص ولا يتعرضون لما حوله كشخصية الشاعر وسلوكه وثقافته وجنسه وعصره وبيئته ، لأنّ الهـدف الذي سَعَوا اليه هو الجودة أو الرداءة ، أما مـاوراء ذلك فلم يكن عندهـم مهما ، وإن كانت لهم إشارات الى البيئة والثقافة والعصر[١٧]، ولكنها لم توجه النقد وترسم معالمه • ولعل عبارة القاضي الجرجاني توضح ذلك خير توضيح وتلقي ظـلالا على فهم القدماء للنص الشعري يقول : « فلو كانت الديانة عيـاراً على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سبباً لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهـم بذلك أهل الجاهلية ومَنْ تشهد الامة عليه بالكفر ، ولوجبَ أن يكون كعب بن زهـير وابن الزِبَعْرى

---

١٧ ــ ينظر الوساطة بين المتنبي وخصومه ص١٥ .

وأضرابهما ممن تناول رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعاب من أصحابه بُكْماً خرسا وبِكاءً مُفْحَمين ، ولكنّ الأمرين متباينان والدين بمعزل عن الشعر[18]» •

وكان للبلاغيين والنقاد القدامى حس لغوي رفيع وثقافة واسعة ومعرفة بالكلام فأحسنوا في نقدهم ، وإن كانوا قد وقفوا عند البيت الواحد ولم يتجاوزوه الى القطعة أو القصيدة إلاّ قليلا ، ولعل أبا بكر الباقلاني من أشهر الذين نظروا في النص الكامل حينما حلّل معلقة امرىء القيس وقصيدة البحتري اللاّمية[19] •

وكان عبدالقاهر الجرجاني من أكثر البلاغيين والنقاد اهتماما بالنص ، فقد وقف عنده طويلا ، مفسرا وموضحا ، ومحللا ، ومعللا ، وكان يومىء الى مافيه من روعة وجمال إن وَجَد في نفسه هزة ، ويدعو المتلقي الى أن يشاركه الاعجاب فيطرَب كما طَرِب ، ويهتز كما اهتز ، ويرى أن النص ليس واحداً، وأن لكل نص مزية لاتوجد في غيره • ،

والنص عنده هو البيت ــ في الأعم الغالب ــ ومعظم نصوصه شواهد متفرقة ، وإنْ كان يرى أنّ من الحسن مالا يتم إلاّ بالنص كله ، وربما لايتم معنى البيت إلا بما بعده . وقد يؤدي اقتطاع البيت من القصيدة الى الاغتراب وفقدان قيمته • والقراءات المتعددة للنص أو إعادة النظر فيه تفتح مغاليقه وتوضح مقاصده ولذلك تجب قراءة النص أكثر من مرة وإجالة الفكر والتأمل فيه • ولا يُعطي النص المغلق دلالته مالم يبذل الناقد جهداً كبيرا ، ويتأمل فيه تأملا عظيما ، ويغوص الى أعماقه ليكشف أصيله من زائفه ، وجيده من رديئه •

١٨ــ الوساطة ص ٦٤ .

١٩ــ ينظر اعجاز القرآن ص ٢٤١ .

وقراءته للنص تنطلق من منهجه المتصف بصفتين هما :

الاولى : التحليل اللغوي القائم على نظرية النظم التي آمن بها وألَحّ عليها في كتابه « دلائل الاعجاز » الحاحا عظيما وجادل من أجلها جدالا كبيرا • وهذا ما أطلق عليه الدكتور محمد مندور « المنهج الفقهي » أو المنهج اللغوي وقال : « منهج عبدالقاهر يستند الى نظرية في اللغة أرى فيها ويرى معي كل من يمعن النظر أنها تماشي ماوصل اليه علم اللسان الحديث من آراء»(٢٠) •

الأخرى : الذوق والاحساس الروحاني ، لانه لابدّ لكل قارىء أو ناقد من ذوق رفيع يؤهله لفهم النص وإدراك مافيه من معانٍ وصور وجمال ، وليس كل من عرف شيئا في اللغة والنحو والادب بقادرٍ على تحليل النص وسَبْرِ أغواره ، وكم من عالم لايدرك مافي الكلام من هزة ونشوة ــ ولاينفع معه التنبيه إن نبه ولا التفسير إن شرح النص وأشير الى محاسنه ــ إذا فقد الذوق والاحساس الروحاني(٢١) •

هذه ملامح قراءة النص ونقده في التراث البلاغي النقدي العربي ويتضح منها عدة حقائق :

الاولى : أن القدماء اهتموا بالنص لا بما حوله •

الثانية : أن نقدهم كان لغويا فهو كالنقد البنيوي أو الأسلوبي •

الثالثة : أن النص الشعري والنص النثري كانا واحدا في قراءتهما ونقدهما ، ويتضح ذلك في كتب البلاغة والنقد وإعجاز القرآن الكريم ، اذ لم يفرد القدماء لكل من الفنين قواعد وأصولا ، وإن ذكروا صناعتي الشعر والنثر •

(٢)

كان النقاد العرب القدامى يهتمون بالنص وما فيه من روعة وجمال وتأثير، ويُعْنَوْن بتحليله أسلوبيا فيدرسون الفاظه ودلالاتها ، غير ملتفتين الى صاحبه

٢٠ــ في الميزان الجديد ص ١٤٧ ، وينظر النقد المنهجي عند العرب ص ٣٢٦ .

٢١ــ لمعرفة التفاصيل ينظر عبد القاهر ونقد النص الشعري ص ٥٥ــ١٠٠.

وثقافته وعقيدته ـ في الأعم الغالب ـ وظل هذا المنهج متبعا فـي كتب النقد والبلاغة حتى مطلـع القـرن العشرين إذ عـاد بعض الدارسـين الى التراث يستلهمونه ، وبدأت النزعة التأثرية والعناية بمعاني الالفاظ وشرح المعاني تطغى عليهم ، ويتضح ذلك في معظم كتب النقد أو الدراسات الادبية التي ظهرت في مطلع القرن العشرين ولكنْ بدأت بعد ذلك تدخل مناهج جديدة الى الدرس النقدي تأثـراً بالتيـارات الغربيـة ، وأخذ النقـاد يتجهون اليهـا ويولونها اهتماما كبيرا .

وتعددت القراءات بتعدد المناهج النقدية ، إذ عرف العرب في هذا القرن كثيراً مما شاع في الغرب ، وظهـرت أنواع من النقـد لم يَعْرِفْ معظمَها النقـدُ العربيُّ القديـم ، ومن تلك المناهج التأثـري أو الذاتي ، واللغوي ، والبلاغي ، والبيانـي ، والجمالـي ، والاتباعـي ، والتفسيري ، والوصفي ، والتحليلي والشيء أو الموضوعي ، والعلمي ، والتأريخي ، والنفسي ، والنوعي، والاعتقادي أو الاجتماعي أو الماركسي أو الواقعي ، والاخلاقي ، والموضوعي ، والظاهري . والأسطوري ، والرمـزي ، والوجودي ، والقومـي ، والقومي الوجودي ، والشكلاني[٢٢].

ولخص رينيه ويلك الاتجاهات الرئيسة في نقد القرن العشريـن في ستة اتجاهات هي : النقد الماركسي . والنقد النفسي ، والنقد اللغـوي الأسلوبي ، والشكلية العضوية الجديدة ، والنقد الاسطوري ، والنقد الوجودي[٢٣].

٢٢ـ تنظر هذه المناهـج في كتب النقـد وتأريخـه (الموضـوعة والمترجمـة) المذكورة في مصادر هذا البحث . وقد وضعت ارقـام الصفحات التي فيها المناهج .

٢٣ـ ينظر مفاهيم نقدية ص ٤٦٦ ، اتجاهات النقد الرئيسية في القـرن العشرين ص ٢٣٣ . بنية الخطاب النقدي ص ٨ ، مقدمة في اصول الخطاب النقدي الجديد ص ٥ .

وذكر الدكتور عزالدين المناصرة ستة وعشرين منهجا ، ثم قال : « ليس اختيار المنهج أو المباهاة باختيار آخر أو اقتناص أحدث المناهج هو المسألة المركزية أمام النقد الأدبي العربي الحديث ، فالمناهج «مرمية على الطريق العام» لكنّ المسألة المركزية تتمحور حول السؤال الجوهري كيف نستخدم هذا المنهج ؟ هل تَمّ هضم دلالات المنهج ؟ هل تم تطبيق المنهج بحرفية أم أعاد الناقد قراءته ليتناسب مع النص ؟ هل تتطابق مستويات التناول للنص العربي تطابقا حرفيا مع المنهج والاجراءات أو العكس ؟ وهل حصلنا على نتائج أفضل؟ نحن في مرحلة (تبييء) المنهج مع ظروف النص الداخلية ، ونحن في مرحلة قراءة النصوص أمام مسؤولية القراءة الصحيحة نسبيا . إنالنقد العربي الحديث يقف الآن أمام مسؤولية أنْ يصبح نقداً عربيا حديثا بالفعل »[٢٤].

وهذه المناهج دخلت مجال النقد وتأثرت بها قراءة النص الشعري ، ولذلك ذهب النقاد مذاهب شتى في العرض والتحليل ، وشاع الى حين المنهج التكاملي ، وهو مما عرفه الغربيون وكان ستانلي هايمن قد سأل : هل يمكن ايجاد مذهب نقدي متكامل ؟ وأجاب : « لو كان في مقدورنا ــ وهذا مجرد افتراض ــ أن نصنع ناقدا حديثا مثاليا لما كانت طريقته إلا تركيباً لكل الطرق والأساليب العلمية التي استغلها رفاقه الاحياء ، وإذن لاستعار من جميع تلك الوسائل المتضاربة المتنافسة وركب منها خلقا سويا لاتشويه فيه ، فوازن التقصير في جانب بالمغالاة في آخر ، وحدّ من الاغراق بمثله حتى يتم التعادل واستبقى العناصر الملائمة لتحقيق غاياته[٢٥] ». واختار سيد قطب المنهج التكاملي الذي يجمع بين المنهج الفني والمنهج التأريخي والمنهج النفسي ، وهو منهج يتضح في كثير من الاعمال الادبية الحديثة[٢٦]، ولكنه لم يستمر طويلا

٢٤ــ جمرة النص الشعري ص ٤٧١ ، وتنظر ص ٤٦٨ .
٢٥ــ النقد الادبي ومدارسه الحديثة ص ٢٤٥ .
٢٦ــ ينظر النقد الادبي ــ أصوله ومناهجه ص٥ ، ١١٠ ، ٢٢٠ ، من الوجهة النفسية في دراسة الأدب ونقده (حاشية ص ٢٠٥) النقد الادبي الحديث ــ أصوله واتجاهاته ص ٨٧ .

لطغيان مناهج جديدة ، ولما ظهر في بعض الاعمـال من تلفيق ، يقول الدكتور حسن خمري وهو يتحدث عن الاتجاهات : « أما في الآدب العربي فقد أدرك النقد هذه الظاهرة وأحسها بعمق في الوقت الذي ظهرت فيـه بعض النظرات المذهبية والتحزبية تجاه الأدب والنقد وظهور النظرة التجزيئية لقضايا الادب ، وكانت ردة الفعل أن وجد الاتجاه التكاملي ، وهو كمحاولة مباركـة تستحق كل التشجيع ، ولكن سرعان ما انحرف هذا الاتجـاه من رؤية متكاملة للعمل الادبي الى نوع من التلفيق ، إذ عجز بعض النقاد عن إدراك المعنى كوحدة تامة فعمدوا الى بعض الدراسات المفتتة التي تحـوي بعض الملاحظات الاجتماعية والنفسية والجمالية ولكن ما ينقص هذه الملاحظات هو التكامل ذاته»[٢٧].

وضرب النقـاد والدارسون صفحاً عن هـذه المناهـج بعد أن شاعت البنيوية والأسلوبية . وأخذوا يقرأون النص في ضوء الاتجاه الجديد .

والبنيوية ـ وهي وليدة الألسنية « مجموعة من أنظمة التفكـير التي تتقابل عند نقطة معينة ولعل أفضل وصف أطلق على العملية البنيوية بشكل عام هو ذلك الذي قدمه رولان بارت يقول : « إن البنيوية تمثل عملية ذات جزءين : الجزء الاول منها هو التشريح ، والثاني هو الربط » ويعني التشريح « عملية الاكتشاف لبناءات النص الاساسية » ويمثل الربط « إعادة توحيد هذه البناءات على نموذج للنص أو شـكل مـوازٍ له[٢٨] » ، ولذلك فهي « تهتم بتقعيد الظواهر وتحليل مستوياتها المتعددة في محاولة للقبض على العلائق التي تتحكم بها[٢٩] » .

٢٧ـ بنية الخطاب النقدي ص ٧٩ .

٢٨ـ بناء النص التراثي ص ١٢ ، وللبنيوية تعريفات كثيرة ، ينظـر نظرية البنائية ص ١٣٩ ، مشكلة البنية ص ٣٢ ، البنيويـة ص ٩ . ومن الجدير بالذكر أن الاتجاه الآلسني في تحليل النصوص بدأ مع الشكليين الروس (ينظر الالسنية والنقد الآدبي ص٧) .

٢٩ـ اقنعة النص ص١٢ .

والبنيوية ليست فلسفة وإنما هي « طريقة في الرؤية ومنهج في معاينة الوجود[٣٠] » • وقد تعصّب لها كثير من الباحثين ، وقال الدكتور كمال أبو ديب إنها « ثالث حركات ثلاث في تأريخ الفكر الحديث يستحيل بعدها أن نرى العالم ونعاينه كما كان الفكر السابق علينا يرى العالم ويعاينه ••• ومع البنيوية ومفاهيم التزامن والثنائيات الضدية والاصرار على أن العلاقات بين العلامات لا العلامات نفسها هي التي تعني ، أصبح محالاً أن نعاين الوجود ــ الانسان والثقافة والطبيعة ــ كما كان يعاينه الذين سبقوا البنيوية»[٣١] •

ووجهت الى البنيوية ستة اعتراضات هي : ــ

١ ــ أن البنيوية لم تعد شيئاً يساير العصر ، أو أنها ليست أحدث المدارس النقدية في الأدب ، وقد فات وقتها •

٢ ــ أن التحليل البنيوي للنص الآدبي يشبه وضع جناح الفراشة تحت الميكرسكوب فيضيع النص الأدبي كلاً من جماله وكماله •

٣ ــ البنيوية تعالج الاعمال الأدبية كأنها مؤسسة كلها على نفس النماذج البسيطة وبذلك يبدو العمل الجيد على المستوى نفسه كالعمل السيىء فأين جمال العمل الأدبي وفنيته وأين فرديته بين أشباهه ؟ •

٤ ــ من الواجب درْس الأدب باستخدام مبادىء الأدب نفسه ، ويجب على النقد الأدبي أن يكون موضوعا مستقلا ، ولذلك تخطىء البنيوية بأخذها أساليب من مجالات أخرى كالألسنية التي هي بالتالي غير ملائمة للأدب •

٣٠ــ جدلية الخفاء والتجلي ص٧ ، وينظر اقنعة النص ص١٢ــ١٣ ، ونظرية البنائية ص ١٤٢ ١٦١ ، ٢٠٧ •

٣١ــ جدلية الخفاء والتجلي ص٧ ــ ٨ •

٥ ــ أن البنيوية تعزل العمل الأدبي عــن بيئته الكاملة أي عن تراثه الأدبي، وحياة مؤلفه والمجتمع الذي ألف به والمنعكس في العمل نفسه .

٦ ــ يمثل تطبيق البنيوية على النصوص التراثية مفارقة تأريخية فضلا عن أنها تكون من حضارة أخرى[٣٢] .

ويتحفظ الماركسيون في قبول البنيوية « وقد عبَّرَ أحد مفكريهــم باعتدال شديد عندما أعلن أن التحليل البنائي يعطي جانبا أصيلا من الأشياء التي يدرسها ، ويمثل إضافة قيمة للعلوم الانسانية ، ولكنه يخطىء في تقديره عندما يحصر كل شيء في البنية ، فالبنية مظهر جديــد للحقيقة يبدو في لحظة معينة ، ولا يمكن أن يحيط علما بوجوه المعرفة الانسانية[٣٣] » .

وسمَّى روجيه جارودي أحد كتبه « البنيوية فلسفة موت الانسان » ، وقد أشاد فيه بانجازات المنهج البنيوي ، وأكد ضرورته وضرورة أن تستوعبه النظرية النقدية ، ولكنه أعمل مبضع النقد في النظرية البنيوية التي أنحطّ معها المنهج البنائي الى فلسفة تنفي الانسان من التأريخ وتبشر بموت قــريب له على صعيد التحليل العلمي . ومن ميشيل فوكو الى ليفي شتراوس ، ومن لوي التوسر الى موريس غودولييه يرســم جارودي لوحة شاملة ونقديــة لفلسفة موت الانسان المعمَّدة باسم البنيوية قال في خاتمة كتابه : « لا يمكن للمنهج البنائي في جميع طبعاتــه الدوغماتيــة ــ أي التي تعتبــر أن البنية ، والبنية وحدها هي التي تعطي كلية ما هو قابل لأن يعرف ــ لا يمكن أن يفضي الى تقعيد للعلوم الانسانية إلا على مستوى المسالك المتموضعة المستلبة وحتى في الالسنية حيث وجد المنهج البنائي موضوعا متميزاً أتــاح لها أن يدلل على خصبه يجد الالسنيون اليوم أنفسهم مضطرين الى اعتبار التحليل البنــائي

٣٢ــ بناء النص التراثي ١٤ــ١٨ .

٣٣ــ نظرية البنائية ص ٢٢٥ ، وتنظر ص ٢٦٤ للوقوف على النقد البنيوي عند الاشتراكيين ، وينظر البنيوية في الأدب ص ١١ ، عصر البنيوية ص ٤٣ ، ٦٥ ، جمرة النص الشعري ص ٢٠٦ .

مجـرد آنٍ في دراستهم والى إعادة إدخـال التأريخ وآنِ الـذات كاشفين بذلك حدود البنيوية كايديولوجية حصرية • إن البنيوية كايديولوجية هي التي يخيل اليها أن من حقها أنْ تقول في خاتمة المطاف بموت الانسان أو للا إنسانية النظرية ، مع أن هذه نقطة انطلاقها لا نقطة وصولها[٣٤] » ولذلك لايلتزم بها كل الالتزام المؤمنون بالفكر الماركسي ، تقول الدكتورة يمنى العيد : «ونحن إذ نعيش في مجتمعاتنا العربية ظرفا تأريخيا صعبا تسقط فيه باستمرار ملامح جمال لا يمكننا أن نرى في النقد البنيوي المقتصر على التحليل مسارا لنقدنا، قد يكـون لهذا النقـد التحليلي البنيـوي حضور ، هذا أمـر لا يعفينا أو لا يعفي النقد وخاصة ما كان منه يمارس المنهج البنيوي من بلورة مسار قادر على إقامة العلاقة بين داخل النص وخارجه أو قادر على النظر الى هذا الخارج، الى هذا الكل داخل النص نفسه »[٣٥]• لانّ « النص أو النصوص الأدبية التي يمكننا أن ننظر في استقلالها كبنية هي ومـن حيث وجودها في المجتمع عنصر في بنية هذا المجتمـع وإذا كان المنهج البنيوي لايمكنـه أن ينظر بحكم عامل العَزْل الى هذه الصفة المزدوجة بموضوعه ، أي الى كونه بنية وفي الوقت نفسه عنصراً في الابنية ، فانـه ـ أي المنهج البنيوي ـ يتحدد كمنهج يقتصـر على دراسة العنصر كمنهج غير قادر على إقامة الجدل بين الداخل والخارج أو بتعبير جدلي على رؤية الخارج في هذا الداخل • إن إقامة مثل هذه العـلاقة أو النظر بمثل هذه الرؤيـة هي نظر الفكر الماركسي كفكر تأريخي • إن الكثير من دلالات النص التي يسعى المنهـج البنيوي للوصـول اليها لا يمكن كشفهـا إلاّ برؤيـة الخـارج في هذا الداخـل ، أي بالنظر في النص الثقافـي وربما الاجتماعي ، حتى التحليل الذي يتناول الصورة كتركيب لغوي نرى أنـه

٣٤ـ البنيوية فلسفة موت الانسان ص ١١٢ ، ومما تجدر الاشارة اليه ان الطلبة في مظاهراتهم بباريس سنة ١٩٦٨ م رفعوا شعار (فلتسـقط البنيوية) . (ينظر عصر البنيوية ص٧ ، ٢٥٦) .

٣٥ـ في معرفة النص ص ٤٠ .

ولكي يكشف عمقها . يحتاج الى إقامة هذه العلاقة بين داخل النص وخارجه ، بينه وبين النصوص الأخرى »[٣٦] .

ووقف سارتر من البنيوية موقفا معاديا ، وقال إن ليفي شتراوس يدرس الانسان كما يدرس عالم الكائنات الحية دنيا النمل ، وما البنيوية « إلا خديعة قامت بها البرجوازية ومحاولـة لاستبدال الرؤيـة الماركسية في التطور بنظام داخلي مغلق حيث يسود القانون على حساب الغير»[٣٧] .

وظهرت البنيوية التكوينية وهي « تسعى الى إعادة الاعتبـار للعمـل الأدبي والفكري في خصوصيته بدون أن تفصله عن علاقتـه بالمجتمـع والتأريخ ، وعـن جدلية التفاعل الكامنة وراء استمرار الحياة وتجددها »[٣٨] أي انها تـعْنى بالجانب الفني والفكري وبذلك تكـون « فلسفة متكاملة ذات منظور نقدي يتجاوز سلبية النقد الى استشراف ايجابيـة تنسجها الجدلية بين الذات والموضوع »[٣٩]

ويعد لوسيان جولدمان ــ وهو من أتباع جورج لوكاتش ــ من أشهر الذين يمثلون هذا المنهج والعمل الادبي ــ عنـده ــ « تعبير عن رؤية للعالم وعن طريقة للنظر والاحساس بكون ملموس مشتمل على كائنات وأشياء»[٤٠]، ومن هنا انطلق لتحقيق الوحدة بين الشكل والمضمون ، أو الفن والفكر .

٣٦ــ نفسه ص ٣٨ ، ويرى ميكائيل ريفاتير في (معايير تحليل الاسـلوب ص ٥ ، ٧) أن التحليل اللساني غير قادر على دراسـة الاسـلوب واكتشافه في النص .

٣٧ــ البنيوية في الأدب ص٢٨١ ، نظريـة البنائيـة ص٢١٥ ، عصر البنيوية ص ٣٦ . وينظر نقد البنيويات الشعرية في جمرة النص ص ٢٠٦ ، وينظر دفـاع جـيرار جينيت عن البنوية من خـلال أعمـال امبـيرتو ايكو النقديـة ــ في مجلة العرب والفكـر العالمـي (الجـزء الخامس ــ شتاء ١٩٨٩ م ص ١٥٠) .

٣٨ــ البنيوية التكوينية ص ٧ .

٣٩ــ نفسه ص٨ .

٤٠ ــ نفسه ص١٧ وتنظر قـراءة لوسيان جولدمان عن البنيويـة التوليدية ص٨٤ .

وتكاد معظم قراءات النص في هذه الايـام تنطلق من الاسلوبية أو علم الاسلوب الذي ابتـدع بالـي مصطلحه وأسس نظريته طبقـاً لمقولات رائد الدراسات اللغوية الحديثة سوسير .

ومهمة هذا العلم « تتمثل في البحث عن الأنماط التعبيرية التي تترجم في فترة معينة حركـات فكر وشعور المتحدثين باللغة ودراسـة التأثيرات العفوية الناجمة عن هذه الانماط لدى السامعين والقراء »[٤١] .

وكان العلماء قد « حددوا منذ قرابة قرن من الزمان مجالات علم الاسلوب الحديث بحثا عن التعبير المتميز ، وأوجزوها في سبعة أبواب هـي : أسلوب العلم الادبي ، وأسلوب المؤلف ، وأسلوب مدرسة معينة أو عصر خاص أوجنس أدبي محدد ، أو الاسلوب الادبي من خـلال الاسلوب الفنـي أو من خلال الاسلوب الثقافي العام في عصر معين»[٤٢].

وتعدّ الأسلوبيـة أو علم الاسلوب مقدمـة للبلاغة الجديـدة ، أو هي البلاغة الحديثة ، قال بييرجيرو « إن الاسلوبية بلاغة حديثة ذات شكل مضاعف، إنها التعبير ، وهي نقـد للاساليب الفردية »[٤٣] . وكـان مصطلح « البلاغة الجديدة» قد ولد عام ١٩٥٨ في عنوان أحد الكتب الشهيرة التي وضعها المفكر البولوني المولـد ، البلجيكي المقام بيريلمان تحت اسـم « مقال في البرهان : البلاغة الجديدة »[٤٤] ولكن الدكتور عبدالسلام المسـدي يرى أن الاسلوبية

٤١ــ علم الاسلوب ص ١٧ ، وللاطلاع على تعريف الاسلوبية، تنظر ص ٣٣ ، ٧٥ ، الاسلوب والاسلوبية لكراهم هوف ص ١٦ ، ٢٢ ، ٣٨ ، ٤٥ ، اتجاهات البحث الاسلوبي ص ١١ ، الاسلوبية والاسلوب للمسـدي ص ٣٤ ، النقد والحداثة ص ٥٨ ، دليل الدراسات ص ٧ ، البلاغـة والاسلوبية لمحمد عبد المطلب ص ١٢٨ ، الاسلوبية الى اين ص ٢٥٧ ، معايير تحليل الاسلوب ص ٣٤ ، ٦٦ .

٤٢ــ علم الاسلوب ص ١٢ ، وينظر اتجاهات البحث الاسلوبي ص ٤٨ .

٤٣ــ الاسلوب والاسلوبية لجيرو ص ٥ .

٤٤ــ بلاغة الخطاب ص ٧٣ .

والبلاغة تمثلان « شحنتين متنافرتين متضادتين لا يستقيم لهما تواجد آني في تفكير أصولي موحّد والسبب في ذلك يعزى الى تأريخية الحدث الاسلوبي في العصر الحديث » وأن الاسلوبية « قامت بديلا عن البلاغة والمفهوم الاصولي للبديل ــ كما نعلم ــ أن يتولد عن واقع معطى ينفي بموجب حضوره ما كان قد تولد عنه ، فالأسلوبية امتداد للبلاغة ونفي لها في نفس الوقت ، هي لها بمثابة حبل التواصل وخط القطيعة في نفس الوقت أيضا »(٤٥).

وعُدّت الأسلوبية المنهج الصحيح في النقد على الرغم من أنها تدرس الجوانب اللغوية ولا تتعرض للجوانب الأخرى ، وهي بذلك ليست بديلا للنقد الادبي ، على الرغم من أن بعضهم يؤكد أن النقد الحديث استحال الى نقد للاسلوب وصار فرعا من فروع علم الاسلوب(٤٦).

وليست الاسلوبية نوعا واحدا وانما هي أسلوبيات ، فهناك أسلوبية الانزياح ، والأسلوبية الاحصائية ، والاسلوبية السياقية ، وأسلوبية السجلات، والأسلوبية البنائيه أو البنيوية ، والأسلوبية النفسانية ، والأسلوبية الوصفية أو الأسلوبية التعبيرية ، والأسلوبية التكوينية أو أسلوبية الفرد ، والأسلوبية الوظيفية ، والأسلوبية التأصيلية ، والأسلوبية الذاتية(٤٧) .

وهذه الكثرة من اتجاهات الاسلوبية جعلت قراء النص يذهبون كلّ مذهب ويختلف بعضهم عن بعض اختلافا كبيرا بحيث أصبح علم الاسلوب « مثل برج بابل تتعدد فيه اللغات ، ولا يكاد أحد يفهم مَنْ بجواره مما أدّى بالبعض الى رفضه ، وقد صار الى هذا الحال نتيجة لأن كل باحث في الأسلوب ــ تقريبا ــ قد زعم لنفسه حقّ الشرح الكلي لظاهرة

٤٥ــ الاسلوبية والاسلوب للمسدي ص٥٢ .
٤٦ــ الاسلوبية الحديثة ص ١٢٤ ، ١٣١ ، التركيب اللغوي ص ٩٣ .
٤٧ــ للاطلاع على هذه الانواع يراجع البلاغة والاسلوبية لهنريش بليت ص٣٦ الاسلوب والاسلوبية ــ مدخل في المصطلح ص٦٠ الاسلوب والاسلوبية لجيرو ص ٣٢ ، اتجاهات البحث الاسلوبي ص ١٤، الاسلوب ص ٤٢ ، ٥٩ ، ١٢٣ .

الأسلوب »[٤٨]، ويبدو هذا في كثير من قراءات النص التي اتخذت الاسلوبية منهجا ، فقد ذهب الدارسون كل مذهب ، وأصبح تحديد الخصائص العامة صعبا ، وإن انطلقوا من التحليل اللغوي لبنية النص .

(٣)

والدراسات التي اتخذت البنيوية والأسلوبية منهجا في قراءة النص كثيرة ، ولعل الوقوف على بعضها يظهر السمات العامة لمثل هذا اللون من الدرس الذي يتخذ من النص لامن خارجه معطياته .

والنقاد مختلفون في تحديد النص ولكن تعريف جوليا كريستيفا ظفر باهتمام خاص ، وهي ترى أنه « أكثر من مجرد خطاب أو قول إذ أنه موضوع لعديد من الممارسات السيميولوجية التي يعتد بها على أساس أنها ظاهرة عبر لغوية بمعنى أنها مكونة بفضل اللغة لكنها غير قابلة للانحصار في مقولاتها ، وبهذه الطريقة فان النص جهاز لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيراً الى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الاقوال السابقة والمتزامنة معها »[٤٩].

والنص عند رولان بارت نوعان : ـ

١ ـ نص اللذة : وهو الذي « يرضي يفعم ، يغبط ، ذلك الذي يأتي من صلب الثقافة . ولا تقطع صلته بها ، هذا النص مرتبط بممارسة مريحة للقراءة » .

٢ ـ نص المتعة : وهو الذي « يضعك في حالة ضياع ، وذلك الذي يتعب ، وربما الى حدّ نوع من الملل فانه يجعل القاعدة التأريخية والثقافية

٤٨ـ بلاغة الخطاب ص ٢٠١ ، وينظر نظرية الادب ص ٢٢٣ .

٤٩ـ بلاغة الخطاب ص ٢٢٩ ، وتنظر ص ٢٣٥ ، وتنظر ص ٢٣٥ ، ٢٤٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥٣ مدخل لجامع النص ص ٨٩ ، لذة النص ص ٦٣ .

والسيكولوجية للقارىء تترشح ، ويزعزع كذلك ثبات أذواقه وقيمه وذكرياته .. ويؤزم علاقته باللغة »[٥٠] .

وظهر علم النص ، ومؤسسه تون أ . ڤان ديجك الذي يقول : « بالامكان دراسة النصوص بصورة مشتركة بين عدة ميادين ، وذلك مثلا بتحليل الخصائص الاكثر عمومية التي تتصف بها النصوص واستعمال اللغة ، وما أن يتم هذا التحليل حتى يصير بوسعنا أن تتفحص عن كثب النقاط التي يمكن أن تتباين فيها النصوص من حيث البنية والوظيفة . إن هذه المقاربة للنصوص ذات الطابع الأعم والمتعدد الميادين هي التي ينادي بها علم النص » ثم يقول : « إن ميدان علم النص أعم من ميدان علم الأدب . بما أن هذا الأخير لا يهتم مبدئيا إلا بنصوص أدبية ، ولما كانت النصوص أشكالا خاصة لاستعمال اللغة ، كان ميدان علم النص يشمل بخاصة ميدان اللسانيات . وفي حين أن اللسانيات اهتمت قبل كل شيء بدراسة الجمل ومكوناتها وأعتنت خصوصا بوضع مبادىء القواعد اللغوية ، فان علم النص يدرس من جهته الملفوظات اللغوية بكليتها ، والأشكال والبنى المختصة بها والتي لا يمكن وصفها بواسطة القواعد اللغوية ، من هذه الزاوية يقترب علم النص من علم البلاغة بحيث يمكن الادعاء بأنه ممثل حديث له »[٥١].

ولعل أول خطوة في قراءة النص هي تحريره من مؤلفه والتعامل معه مستقلا وهو ما أطلق عليه « موت المؤلف » قال رولان بارت : « إن ميلاد القارىء يجب أن يكون على حساب موت المؤلف »[٥٢] ، وذلك لأن « النص الأدبي ذو وجود شرعي مستقل عن مؤلفه الى حد بعيد ، على الرغم من أنه ينتمي اليه»[٥٣] وربما أصبح مبدع النص بعد وقت قصير « أجنبيا عن

٥٠ــ لذة النص ص ٢٢ وتنظر ص ٢٥ ، ٥٣ .
٥١ــ النص بناه ووظائفه ص٦٣ ، وينظر بلاغة الخطاب ص١٠ ، ١٠٧ ، ٢٠٧ ، ٢٥٣ .
٥٢ــ عصر البنيوية ص ٢٨٥ .
٥٣ــالنص الأدبي ص ٤١ .

نصه بحيث يعجز عـن استظهاره حرفيا ، بل إنه قد يعجز عن فهمه إذا كـان نصا معمقا مثقلا ، وذلك في حالة قراءته بعد زمن ما بدون تركيز»[٥٤] .

ومـن ذلك إبعاد المعنى عـن تلقي النص ، لان الشـعر لا يتجه الـى المضمون ، والنص ــ عند جيرار جينيت ــ ليس موضوع الشعرية بل «جامع النص ، أي مجموع الخصائص العامة أو المتعالية التي ينتمي اليها كل نص علـى حـدة » وهي « أصناف الخطـابات ، وصيـغ التعبير ، والأجنـاس الأدبية »[٥٥] .

إن تحليل بنية النص هي أساس النقد البنيوي والأسلوبي ، وهو مـا أتجهت اليه الدراسات وإن كان الشعر عند شولز « أقل انقياداً للنقد البنيوي من الرواية »[٥٦] ، ومـن تلك الدراسات :

١ ــ جدلية الخفاء والتجلي للدكتـور كمال أبـو ديب ، وهو دراسات بنيوية في الشعر وقد أتخـذ من بعض نصـوص أبي نواس وأبي تمام حقـلا لتطبيق المنهج البنيوي ، ومن العلامات منطلقاً له ، ففي قصيـدة أبي نواس تجلت علامتان أساسيتان هما : الخمرة / الاطلال ، وفي ضوئهما مضى الناقد في تحليله وتعرّض للبنية الايقاعية ، وأنتهى الى أن أبـا نواس « يعاين الاطـلال بوصفها تجسد عالما هـو النقيض المطلق لعالم الخمرة ، وأن أول هذه المعاينة تتجسد في بنية القصيدة ذاتها ، اذ أن الأطلال تسقط الى موضع سفلي في بنية القصيدة وتخلخل عـن موضعها العادي في التراث الشعري»[٥٧] .

٢ ــ ونحا أبو ديب هذا المنحى في كتابه « الرؤى المقنّعة نحو منهج بنيوي في دراسة الشعر الجاهلي » وهو محاولة لدراسة الشعر الجاهلي على مستوى

٥٤ــ نفسه ص٤٢ .

٥٥ــ مدخل لجامع النص ٥ ، ٩٠ ، وينظر الخطيئة والتكفير ص ١٠ ، ٢٧٠، ٨٢٦ ، ٢٨٩ ، جمرة النص الشعري ص ٢٤٤ .

٥٦ــ البنيوية في الأدب ص ٦ .

٥٧ــ جدلية الخفاء والتجلي ص ١٩١ .

من التحليل « يرتفع عن المستويات التأريخيـــة والتعليقية والتوثيقية أو اللغوية والبلاغية والانطباعية »[٥٨] ، واقتراح منهج نقدي جديد « هو من حيث الطاقات الكامنة فيه أغنى مردوداً وأعمق قـدرة على إضـاءة القصيدة من المناهج السابقة . ويفيد هذا المنهج من النظريات النقدية الحديثـة ومن البنيويـة وبشكل خاص من منهـج التحليـل البنيوي للأسطورة كما طوره واستخدمه كلود ليفي شتراوس »[٥٩].

٣ ـ الخطيئة والتكفير من البنيوية الى التشريحية للدكتـور عبدالله محمد الغذامي ، وهو قراءة نقدية لأدب حمزة شحاتة أتخذت خطوات بدأها المؤلف بقراءة عامة لكل أعمال الشاعر ، وهي قراءة استكشافية تذوقية مصحوبة برصد للملاحظات ، ومحاولة استنباط النماذج الاساسية التي تمثل صوتيمات العمل أي النوى الأساسية ، وقراءة نقدية تعمـد الى فحص النماذج بمعارضتها مع العمل ، ودراسة النماذج على أنها وحدات كلية ، وجاءت بعد ذلك الكتابة وهي إعادة البناء وبها « يتحقق النقـد التشريحي إذ يصبح النص هو التفسـير ، والتفسير هو النـص ، لأن النص يعتمد اعتمادا مطلقا على التفسير والتفسير اعتمادا مطلقا علـى النص »[٦٠] .

استند الغذامي في قراءته ودراسته الى علامتي الخطيئة / التكفير متخذا من قصة آدم وحواء وأكلهما التفاحة منطلقا له ، وحلل شعر حمـــزة تحليلا تشريحيا ، لأن الاتجاه الجديد يركز على النص وينطلق منه مثلما يتجه اليه ، ولكنه ــ على الرغم من ذلك ــ اعتمد على سيرة الشـاعر بغض النظر عن الدعوة الى « مـوت المؤلف » ووظف التناص والوزن

٥٨ـ الرؤى المقنعة ص ٥ .
٥٩ـ نفسه ص ٤٦ .
٦٠ـ الخطيئة والتكفير ص ٨٩ .

والقافية لاظهار شاعرية حمزة ، واتنهى الى أن الأثر لا المعنى هو الأساس في التوجه الجديد •

٤ ــ ونحا الغذامي هذا المنحى في كتابه « تشريح النص » وهو مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة ، وقرأ قصيدة « إرادة الحياة » لأبي القاسم الشابي قراءة سيميائية تأخذ بملاحقة الاشارات النصوصية بعد رصدها ومسايرة علاقات السياق داخلها ، وتتبع سمات الدلالات الكلية في الخطاب الشعري المتنامي في قصائد السعوديين الشبان ، وركز مسعاه في نص واحد للكشف عن علاقة النقد الجديد بالنقد الألسني ، وختم كتابه بدراسة قصيدة « الخروج » لصلاح عبدالصبور •

٥ ــ تحليل الخطاب الشعري للدكتور محمد مفتاح الذي وضع مهادا نظريا لتحديد المفاهيم ، وتبني القصديةفي الاصوات والمعجم والتركيب النحوي وإبراز مقصدية الاقناع بالادوات البلاغية ــ والتناصية والافعال الكلامية، وطبق هذه المقدمة على قصيدة ابن عبدون الرائية ، ورصد فيها ثلاث بنيات أساسية هي : بنية التوتر ، وبنية الاستسلام، وبنية الرجاء والرهبة•

٦ ــ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب لمحمد بنيس ، وهو مقاربة بنيوية تكوينية، وقد انطلق من التيار الاجتماعي الجديد الذي نادى به جولدمان ، وأرسى قراءته ونقده على الطبيعة اللغوية للنص وطبيعته الاجتماعية الجدلية ، لأن النص الشعري كأي نص أدبي « ممارسة لغوية في إطار اجتماعي محدد » وأنه ليس « ممارسة لعبة لغوية خارج التأريخ والمجتمع » كما أنه ليس « وثيقة نستعين بها عند تفسير ظاهرة معينة » وانما « النص ممارسة إبداعية للغة تمت وفق قوانين خاصة أدبيا واجتماعيا وتأريخيا»[٦١] • وكانت قراءة المؤلف للنص « بحثا عن بنياته الداخلية

٦١ــ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب ص٢٤ .

الدالية ، ثم البحث عن تفسير موضوعي ثقافي وتأريخي اجتماعي لأسرار تبنين المتن على شاكلة مستقلة عن سواها»[٦٢].

٧ ــ في معرفة النص للدكتورة حكمة صباغ الخطيب (يمنى العيد) ، وقد انطلقت في قراءتها من البنيوية والفكر الماركسي في « مفهومه للعلاقة بين البنية التحتية وبين البنية الفوقية التي يتميز عليها الأدب لا لنعزل بل ليستقل وليبقى في استقلاله لما هو حاضر فيه »[٦٣]، وحاولت النظر في العلاقات الداخلية في النص من دون عزله وإغلاقه على نفسه ، والنظر في حضور الخارج في هذه العلاقات في النص .

٨ ــ البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث للدكتور مصطفى السعدني ، وقد نظر الى الشعر من خلال بنياته أو مستوياته الصوتية والتركيبية والدلالية .

٩ ــ قراءة نقدية في قصيدة حياة تقاسيم ضاحي بن وليد الجديدة للشاعر علي الشرقاوي ، وقد اتبع الدكتور علوي الهاشمي في قراءة القصيدة وتحليلها منهج القصيدة الذي استقراه من حركتها الذاتية ، وهي حركة مزدوجة ، حركة وجدان وفكر ، وأقام تصنيفها على مستويات الرمز وفاعلياته ، والصورة ، واللغة والايقاع ، ووقف على المستويين الفكري والفني .

١٠ ــ الاسلوب ــ دراسة لغوية إحصائية ــ للدكتور سعد مصلوح وقد سعى فيه الى « العمل على إرساء منهج لغوي في نقد الادب العربي فيكون النص أو الخطاب الادبي أولاً وقبل كل شيء هو موضوع الدراسة ، ويكون منهج الدراسة فيه لغويا بالمعنى العلمي لهذا المصطلح»[٦٤]

٦٢ــ نفسه ص ٢٩ وينظر في معرفة النص ص ١٢١ ، للوقوف على راي الدكتورة حكمة الخطيب (يمنى العيد) في منهج بنيس .
٦٣ــفي معرفة النص ص ١٢ .
٦٤ــ الاسلوب ص ١٤ .

واتخذ القياس الكمي أو التحليل الاحصائي للنصوص منطلقا ، لأن « النص الادبي عند مؤلف بعينه أو في فن بعينه يمتاز عادة باستخدام سمات لغوية معينة ، ومن بينها على سبيل التمثيل لا الحصر :

١ ــ استخدام وحدات معجمية معينة .

٢ ــ الزيادة أو النقصان النسبيان في استخدام صيغ معينة أو نوع معين من الكلمات (صفات أفعال ، ظروف ، حروف جر ..) .

٣ ــ طول الكلمات المستخدمة أو قصرها .

٤ ــ طول الجمل .

٥ ــ نوع الجمل (اسمية ، فعلية ، ذات طرف واحد ، بسيطة ، مركبة ،

٦ ــ إيثار تراكيب أو مجازات واستعارات معينة .

وهذه السمات اللغوية حين تحظى بنسبة عالية من التكرار وحين ترتبط بسياقات معينة على نحوٍ له دلالة تصبح خواص أسلوبية تظهر في النصوص بنسب وكثافة وتوزيعات مختلفة ، ويطلق على هذا النوع من الدراسة « مصطلح علم الاسلوب الاحصائي »[٦٥] وهو أحد مجالات الدراسة اللغوية الأسلوبية المعاصرة . واتخذ الباحث معادلة (أ . بوزيمان) أساسا في البحث وهي معادلة تسعى الى تمييز النص الادبي بتحديد النسبة بين أي مظهرين من مظاهر التعبير ، هما : التعبير بالحدث والتعبير بالوصف ، أي الكلمات التي تعبر عن حدث أو فعل . والكلمات التي تعبر عن صفة مميزة لشيء ما أي تصف هذا الشيء وصفاً كميا أو كيفيا . والنسبة بين الكلمات المعبرة عن حدث والكلمات المعبرة عن وصف هي التي تميز نصا من غيره من النصوص . وتحسب هذه النسبة « باحصاء عدد الكلمات التي تنتمي الى النوع الاول وعدد كلمات النوع الثاني ثم إيجاد حاصل قسمة المجموعة الاولى على المجموعة الثانية ، ويعطينا حاصل القسمة قيمة عددية تزيد وتنقص تبعا لزيادة ونقص عدد

٦٥ــ الاسلوب ص ١٨ــ١٩ .

كلمات المجموعة الأولى على المجموعة الثانية . وتستخدم هذه القيمة باعتبارها دالاً على أدبية الأسلوب ، فكلما زادت كان طابع اللغة أقرب الى الاسلوب الادبي، وكلما نقصت كان أقرب الى الاسلوب العلمي»(٦٦). وتدل هذه النسبة على طبيعة الأسلوب ، إذ أن الكلام الصادر عن الانسان الشديد الانفعال يتميز بزيادة عدد كلمات الحدث على عدد كلمات الوصف ، كما أن اللغة المنطوقة تمتاز بزيادة النسبة المذكورة في حين تمتاز اللغة المكتوبة بانخفاضها .

وطَبَّقَ الباحث هذا الاتجاه على بعض الأساليب الشعرية والنثرية بعد أن أوضح الطريقة التي تحصى بها الأفعال والصفات في النصوص .

١١ ــ انتفع الدكتور عبدالكريم حسن بالاحصاء في كتابه « الموضوعية البنيوية » وهو دراسة في شعر السياب ، أقامها على منهج « يعتمد أساسا على تحليل المفردات التي تؤلف موضوعا مفيدا»(٦٧).

(٤)

كانت تلك جولة في بعض القراءات النقدية للنصوص الشعرية ، وقد اتضح أنها اتخذت البنيوية والأسلوبية منهجا ، ولكنّ التفاوت بينها كان كبيرا ، وهذه طبيعة النقد ، فهو ينبع من ذوق الناقد وثقافته ومعتقده وتفسيته في أثناء القراءة أو ممارسة الكتابة النقدية ، وهذا اللون من النقد الذي حددت إجراءاته طبيعةُ القراءة وغايتها ، مقبول ولكنه لايكشف عن أبعاد النص

٦٦ــ الاسلوب ص ٦٠ .

٦٧ــ الموضوعية البنيوية ص٢٨ ، وتنظر ص٢٢ للوقوف على قيمة الاحصائيات اللسانية ، واتجاهات البحث الاسلوبي ص ٦ لمعرفة المآخذ على الاحصاء الاسلوبي ، وينظر الاسلوب والاسلوبية لجيرو ص ٨٦ ، الاسلوب والاسلوبية لكراهم ص ٦١ . وكان جان كوهن قد اعتمد على الاحصاء في كتابه « بنية اللغة الشعرية » انظر ص١٦ ، والجداول في ٦٦ ، ٧٩ ، ١١٥ ، ١٢٥ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ١٤٥ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٠٤ ، واستطاع احد العلماء في انكلترة أن يبرهن على امكانية الفصل في حقيقة الاعمال الادبية المشكوك في أصحابها بطريق الدراسات الاحصائية (ينظر دور الكلمة في اللغة ص١٨٤) .

المختلفة فهو ينحصر في اللغة وما يتصل بها أي أنه ذو حدود معينة وهدف معين ، أما الأبعاد الاخر فلا يتعرض لهـا ، على أساس أن النص هـو الهدف وليس صاحبه الذي يُفترض أنه مات •

إن لكل قارىء أو ناقد الحق في أن يفعل ما يشـاء ، ولكـن التعصب لقراءة معينة ، أو منهج معين لايرسم صورة كاملة للنص ، وقد يعطي في أحيان كثيرة انطباعات لاعلاقة لها بالنص أو بما يريد الشاعر أن يقوله ، فضـلاً عن أن كثيراً من الدراسات النقدية كانت ذهنية تجرب منهجـا بنيويا أو أسلوبيا وإن لوت أعناق النصوص وأغربت في القول وأبعدت في الرصد والاحصاء ، وحصرت النقاد في منهج واحد ولم ينطلقوا الى آفاق أرحب وينتفعوا بالمناهج المختلفة ، وهي مناهج سليمة وقد أخذ بها النقاد العرب وغيرهم في هذا العصر ولم يزدروها أو يصفوا الأخـذ بها بالتخلف ، لأنها صـدرت عن وعي بروح الأدب وما فيه من إبداع •

وتكاد الدراسات المتأخرة تضع حدودا فاصلة بين هذه المناهـج ، ولعل نور ثرب فراي أصاب القول حينمـا قال في خاتمة كتابـه « تشريح النقد » « ليس المقصود من هذا الكتاب أن يضع برنامجا جديدا للنقد بـل أن يقترح زاوية نظر جديدة من خلالها الى البرامج الموجودة وهي برامـج صحيحة بحد ذاتها • فالكتاب لايهاجم أياً من مناهج النقد بعد أن يكون ذلك الموضوع قد تحدد ، أما مايهاجمه فهو الحدود القائمة بين هذه المناهج ، لأن هـذه الحدود تنحو الى حصر الناقد في منهج نقدي واحد ، وهـو أمر غير ضـروري ، كما أنها تميل الى جعله يقيم علاقات لامع غيره من النقاد بل مع موضوعـات تقع خارج النص »[٦٨]•

ولابدَّ أن تكون قراءة النص مستوعبة لأبعـاده ، ولا تقف عنـده على أساس أن التوجه النقدي الآن يعزل النص عما حوله ، صحيـح أن النظر في النص هو ماتسعى اليه القراءة ويهدف اليه النقد ، ولكن لن ينطلق إنْ بقي

٦٨ـ تشريح النقد ص ٤٥١ .

محدداً في لغته وتراكيبه وإنما لابد من إطلالة على ماحولـه لينكشف وتتضح أبعاده . واذا كان النقد العربي في النصف الأول من القـرن العشرين بعيدا عن المنحى الجديد ، إذ اتخذ بعض النقاد منهجا معينا أخضعوا له النص فان النقد الدقيق والدراسة الجادة والقراءة الكاملة تقتضي النظر في أبعاد النص الداخلية والخارجية ولا يعدّ ذلك تخلفا ، بل التخلف هو التعصب والتمسك بمنهج يكاد ينحسر في الغرب ، ويختفي دعاته ولا سيما البنيوية التي بَشَّر بعضهم بموتها وأخذ يبحث عما بعدها ، وكان جان كوهن قد انتفع بكثـير من الدراسات في كتابه « بنية اللغة الشعرية » فالى « الرصد البلاغي والشعري اللذين يشكلان مادة البحث ، تضاف المعرفـة اللسانية بأبعادها الصوتية والدلاليـة تستقي من مصدرين كبيرين : سوسير وياكبسون ، يضـاف الى ذلـك استثمار المعارف المنطقية والتداولية مع إشارات نفسية واجتماعية وتأريخية ، ولعل هذا التعدد والغنى المرجعي هو ماجعل كوهـن يفلت من اسـار البحث اللساني الصرف الذي سقط فيه دارسون آخرون »[٦٩].

ولعل النقد التكاملي أوفى بدارسة النص الشعري . وهو المنهـج الذي يوظف الاتجاهات المختلفة للوصول الى التحليل العميق والتفسـير السليم ، والحكم الدقيق .

وأول ما تجب العناية به هو اختيار النص مجال القـراءة والدراسة ، إذ ليست كل النصوص تستحق العنـاء والبحث ، وفيما صـدر من كتب وبحوث كثير من النصوص التي لا قيمـة لها ولكن دُرست تعصبا لاقليم ، أو لاتجاه ، أو لصداقة وما هكذا تختار النصوص ، ولو كانت النصوص كلها جيدة تستحق الاهتمام ماعُني القدماء والمحدثون بالمختارات الشعرية ذات الاصالة والروعة والسحر والجمال . إن اختيار النص مهـم لكي لاتضيع الجهـود ، وكم من دراسة رفيعة وآراء مصيبة ضاعت في غمرة النصوص الضعيفة التي لاتستحق الدرس والتقويم .

٦٩ـ مقدمة بنية اللغة الشعرية ص٨ .

ولابد قبل البدء بدراسة النص وتحليله من النظر خارجه على أن لاتنقطع الصلة بين الداخل والخارج ، ولن يفهم النص مالم يُعرف زمانه ، لأن لكل عصر أدبي سمات متميزة ولم يكن النقاد جهلة حينما عُنوا بالعصر • ويتصل بهذا معرفة بيئة الشاعر والوقوف على مافيها من تيارات فكرية واجتماعية ؛ لأن الادب انعكاس للبيئة وليس خيالاً يجتاب الآفاق • وسيرة الشاعر وثقافته وعقيدته ونفسيته وسلوكه تقرّب النص الى الذهن وتفتح فيه فضاء ، وعَزْل النص عن مؤلفه يؤدي الى فهم غير دقيق وليس صحيحا أن « كل معلومة يأتي بها الناقد من خارج هذا النص لتوضيحه ـ سواء كانت مستمدة من وقائع عامة معاصرة أم من أحداث ألـمَّت بالكاتب ـ لاتؤدي الى اكتشاف الرؤيا إذا لم تكن هذه الرؤيا في النص نفسه »[٧٠] ، وليس صحيحا أنه « لا وجود لشيء خارج النص » [٧١]، وإنما يبقى النص داخلا لافرار له من خارج حاضر فيه ويبقى على « الناقد مهمة النظر الى هذا الخارج فيما هو ينظر في هذا الداخل الذي هو النص »[٧٢]، وقد قال الدكتور موريس أبو ناضر « إن القراءة الشاملة لبنية النص الداخلي هي الدعامة الاساسية لقراءة بنيته الخارجية »[٧٣] ثم قال : « إن القراءة الالسنية الشاملة لبنية النص الداخلية هي البداية والنهاية لقراءة بنيته الخارجية»[٧٤]•وهذا صحيح، ولكن القراءة الدقيقة لن تتم إلا اذا استمدت من الخارج ما يعينها على تفهم النص والوقوف على مقاصده لكي لايقع الناقد فيما وقع فيه غيره من تفسيرات عجيبة أو أحكام غريبة تثير الريبة حينا والسخرية أحيانا •

هذا بعض مايتصل بخارج النص الذي هو تعبير عن الحياة والبيئة والعصر ونهج الشاعر وموقفه ، ويأتي بعد ذلك النظر في النص ، ولن يفتح النص

٧٠ـ مدخل الى علم الاسلوب ص ٣٣ .
٧١ـ الخطيئة والتكفير ص ٥٦ .
٧٢ـ في معرفة النص ص٣٠ .
٧٣ـ الالسنية والنقد الادبي ص ١٧ .
٧٤ـ نفسه ص ١٦٠ .

فضاءه إلا القارىء أو ناقد ذي ذوق رفيع وثقافة واسعة واطلاع كبير على أصول اللغة وأساليب القول وفنونه ، ومعرفة باتجاه النص وأغراضه ؛ لأن الجهل بها يؤدي الى الخطأ في الفهم والتفسير ، ويبعد النص عن قضيته أو موقف الشاعر . فاذا ماتم ذلك بدأت دراسة النص وتحليله متخذاً ثلاثة مستويات هي:

الاول : المستوى الصوتي ويتضمن خصائص الأصوات والالفاظ ودلالاتها وما توحي داخل النص ، ثم دراسة مايتصل بالايقاع ، وما يحدثه الوزن والقافية وبعض فنون البديع من تأثير .

الثاني : المستوى التركيبي وهو دراسة تراكيب النص اللغوية كالاسناد، وأنواع الجمل ، والتقديم والتأخير ، والفصل والوصل ، وكل ما يتصل بالبناء اللغوي .

الثالث : المستوى الدلالي وهو دراسة الصورة الشعرية وما يتصل بها من تشبيه ، ومجاز بأنواعه ، وكناية ، وماله دلالة مهمة في النص مما عنيت به الدراسات المعاصرة كدلالة العنوان والزمان والمكان ، وصلة النص بغيره وهو ما بحثه البلاغيون العرب في موضوع السرقات أو الأخذ أو التضمين أو ما يسمى الآن بالتناص الذي يعني الفاعلية المتبادلة بين النصوص .

وشاع هذا المنهج في الدراسات الاخيرة ، وقد قال ستيفن أولمان : « وإذا سلمنا بأن ثمة مستويات ثلاثة للتحليل اللغوي والمعجمي والتركيبي ، فيكون على علم الاسلوب أن يميز بين هذه المستويات الثلاثة نفسها»[٧٥]. وهذا مايقوم به البلاغيون الجدد إذ يحللون مستويات التعبير على عدة محاور « التغيير اللفظي والتركيبي والدلالي ، مركزين على العلاقات القائمة بينها»[٧٦]، ويضيفون مستوى رابعاً من التغيير ، وهو تغيير منطقي ، لأن التغيير الدلالي قد ينحصر في تعديل كلمة واحدة فالشاعر « لايستخدم الشكل البلاغي

٧٥- اتجاهات البحث الاسلوبي ص ٦. ، وينظر الالسنية والنقد الادبي ص ٨ - ٩ ، ٢١ .

٧٦- بلاغة الخطاب ص ٨٤ .

إلا ليطمس شكل العلامات اللغوية ، ويغير معناها ، ولكن بوسعه بدلا من تبديل المعنى وتغيير دلالة الكلمات ، أي بدلا من تعديل اللغة أن يعمد الى الواقع الموضوعي في ذاته كي ينفصل بوضوح عنه ويتمثل شيئا آخر ، ويحصل على نتائج هذا الانفصال »[٧٧].

ولعل أوسع دراسة اتخذت من مستويات التحليل الثلاثة قراءة ومنهجا كتاب « خصائص الاسلوب في الشوقيات » للدكتور محمد الهادي الطرابلسي إذ تعرض لمستوى المسموعات، والملموسات، والمرئيات، وهياكل الكلام، كالهيكل الخارجي والهيكل الداخلي ، وأساليب أقسام الكلام ، أي أن الدراسة شملت كل مايدخل في البلاغة العربية ، وما شاع في الدراسات الأجنبية من قضايا أسلوبية وإحصائية[٧٨].

وهذا المنهج الذي يدعو اليه البلاغيون الجدد والأسلوبيون لا يخرج عن بحوث البلاغة العربية وهي :

١ ـ الفصاحة : التي أفاض النقاد والبلاغيون في بحثها كابن سنان الخفاجي الذي عقد فصولا في كتابه « سر الفصاحة » للاصوات والحروف والكلام واللغة واللفظة المفردة واللفظة المؤلفة ، وكابن الاثير الذي أقام المقالة الاولى في « المثل السائر » على اللفظة المفردة والالفاظ المركبة.

٧٧ـ نفسه ص ٩٣ .

٧٨ـ تنظر مقدمة خصائص الاسلوب في الشوقيات ص ٩ـ١٤ للوقوف على اهداف الباحث ومنهجه ، وينظر تحليل الدكتور المسدي لقصيدة (ولد الهدى) لشوقي في كتابه النقد والحداثة ص ٦١ للموازنة بين تحليله وتحليل الطرابلسي ، ولمعرفة مستويات التحليل في دراسات اخرى ينظر نظرية البنائية ص ٢٤١ ، الشعرية لتودوروف ص ٣٠ ، بنية اللغة الشعرية ص ٥١ في أصول الخطاب النقدي الجديد ص ١٣ ١٣ ، جمرة النص الشعري ص ٢٠٢ ، التركيب اللغوي ص ١١٠ ، أثر اللسانيات في النقد العربي الحديث .

٢ ــ علم المعاني : الذي يبحث في التراكيب وأبنية التعبير .

٣ ــ علم البيان : الذي يبحث في التصوير كالتشبيه ، والمجاز بأنواعه والكناية .

٤ ــ علم البديع : الذي يبحث في فنون لها صلة بالايقاع والمعنى والتزيين ، وهو ما سُمّيَ المحسنات اللفظية والمعنوية .

وكنا قد نقدنا هذا المنهج نقداً شديدا في كتابنا « البلاغة عند السكاكي» ولكن بدأت العودة اليه وجاء الدور ووقع النقاد في النمطية ؛ لانهم قرأوا النص في ضوء المستويات التي حددتها بعض الدراسات الأسلوبية ، وهذه قراءة غير بريئة لأنها تخرج الناقد عن روح النص وما فيه من طاقات إبداعية متفجرة تميزه عن غيره من النصوص .

إن قراءة النص قراءة دقيقة هي المنطلق في تحليله تحليلا يخرج على المألوف إذ تظهر فيه خصائص أسلوبية لم ترد في غيره من النصوص ولم ترصدها كتب البلاغة والنقد . وليس كل قارىء بقادر على ذلك ، وإنما هو القارىء المثالي الذي تنوعت ثقافته ، وامتدت الى آفاق رحيبة وطالت تأملاته ، ونضجت ممارساته ، وصفا طبعه ، وكان ذا ذوق رفيع .

وصفوة القول : إن قراءة النص الشعري لا تقتصر على المنهج البنيوي، لأن هذه القراءة تمثّل جانبا من جوانب النص ، وهو جانب عالجته البلاغة العربية ولا سيما علم المعاني الذي انطلق من نظرية النظم التي فصّلَ القول فيها عبدالقاهر الجرجاني في كتابه « دلائل الاعجاز » ومن هنا كانت العودة الى البلاغة وتجديدها ضرورية ، وليس صحيحا ما ذهب اليه الدكتور تمام حسان من أن البلاغة « تتناول جانبا من جوانب النقد الشكلي »[٧٩] ، وإنما هي منطلق التحليل الأسلوبي ، بعد أن تغير الحكم المسبق المعادي لها عند الالسنيين ، إذ « اعترفت الاسلوبية بدَيْنها نحو هذا العلم العتيق في الوقت

٧٩ــ التراث اللغوي العربي ص ١٠٥ .

نفسه تحاول فيه تجديده »[٨٠] ، وما علم النص إلا محاولة لتجديد البلاغة أو هو الممثل الحديث لها •

إن دراسة المستويات الاسلوبية قد تفتح مغاليق النص ، وتظهر سماته وخصائصه ، ولكن النص ليس تراكيب لغوية وصوراً بلاغية فحسب ، وإنما هو جلاء لفكر ، وتعبير عن موقف ، وتصوير لابداع ، ولذلك لابدّ من أن تقف قراءة النص على معناه وإطاره العام ، وهو ما يدخل في منهج التفسير بغية الايضاح لأن المعنى مهم ، ولا يعقل أن الشاعر حينما ينظم قصيدته ينطلق من العدم أو يعبر عن اللاشيء ومثل ذلك موقفه من الحياة ومنطلقاته الفكرية ومواقفه العقائدية •

والنص ـ مهما كان إبداعيا ـ لا ينفصل عن غيره ، من النصوص ، بل قد يكون خلاصة نصوص كثيرة تدخل عن وعي أو عن لا وعي ، نتيجة عكوف الشاعر على قراءة نتاج الآخرين • وقد وقف القدماء عند هذه المسألة ، وسموها السرقة أو الأخذ أو التضمين وهو لون من التأثر لا ينجو منه أحد ، واهتم المعاصرون بها وهم يتحدثون عن التناص[٨١]، وبذلك تظهر صلة النص بغيره من النصوص ، ويتضح التقليد والتجديد وتبدو قدرة الشاعر على الابداع •

تلك صفحات ألقت بعض الضوء على قراءة النص ، ووقفت طويلا عند القراءة الأسلوبية لأنها الشائعة الآن ، وقد أتضح أنها تمثل لونا من القراءة لا تخدم إلاّ التحليل الأسلوبي أو المنهج الالسني ، ولا تظهر إلاّ جانباً من جوانب النص وبذلك لا تمثل النقد الأدبي كله ، وإنما تمثل اتجاها أو منهجا

٨٠ـ بنية اللغة الشعرية ص ٤٧ .

٨١ـ لمعرفة وجهات النظر فيه ينظر عصر البنيوية ص٢٧٧ ، في اصول الخطاب النقدي الجديد ص ٩٩ تحليل الخطاب الشعري ص ١١٩ ، الخطيئة والتكفير ص ٣٢٠ شفرات النص ص ١٣١ .

من مناهجه ، ويبقى النص يدعو من يقرأه عدة قراءات متنوعـة ليفتح فضاءاته ويجلوه خير جلاء .

ولعل النقد العربي المعاصر لا يكون رهين المحبسين ، وإنما ينطلق في فضاء رحيب ليأخذ مساره الأصيل ، وتتضح سماته ، وتبدو خصائصه ، ويبقى السؤال الحائر :

أيستطيع النقد العربي أن يخرج عما أُقيم حوله من أسوار يمثل بعضها النقد القديم ، ويمثل بعضها ما تخطاه النقد الجديد ؟

إنه سؤال تصعب الاجابة عنه في ظل الصراع الذي تشهده حركة النقد، وفي حومة السباق الذي لا يترك فرصة للتأمل ولا يطلق الفكر من قيـود ألفها بعض النقاد .

المصـادر : ـ

١ ـ اتجاهات البحث الاسلوبي ـ اختارهـا وترجمها الدكتـور شكري محمد عياد . الرياض ١٤٠٥ هـ ـ ١٩٨٥ م .

٢ ـ اتجاهات النقد الحديث في سورية ـ الدكتور جميل صليبا القاهرة ١٩٦٩ م (تنظر ص ٤٥ ، ١٥٣ ، ١٧٣) .

٣ ـ اتجاهات النقد الرئيسية في القرن العشرين ـ رينيه ويليك . ترجمة ابراهيم حمادة بحث نشر في مجلة فصول المجلد الاول الجزء الثالث . القاهرة ـ نيسان ١٩٨١ م (تنظر ص ٢٣٣) .

٤ ـ أثـر اللسانيات في النقـد العربي الحديث ـ توفيـق الزيـدي . تونس ١٩٨٤ م

٥ ـ أسرار البلاغة ـ عبد القاهر الجرجاني . تحقيق هـ . ريتر . استانبـول ١٩٥٤ م .

٦ ـ الاسلوب (دراسة لغوية احصائية) الدكتور سعد مصلوح . القـاهرة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م . (تنظر ص١٣) .

٧ ـ الأسلوب والاسلوبية (مدخل في المصطلح وحقول البحث ومناهجه) احمد درويش بحث نشر في مجلة فصول المجلد الخامس ـ الجـزء الاول . القاهرة ـ كانون الاول ١٩٨٤ م .

٨ ـ الأسلـوب والاسلوبيـة ـ بييـر جـيرو ـ ترجمـة منـذر عياشـي بيروت .

٩ ـ الأساوب والاسلوبية ـ كراهم هوف . ترجمة كاظم سعد الدين . بغداد ١٩٨٥ .

١٠ـ الا سلوبية الى اين ؟ الدكتور احمد مطلوب . بحث نشر في مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد التاسع والثلاثون ـ الجزء الاول . بغداد محرم ١٤٠٩ هـ ـ أيلول ١٩٨٨ م .

١١ـ الأسلوبية الحديثة (محاولة تعريف) الدكتور محمـود عياد . بحث نشر في مجلة فصول المجلد الاول ـ الجزء الثاني ١٩٨٣ م .

١٢ـ الأسلوبية والاسلوب ـ الدكتور عبد السلام المسدي . الطبعة الثانية ـ تونس ١٩٨٢ م .

١٣ـ اعجاز القرآن ـ ابو بكر محمد بن الطيب الباقلاني . تحقيق السـيد احمد صقر . القاهرة ـ دار المعارف .

١٤ـ اقنعة النص ـ سعيد الغانمي . بغداد ١٩٩١م .

١٥ـ الألسنية والنقد الادبي في النظرية والممارسة ـ الدكتور موريس ابو ناضر بيروت ١٩٧٩م .

١٦ـ امبيرتوايكو (ملف) نشر في مجلة العرب والفكـر العالمي ، الجزء الخامس شتاء ١٩٨٩م .

١٧ـ بحوث لغوية ـ الدكتور احمد مطلوب . عمـان ١٩٨٧ م .

١٨ـ بلاغة الخطاب وعلم النص ـ الدكتور صلاح فضل (عالم المعرفة ١٦٤). الكويت ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م .

١٩ـ البلاغة عند السكاكي ـ الدكتور احمـد مطلـوب . بغداد ١٣٨٤هـ ـ ١٩٦٤م .

٢٠ـ البلاغة والاسلوبية ـ الدكتور محمد عبدالمطلب . القاهرة ١٩٨٤م .

٢١ـ البلاغة والاسلوبية ـ هينريش بليت . ترجمة الدكتـور محمد العمري . الدار البيضاء ١٩٨٩م .

٢٢ـ بناء النص التراثي (دراسات في الأدب والتراجم) الدكتورة فدوى مالطى دوجلاس ـ بغداد ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

٢٣ـ البنيات الأسلوبية في لغة الشعر الحديث ـ الدكتور مصطفى السعدني. الاسكندرية ١٩٨٧م .

٢٤ـ بنية الخطاب النقدي ـ الدكتور حسين خمري . بغداد ١٩٩٠م (تنظر ص٧٩) .
٢٥ـ بنية اللغة الشعرية ـ جان كوهن . ترجمة محمد الولي ومحمد العمري. الدار البيضاء ١٩٨٦م .
٢٦ـ البنيوية ـ جان ماري اوزياس وآخرون . ترجمة ميخائيل مخول . دمشق ١٩٧٢م .
٢٧ـ البنيوية التكوينية والنقد الادبي (دراسات مترجمة لجولدمان وغيره) راجعها محمد سبيلا . بيروت ١٩٨٤م .
٢٨ـ البنيوية فلسفة موت الانسان ـ روجيه جارودي . ترجمة جورج طرابيشي . بيروت ١٩٧٩م .
٢٩ـ البنيوية في الأدب ـ روبرت شولز . ترجمة حنا عبود . دمشق ١٩٨٤.
٣٠ـ تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) الدكتور محمد مفتاح. الدار البيضاء ١٩٨٥م .
٣١ـ التراث اللغوي العربي ـ الدكتور تمام حسان . بحث نشر في مجلة فصول ، المجلد الاول ـ الجزء الاول . القاهرة . تشرين الأول ١٩٨٠م .
٣٢ـ التركيب اللغوي للادب (بحث في فلسفة اللغة والاستطيقا) الدكتور لطفي عبد البديع . القاهرة ١٩٧٠م .
٣٣ـ تشريح النص ـ الدكتور عبدالله محمد الغذامي . بيروت ١٩٨٧م.
٣٤ـ تشريح النقد ـ نور ثرب فراي . ترجمة الدكتور محمد عصفور . عمان ١٤١٢هـ ١٩٩١م . (تنظر ص٣٧ ، ٨٧ ، ١٦٣ ، ٣١١) .
٣٥ـ تطور النقد العربي الحديث في مصر ـ الدكتور عبدالعزيز الدسوقي . القاهرة ١٩٧٥م (تنظر ص٣٨٩ ، ٤٠٧ ، ٤٤١ ، ٤٥٧ ، ٤٧٤) .
٣٦ـ التفسير النفسي للادب ـ الدكتور عز الدين اسماعيل . القاهرة ١٩٦٣م . (تنظر ص ١٦ ، ٢٠) .
٣٧ـ جدلية الخفاء والتجلي (دراسات بنيوية في الشعر) الدكتور كمال أبو ديب . بيروت ١٩٧٩م .
٣٨ـ جماليات الاسلوب (الصورة الفنية في الادب العربي) الدكتور فايز الداية . الطبعة الثانية ـ دمشق ـ بيروت ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م
٣٩ـ جمرة النص الشعري (مقدمات نظرية في الفاعلية والحداثة) الدكتور عز الدين المناصرة عمان ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٥م .
٤٠ـ الخصائص ـ أبو الفتح عثمان بن جني . تحقيق محمد علي النجار القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م .

٤١ـ خصائص الأسلوب في الشوقيات . الدكتـور محمد الهادي الطرابلسي . تونس ١٩٨١م .
٤٢ـ الخطيئة والتكفير (من البنيوية الى التشريحية) ـ الدكتـور عبدالله محمد الغذامي . جدة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٤٣ـ دراسـات في النص الشعري (عصـر صدر الاسلام وبني أميـة) الدكتور عبده بدوي . الكويت ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٧م .
٤٤ـ دراسات في النص الشعري (العصر العباسي) الدكتور عبده بدوي . الطبعة الثانية ـ الرياض ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٤م .
٤٥ـ دراسات في الواقعية ـ جورج لوكاتش ـ ترجمـة الدكتور نايف بلوز . دمشق ١٩٧٠م (الكتاب كله في المنهج الواقعي) .
٤٦ـ دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي ـ حسين مروة . بيروت ١٩٦٥م (الكتاب كله في المنهج الواقعي) .
٤٧ـ دراسة الادب العربي ـ الدكتور مصطفى ناصف . الطبعة الأولى ـ القاهرة.
٤٨ـ دلائل الاعجاز ـ عبد القاهر الجرجاني ـ تحقيق محمود محمـد شاكر. القاهرة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
٤٩ـ دليل الدراسات الأسلوبية ـ الدكتور جوزيف ميشال شريم . بيروت ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .
٥٠ـ دور الكلمة في اللغة ـ ستيفن اولمان . ترجمة الدكتور كمال محمـد بشر . الطبعة الثالثة ـ القاهرة ١٩٧٣م .
٥١ـ الرؤى المقنعة (نحو منهج بنيوي في دراسـة الشعر الجاهلي) ـ الدكتور كمال ابو ديب . القاهرة ١٩٨٦م .
٥٢ـ سر الفصاحة ـ ابو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي . تحقيق عبدالمتعـال الصعيدي . القاهرة ١٣٧٢هـ ـ ١٩٥٣م .
٥٣ـ الشعر والشعراء ـ ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبـة . تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة ١٩٦٦م .
٥٤ـ الشعرية ـ تزفيتان تودوروف . ترجمة شكري المبخوت ورجاء بـن سلامة . الدار البيضاء .
٥٥ـ شفرات النص ـ الدكتور صلاح فضل . القاهرة ١٩٩٠م.
٥٦ـ ظاهرة الشعر المعاصر في المغرب (مقاربة بنيوية تكوينية) محمد بنيس. الطبعة الثانية ـ الدار البيضاء ١٩٨٥م (تنظر ص ١٨ ، ١٩) .
٥٧ـ عبدالقاهر ونقـد النص الشعري ـ الدكتـور احمد مطلوب . بحـث نشر في مجلـة المجمـع العلمي . المجلد الثالث والاربعـون ـ الجـزء الاول . بغداد ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

٥٨ـ عشـرة ادبـاء يتحدثـون ـ فؤاد دوارة (كتـاب الهـلال ١٧٢) القاهرة ١٣٨٥هـ ـ ١٩٦٥م . (تنظر ص٢٠٩) .
٥٩ـ عصر البنيوية من ليفي شتراوس الى فوكو ـ اديث كيرزويل . ترجمـة الدكتور جابر عصفور . بغداد ١٩٨٥م .
٦٠ـ علم الاسلوب ـ مبادئه واجراءاته ـ الدكتور صلاح فضل . الطبعـة الثانية ـ القاهرة ١٩٨٥م .
٦١ـ علم النفس والأدب ـ الدكتور سامي الدروبي . القاهرة دار المعـارف (تنظر ص ٢٥٣) .
٦٢ـ في الادب والنقد ـ الدكتور محمد مندور . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م . (تنظر ص٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٥ ، ١٧ ، ٣٩) .
٦٣ـ في اصول الخطاب النقدي الجديد ـ ترجمة احمد المديني . بغـداد ١٩٨٩ م .
٦٤ـ في سبيل الواقعية ـ بيلينسكي وتشير نيشفكي ودوبرليوبو ف . ترجمة الدكتور جميل نصيف والدكتورة حياة شرارة . بغداد ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٤م (تنظر ص ٤١٣ ، والكتاب في المنهج الواقعي) .
٦٥ـ في معرفة النص الدكتورة حكمة صباغ الخطيب (يمنى العيد) . الطبعة الثالثة ـ بيروت ١٩٨٥ م .
٦٦ـ في الميزان الجديـد ـ الدكتور محمد مندور . الطبعة الثانيـة ـ القاهرة (تنظر ص ٩٥ ، ١٢٩) .
٦٧ـ قراءة في لوسيان جولدمـان عـن البنيوية والتوليديـة ـ الدكتور جابر عصفور . بحث نشر في مجلة فصول المجلد الاول ـ الجز ءالثاني ـ كانون الثاني ـ ١٩٨١م .
٦٨ـ قراءة نقديـة في قصيدة حياة تقاسيم ضاحـي بن وليد الجديدة للشاعر علي الشرقاوي ـ الدكتور علوي الهاشمي . بغداد ١٩٨٩م .
٦٩ـ لذة النص ـ رولان بارت . ترجمة فؤاد صفا والحسين سبحان . الدار البيضاء ١٩٨٨م .
٧٠ـ المثل السائر في ادب الكاتب والشاعر ـ ابو الفتح ضياء الدين نصرالله ابـن محمد بن محمد عبدالكريم المعروف بابـن الاثـير الموصلي . تحقيق محمد محيي الديـن عبد الحميد . القاهرة ١٣٥٨هـ ـ ١٩٣٩م .
٧١ـ محمد مندور وتنظير النقد العربي ـ الدكتور محمد برادة . بـيروت ١٩٧٩م . (تنظر ص ١٥٥) .

٧٢- مدخل الى علم الاسلوب - الدكتور شكري محمد عياد . الرياض ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م .
٧٣- مدخل لجامع النص - جيرار جينيت . ترجمة عبد الرحمن أيوب . بغداد ١٩٨٦ م .
٧٤- المدرسة الواقعية في النقد العربي الحديث . حنا عبود . دمشق ١٩٧٨ م . (الكتاب كله في المنهج الواقعي) .
٧٥- مشكلة البنيوية (أو اضواء على البنيوية) - الدكتور زكريا ابراهيم . القاهرة .
٧٦- معايير تحليل الاسلوب - ميكائيل ريفاتير . ترجمة الدكتور حميد الحمداني . الدار البيضاء١٩٩٣م .
٧٧- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة - الدكتور سعيد علوش . بيروت ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .
٧٨- المعنى الأدبي من الظاهراتية الى التفكيكية - وليم راي . ترجمة الدكتور يوئيل يوسف عزيز . بغداد ١٩٨٨ م .
٧٩- مفاهيم نقدية - رينيه ويليك . ترجمة الدكتور محمد عصفور (عالم المعرف ١١٠) الكويت ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م (تنظر ص٤٦٨ ، ٤٧٠ ، ٤٧٥ ، ٤٨١ ، ٤٨٢) .
٨٠- مناهج النقد الادبي بين النظرية والتطبيق - ديفد ديتش . ترجمة الدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٦٧ م (تنظر ص ٣٣٤ ٤٣٣ ، ٤٦٩ ، ٤٩٧ ، ٥٢٣ ، ٥٤٩) .
٨١- منهج الواقعية في الابداع الادبي - الدكتور صلاح فضل . القاهرة ١٩٧٨م . (الكتاب في المنهج الواقعي) .
٨٢- من الوجهة النفسية في دراسة الادب ونقده - محمد خلف‌الله احمد الطبعة الثانية - القاهرة ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م . (تنظر ص ٣٤ ، ٣٩ ، ١٠٦ ، ١٤٣ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٢٠٩) .
٨٣- الموضوعية البنيوية (دراسات في شعر السياب) عبد الكريم حسن . بيروت ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .
٨٤- النص الادبي من أين والى أين ؟ الدكتور عبدالملك مرتاض . الجزائر ١٩٨٣م .
٨٥- النص (بناه ووظائفه - مقدمة أولية لعلم النص) تون ا . فان ديجك . ترجمة جورج أبي صالح . بحث نشر في مجلة العرب والفكر العالمي - الجزء الخامس شتاء ١٩٨٩ م .

٨٦ـ نظرية الأدب ـ أوستن وارين ورينيه ويليك . ترجمة محيي الدين صبحي . دمشق ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م . (تنظر ص١٠١) .
٨٧ـ نظرية البنائية في النقد الأدبي ـ الدكتور صلاح فضل القاهرة ١٩٧٨م. (تنظر ص ٤٩ ، ١٠٠) .
٨٨ـ النقد الادبي ـ وليم فان اوكونور . ترجمة صلاح حامد ابراهيم . بيروت ١٩٦٠م (تنظر ص١٦٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٢) .
٨٩ـ النقد الادبي ـ اصوله ومناهجه ـ سيد قطب . الطبعة الثانية ـ القاهرة ١٩٥٤م . (تنظر ص ٩٩، ١١٠ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٧٩ ، ٢٢٠) .
٩٠ـ النقد الأدبي ـ اصوله واتجاهاته الدكتور احمد كمال زكي . القاهرة ١٩٧٢م (تنظر ص١٢٧ ، ١٦٩ ، ١٩٧) .
٩١ ـ النقد الادبي في سورية ـ نبيل سليمان بيروت ١٩٨٠م . (ينظر ج١ ص ١٥٧ ، ١٩٧ ، ٢٢١ ، ٢٥٩) .
٩٢ـ النقد الادبي ومدارسه الحديثة ـ ستانلي هايمان . ترجمة الدكتور احسان عباس والدكتور محمد يوسف نجم . بيروت ١٩٥٨ م (تنظر ج١ ص ١٣٢ ، ٤٤٤ ، ج٢ ص ٥٤ ، ١١٦ ، ١٨٣ ، ٢٤٥) .
٩٣ـ النقد الفني ـ اندريه ريشار . ترجمة صياح الجهيم . دمشق ١٩٧٩م . (تنظر ص٨ ، ٣٥ ، ٥٢ ، ٧٩ ، ١٢٥ .
٩٤ـ النقد المنهجي عند العرب ـ الدكتور محمد مندور . القاهرة .
٩٥ـ النقد والحداثة ـ الدكتور عبد السلام المسدي . بيروت ١٩٨٣م .
٩٦ـ النقد والحقيقة ـ رولان بارت . ترجمة ابراهيم الخطيب . الرباط ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م .
٩٧ـ النقد والنقاد المعاصرون ـ الدكتور محمد مندور . القاهرة . (تنظر ص ٢٢٨) .
٩٨ـ الوساطة بين المتنبي وخصومه ـ علي بن عبدالعزيز الجرجاني . تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثانية ـ القاهرة .



الأتمتة والمعلومات ... بعض تقانات المستقبـــل

الاستـــاذ الدكتور داخل حسن جريو
رئيس الجامعة التكنولوجية
عضو المجمع العلمي

مقدمـــــــة

تتجه الدول المتقدمة اليوم نحـــو مجتمعات جديدة بسبب الثورة العلمية والتقنية التي باتت تلعب دوراً كبيراً بتغيير مناحي الحياة المختلفة • وتعـرف هذه المجتمعات الجديدة بمجتمعات عصر ما بعد الصناعة ، وهـــي مجتمعـــات ينتقل فيها النشاط الاقتصادي من انتاج البضائع الى الاقتصاد القائـــم علـــى الخدمات حيث يقل عدد العاملين في القطاع الصناعـــي ويـــزداد في قطاع الخدمات من فنادق ومصارف ومطاعم وأعمال حرة وما الى ذلك ، وهكذا ينتقل الاقتصاد من اقتصاد المصانع الى اقتصاد السوق ، ويحـــل الانســـان الآلـــي (الروبـــوت) محل الانسان في انجاز معظم العمليات الصناعية ، وبخاصـــة العمليات الصناعيـــة الرتيبـــة • ويتوقـــع أن يؤدي ذلك الى زيـــادة الكفاءة الانتاجية وتخفيض كلفة المنتوج وتحسين نوعيته من جهة ، والاستغنـــاء عـــن خدمات معظم العاملين في المصانع من جهة أخرى ، وبالتالي تفاقـــم مشكلـــة البطالة • ويخشى من جراء ذلك أن تسعى الدول الكبرى الى ايجاد منـــــافذ خارجية لبسط نفوذها وإحكام سيطرتها على ثروات ومقدرات الشعوب الأخرى تحت هذه الذريعة أو تلك كما هو واضح الآن حيث تسعى الولايات المتحـــدة الأمريكية تحت يافطة النظام الدولي الجديد والشرعية الدوليـــــة وحقـــوق الانسان وما شابه ذلك الى السيطرة والتحكم بالدول الاخرى بعامـــة ودول العالم الثالث بخاصة • كما أنها تسعى بكل الوسائل الى احتكار حلقات العلوم

والتقانة المتقدمة ومنع الدول الأخرى من امتلاكها ، لذا يتطلب الأمر منا جميعا أن نحث الخطى ونحن على أعتاب القرن الحادي والعشرين للدخول بقوة في عصر ما بعد الصناعة أي عصر الثورة التقنية لتأمين المكانة اللائقة لأمتنا بين أمم العالم المتقدمة . سنسلط الضوء في هذه الدراسة على بعض مفاهيم الأتمتة وتقانة المعلومات وملامح عصر القرن القادم عصر ما بعد الصناعة .

الاتمتة AUTOMATION

سعى الانسان منذ بدء الخليقة الى السيطرة والتحكم بالموارد الطبيعية وتسخيرها لخدمته وتحقيق أغراضه وقد اعتمد في العصور الأولى على قدراته الذاتية وقدرات الحيوانات لتحقيق ذلك ، استعان بعدها بالآلات والمعدات يدوية التشغيل لتحقيق أداء الاعمال المطلوبة ، واستمرت الحال على ذلك حتى بداية القرن الحالي حيث أنجزت بعدها أعمالا كثيرة في مجال منظومات السيطرة التلقائية والتحكم الآلي وبخاصة في مجالات القدرة وصناعة الطائرات والصناعات الكهربائية ، وأدت متطلبات صناعة منظومات أسلحة متطورة من غواصات وطائرات وما شابهها الى تطور كبير في منظومات التحكم الآلي قبل وبعد الحرب العالمية الثانية ، وبصناعة الحواسيب الألكترونية وتطور العلوم الألكترونية تحولت دراسة منظومات التحكم الآلي الى علم قائم بذاته ، وأخيراً دفع عصر الفضاء وسباق التسلح هندسة التحكم الآلي الى تطور وتقدم هائل جدا لم يسبق له مثيل[١١] .

تعرف الأتمتة على أنها التقنية التي تعني بالسيطرة والتحكم بالمنظومة System لأداء وظيفة معينة (١) وقد شاع استعمال مصطلح الأتمتة لأول مرة في صناعة السيارات حيث ساعدت عمليات الأتمتة اصحاب المصانع كثيراً بزيادة الانتاجية وضبط الجودة .

تستند الأتمتة على أسس ومفاهيم التحكم الآلي وبالتالي على نظرية التغذية الراجعة Feedback theory وهي لا تقتصر على حقل معين بل انها

تمتد لجميع الحقول الهندسية وتخصصاتها المختلفة بل ولعلوم أخرى كالعلوم الاقتصاديـة مثلاً .

لقد طبقت ظريات الأتمتة بنجاح فيمنظومات اجتماعيـة واقتصاديـة عديدة في الدوائر الحكومية والمؤسسات ، وكذلك في العلوم الزراعية والعلوم الطبيـة وغـيرها .

استخدمت التغذية الراجعة للتحكم بمنظومة السيطرة منذ زمـن بعيد حيث يعتقد أن أول استخدام لسيطرة التغذية الراجعة كان في منظومة العوامة regulator float للتحكم بالمستوى وذلك في زمن الأغريق بحدود الفترة بين (٣٠٠) قبل الميلاد الى (١) قبل الميلاد استخدمت الآليةللحفاظ على مستوى المـاء في الساعات المائيـة ومستوى الزيت في المصابيـح الزيتية . منظمـات الضغط للمراجل البخارية (مشابهة لصمامات طباخ الضغط) التي أعتبرت على انها اكتشافات حديثة ، هي في حقيقة الأمر كانت معروفة ومستعملة منذ القرن السابع عشر الميلادي ، اخترع جيمس واط حاكـم كرة السرعة في العام ١٧٦٩ للتحكم بسرعة الماكنـة البخارية والذي ما يزال استخدامه فـي العديد مـن منظومات تحكم السرعة الصناعية .

ساعدت الاختراعات الحديثة على تطوير التحكم الآلي لغاية عام ١٨٦٨ عندماوضع العالمماكسويل Maxwell نموذجا رياضيا (المعادلـة التفاضليـة) لوصف المنظومة ، لقد بين تأثير أجزاء المنظومة على أداء المنظومة ، كما أوضح مفهوم دقة المنظومة على حساب تدهور أتزانها . ومنذ ذلك الحـين أصبـح التحكم الآلي وبالتالي الأتمتة علما من العلوم وليس فنا من الفنون . وتعتبر الحرب العالمية الثانية نقطة الانطلاق الكبرى لعلم الأتمتة اذ أدت فـي هـذه الفترة الأبحـاث المركزة في حقـل التحكم الآلي الى تطويره وتحويلـه الى تخصص محدد . وقد ساعدت الحاجة الملحة الى تصميـم أجهزة ومعدات عسكرية متطورة على اعطاء دفعة كبيرة الى الامام في الأتمتـة من خـلال

ايجاد طرائق ونظريات جديدة . ومن هذه الطرائق تقنيات مجال التردد لتحليل وتصميم المنظومات مع زيادة استخدام مستوى التردد العقـــدي وتحويلة لابلاس ، وقــد قــوت الاعمال المتميــزة للعلمــاء نايكوست H.Nyquist معيار نايكوست ١٩٣٢) وبــودH. W. Bode (مخططات نكلس ١٩٤٧)وايفان N. R. Evans (المحل الهندسي للجذور ١٩٤٨) وبوبوف V. M. Popov (معيار بوبوف للاتــزان ١٩٩٥) وآخريــن تخصص هندســة التحكم الآلي [٢ ، ٤ ، ٥] بحيث أصبح يدرس في المعاهد والكليات والجامعات .

وتشهد الأتمتة وهندسة التحكم الآلي تطوراً مذهلاً في عصرنا الــراهن حيث انها تلعب دوراً هامــاً بتشغيل العديــد من المصانع بصــورة تلقائية أو شبه تلقائية وبخاصــــة في بعض مشاريع المفاعــلات النووية والصناعــات الكيميائية وتسيير المركبات الفضائية والتحكم بمسارات وحركــة الاقمار الصناعية وتوجيهها عن بعد ، ناهيــك عن الصناعــات الحربيــة والأسلحــة الستراتيجية المختلفة . ويخشى البعض أن تؤدي عمليات الأتمتة واسعة النطاق والتكلفة المنخفضة الى الاستغناء عن الأيدي العاملة أكثر فأكثر ، وبالتالي الى خلق مشكلات اجتماعيــة قد تصعب السيطرة عليها اذا لم يتم التصدي لهــا وفق رؤية انسانية تأخذ بالاعتبار الموازنة بين متطلبات التقدم التقني وتــأمين فرص المنافســة القوية في أســواق التجارة الداخليــة والخارجيــة لتسويق منتوجاتها ذات النوعية الجيدة والتكلفة المناسبة من جهة، وبين تأمين فرص العمل لمواطنيها وتوظيف قدراتهم بصورة اكثر خلقاً وابداعاً بالاستفادة من معطيات العلم والتقانة الحديثة ، وقدر تعلق الامر بقطرنا العراقي ومعظم أقطار وطننــا العربي فان الأتمتة وهندسة التحكم الآلى قد تكون الحل المناسب فــي القرن القادم للكثير من مشاكل التنمية ذلك ان هذه الاقطار في معظمها تعانــي مــن شحة واضحة في اعداد القوى العاملة عاليةالتدريب والتأهيل التقني ، لــذا فان تدريب أعداد قليلة منها في تخصصات تقنية حديثـــة ومتطورة تلامس

حافات العلوم والتقانة المتقدمة قد يكون أكثر جدوى اقتصادية من استخدام تقانات تقليدية تستخدم فيها أيادي عاملة كثيرة سيما وان حجم السكان في العديد من هذه الأقطار قد لايلبي متطلبات التنمية المنشودة في ضوء امكاناتها المادية ومواردها الطبيعية وتحقيق طموحاتها المشروعة بالافلات من قبضة التخلف والانتقال الى مصاف الدول الأكثر تقدماً في العالم في القرن الحادي والعشرين ، والأتمتة هنا قد تكون حلاً مناسباً لمعظم معضلات بلادنا التقنية اذ ما أحسن التعامل معها وفق منظور ستراتيجي لنقل وتوطين التقانات المتقدمة حيث ستتم أتمتة العمليات الصناعية آلياً دون الحاجة الى قوة عمل كبيرة ، وانما الاكتفاء بأعداد قليلة من المهندسين والتقنيين لأغراض التشغيل وادامة وصيانة الآلات والمعدات فقط ، وبالاضافة الى جدوى الأتمتة التقنية فانه يعتقد انها تحقق جدوى اقتصادية ممتازة في معظم الأحيان وبخاصة في الأقطار التي تعاني من شحة في الأيدي العاملة ودرجة عالية من التطور العلمي والتقني • لذا فلا عجب أن استخداماتها واسعة في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان وبعض أقطار اوربا الغربية •

تحكم الحاسوب COMPUTER CONTROL

ظهرت فكرة استخدام الحاسوب في عمليات التحكم الآلي خلال الخمسينات ، استخدمت الحواسيب التناظرية كمتحكمات على الخط مباشرة في عمليات متصلة كما في صناعة الحديد والورق •

وفي الوقت نفسه تقريبا وجد أن بالامكان الاستفادة من القدرة الهائلة للحواسيب الرقمية في العديد من تطبيقات عمليات التحكم الآلي • وقد بدأت الجهود الحثيثة باستخدام تحكم الحاسوب الرقمي عام ١٩٥٥ ، وبعد دراسة دامت حوالي ٣٠ سنة تم نصب منظومة تحكم حاسوب لوحدة بلمرة في تكساس وتشغيلها في الثاني عشر من آذار عام ١٩٥٩ ، تتحكم هذه المنظومة بـ ٢٦ سريان و ٧٢ درجة حرارة و٣ تراكيب(٦) • لقد لفت هذا الانجاز الكبير

في مجال تحكم الحاسوب بالعمليات الصناعية أنظار الصناعيين ومصنعي الحواسيب والباحثين على حد سواء ، لقد وجد فيه الصناعيون امكانية كبيرة لزيادة عمليات الأتمتة ووجد فيه مصنعو الحاسوب سوقا جديدة رائجة ، ووجد فيه الباحثون وأساتذة الجامعات مجالا خصبا للبحث العلمي ، لقد أدى كل هذا الى تطورهائل في تقنية التحكم الآلي وتطبيقات الحاسوب.

تعتبر كلفة الحاسوب العامل الأساسي في تنفيذ منظومة تحكم الحاسوب، وتزداد كلفة المتحكمة التناظرية طرديا مع زيادة دارات التحكم ، أما منظومة تحكم الحاسوب الرقمي فانها أرخص للمنظومات الكبيرة ، كما أن لها مزايا أخرى عديدة مثل سهولة اتصال المشغل بها ، وواجهة اجهزتها الرقمية وتنفيذ خوارزميات التحكم المعقد ، وتقليل المداخلات البشرية وهي أمور جميعها تعطي الحواسيب الارجحية لاستخدام الحواسيب الرقمية في عمليات التحكم الآلي .

لقد صنع أول معالج مايكروي microprocessor في الولايات المتحدة الأمريكية من قبل شركة أنتل Intel عام ١٩٧١ مؤشرا عصرا جديدا هو عصر الحواسيب المايكروية microcomputers .

شهدت صناعة الحاسوب في السنوات الأخيرة تطورا مذهلاً بسبب التطور الحاصل في تقانة التكامل الواسع النطاق جداً Very Large Scale Integration Technology المعروفة اختصاراً (V L S I) ، أضافة الى زيادة سعة ذاكرات أشباه الموصلات وصغر ورخص الحاسوب الأمر الذي أدى استخدامات واسعة للحاسوب ليس في الصناعة فحسب ، بل وفي جميع مناحي الحياة . لذا يتوقع ازدياد الحاجة اكثر فأكثر الى تقانة المعلومات في القرن القادم باعتبار ان المعلومات ستشكل عصب الحياة الاقتصادية وأنشطة الحياة المختلفة ، ولمواجهة هذا الطلب فقد دعت الحاجة الى العناية الفائقة بانتاج برمجيات الحاسوب بمصداقية عالية

جداً حيث يتوقع أن يستخدم الحاسوب في بعض الأعمال التي قد تتطلب الخلق والابداع • لذا فان الجهود متجهة حالياً لانتاج ما يعرف بحاسوب الجيل الخامس ، تقسم الحواسيب طبقاً لمكوناتها[٧] كما هو مبين في الجدول رقم (١) :

جدول رقم (١) اجيال الحاسوب

الجيل	الفترة التقريبية	المكونات
١	١٩٤٦ – ١٩٥٨	الصمامات
٢	١٩٥٩ – ١٩٦٤	الترانزستر
٣	١٩٦٥ – ١٩٧٧	الدوائر المتكاملة (I C)
٣ر٥	١٩٧٨ – ١٩٨٣	التكامل الواسع النطاق (L S I)
٤	١٩٨٤ –	التكامل الواسع النطاق جداً (V L S I)

تمتاز الحواسيب المصنعة لحد الآن ببساطة مكونات معمارياتها وباعتمادها على البرمجيات لتنفيذ وظائفها المعقدة • لذا يؤمل أن تتغلب حواسيب الجيل الخامس على هذه المعضلة بتنفيذها المعلومات بالاستدلال والاستنتاج •. يؤدي حاسوب الجيل الخامس الوظائف الآتية :

١• حل المسائل ودوال الأستدلال والاستنتاج ويشمل ذلك الاستدلال المنطقي الضمني وغير الضمني بما في ذلك حزر المعلومات والمعلومات غير الكاملة لحل مسألةمعينة•

٢• دوال إدارة المعلومات وتشمل اكتساب الذاكرة واستخدام الأنواع المختلفة من المعلومات اللازمة لعمليات الاستدراك والاستنتاج •

٣• دوال الذكاء الاستدلالية وتشمل الاستدلالات الخارجية التي تستخدم اللغات الطبيعية (الجمل ، الأصوات) والصور والاشكال البيانية ، والتخاطب بها بصورة طبيعية •

٤• دوال البرمجة الذكية وتشمل الدوال التي تحول المسائل الى برامج بصورة تلقائية • وقد استخدمت تراكيب تقانات معمارية وأسس هندسية برمجية وذكاء اصطناعي مختلفة لتحقيق هذه الدوال •

وما زالت البحوث والدراسات مستمرة حتى وقتنا الحاضر لبناء حاسوب الجيل الخامس ، حيث تواجه هذه البحوث العديد من المخاطر الكبيرة والعوامل غير المعروفة تماماً • لذا يتوقع أن تستمر هذه البحوث والدراسات الى فترة قادمة ، بهدف مشروع بناء حاسوب الجيل الخامس الى خلق حاسوب يتعامل مع المعلومات والبيانات معاً وليس مع البيانات فقط كما هو عليه الحال الآن في الحواسيب الحالية •

لقد استخدمت مفاهيم الدماغ وشبكات الأعصاب في الحاسوب ويجري العمل حالياً على تطوير شبكة تفكير عصبية بخواص مقاربة لخواص منظومة الأعصاب البشرية • لقد أصبح انتاج منظومة سيطرة زمن حقيقي قوية برغم تغيير الظروف البيئية أمراً ممكناً في المستقبل القريب ، يتجه البحث في الوقت الحاضر باتجاهات عديدة متميزة مثل المعالجات المتوازية وتمثيل المعرفة وإدارة قاعدة المعرفة والذكاء الاصطناعي واستدلال الرموز وتمييز الكلام وتركيبه والادراك الحسي • اذا ما نجحت هذه البحوث اضافة الى قدرة حاسوب الجيل الخامس فان الأتمتة والتحكم الآلي منظومة حقيقية ستتخطى كل العقبات الحالية لصالح التقدم البشري •

التصميم بمعونة الحاسوب (CAD) والتصنيع بمعونة الحاسوب (CAM)

COMPUTER — AIDED DESIGN / MANUFACTURING

التصميم والانتاج وظيفتان مهمتان في أي مصنع انتاجي وتتألف كل وظيفة من عدد من الفعاليات • تعرف هذه الوظائف والفعاليات بدورة الانتاج [٨] •

تبدأ دورة الانتاج بواسطة زبون أو بواسطة حاجة السوق لتقديم جهاز أو منظومة بعدها تبدأ سلسلة فعاليات التصميم والتصنيع ،تشمل هذه الفعاليات : التصميم الهندسي والرسومات وعمليات التخطيط وتنظيم الانتاج والسيطرة النوعية والتسويق • تعامل هذه الفعاليات والوظائف تقليديا على أنها متميزة في حالات الانتاج الواسع لكميات كبيرة من هذه المنتوجات ويلعب هنا التصميم بمعونة الحاسوب CAD / CAM دورا هاما بتكامل جميع هذه الفعاليات .•

يوفر التصميم المسند بالحاسوب (CAD) الطرائق التي تساعد المهندسين في تنفيذ التصاميم أو اجراء التعديلات عليها ومراجعة أوليات التصاميم تلقيائياً والاحتفاظ بمواصفات المنتوج في قاعدة معلومات الأمر الذي يساعد حتما في تخفيض تكلفة المنتوج وفي تقليص زمن انتاجه بالاستفادة من مزايا الحاسوب التي أبرزها :

١• دقة وجودة وسائل عرض الحاسوب في عرض الصور والرسوم المعقدة بحيث يمكن تمثيل ما يرادتصميمه كلاً أو جزءاً منه تمثيلاً هندسياً كاملاً •

٢• السرعة العالية في انجاز الحاسبات التي تتيح التفاعل بين المصمم ومحطة العمل في الزمن الحقيقي تقريباً •

٣• القدرة العالية بخزن المعلومات •

لقد شهد التصميم المسند بالحاسوب في السنوات الاخيرة استخدامات واسعة في تصاميم المنتوجات الصناعية في المنشاءات الصغيرة ومتوسطة الحجم، ويتوقع تزايد استخداماتها بتزايد استخدامات منظومات الذكاء الاصطناعي في برمجيات (CAD) التي توفر حوارات بمستويات عالية بين المصمم والآلة(٩)•

يعاون (CAD) باستخدام الحاسوب على وضع وتعديل وتحليل طرائق التصميم بأفضل صورة وتستخدم لهذا الغرض أحد تقنيات نظرية المنظومات

مثل الاستجابة الحركية dynamic response والاتزان stabiiity والحساسية sensitivity تستخدم CAM منظومة الحاسوب للتخطيط والادارة والتحكم بالعمليات الصناعية • عليه يعاون الحاسوب فعاليات مختلفة في التصميم والتصنيع بطريقة تلقائية برسم مخطط عملية معاونة الحاسوب وتنفيذها وخطة المواد وتحكم الحاسوب بالآلات ومساعدة الحاسوب بالتفتيش والسيطرة النوعية • وبزيادة سعة وسرعة خزن الحواسيب الرقمية الحديثة جعلت CAD / CAM تقدم حلولا لتصاميم ومشاكل صناعية معقدة جدا وانها حقيقة معروفة ومتوقعة أن توفر CAD / CAM في النهاية قاعدة جيدة لتقنية قوية للسيطرة التلقائية الكاملة لمنظومة حاسوب متكاملة على المصانع •

لقد أدى استخدام الحاسوب في مراحل التصميم والانتاج المختلفة الى تخفيض عدد العاملين في عمليات الانتاج ، وبالمقابل زيادة عدد التقنيين والمهندسين العاملين في مختبرات البحوث ومراكز الحواسيب • وسيزداد الطلب على الأشخاص ذوي المؤهلات العلمية والتقنية العالية القادرين على التعامل مع الأجهزة التقنية المتطورة • لذا يجب التفكير جدياً بتهيئة قطاعات واسعة من المجتمع بحيث يصبح كل منهم قادراً على التعامل بدرجة أو بأخرى مع وسائل ومعدات الثورة التقنية وتدفق المعرفة الهائل في كل اتجاه• ولعل من المفيد الاشارة هنا الى ماذكره أحد رؤساء شركة جنرال موتور (G. M.) احدى كبرى الشركات الأمريكية المتخصصة بصناعة السيارات أنه خلال العقد الحالي ستقوم الحواسيب الألكترونية بالسيطرة والتحكم في أكثر من ٩٠٪ من عمليات صناعة السيارات • وكذا الحال بالنسبة للقوة الجوية الأمريكية• وقد هيأت الجامعات الامريكية نفسها لهذا التطور وأعدت برامج دراسية متخصصة لهذه التقنية الجديدة كي تضمن الولايات المتحدة الأمريكية تفوقها على منافسيها اليابانيين والأوربيين حيث يعتقد الأمريكيون بل وكذلك اليابانيون

والأوربيون على حد سواء ان CAD / CAM تؤدي حتماً الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته وتخفيض كلفته • وتتضمن برامج CAD/CAM الهندسية مواضيع مختلفة تشمل إعداد رسومات الأجزاء المصنعة ومكونات الآلات والمعدات وتعليمات تشغيلها وتحديد المواد الاولية ونوعية قوة العمل ومواصفاتها ، اضافة الى فحص الدوائر الألكترونية وفحص جودة المنتوج وتعبئته وغيرها • ولمواكبة هذه التطورات التقنية المهمة ذات الأثر الفاعل في زيادة الانتاجية لابد أن تسعى جامعاتنا الى توفير المختبرات المزودة بأنواع الحواسيب لغرض التدريس والبحث العلمي في مجالات CAD/CAM المختلفة لأعداد الملاكات العلمية والتقنية المطلوبة •

الانسان الآلي الأتمتة ROBOTICS and Automation

يلعب الانسان الآلي (الروبوت) دوراً أساسياً في أتمتة العمليات الصناعية ، يمكن ان يؤدي الروبوت أعمالا عديدة وبخاصة الأعمال الخطرة أو الأعمال غير المرغوب بها من قبل الناس • ويتوقع ازدياد استخدامها في المستشفيات ومكاتب العمل والمخازن والأعمال المنزلية ، وفي المزارع والجامعات ، وفي أعمال التنظيف واطفاء الحرائق وفي المناجم والبحار والمحيطات والفضاء الخارجي ، كما يستخدم الروبوت في الصناعات العسكرية في أعمال كثيرة منها معالجة المواد المتفجرة والألغام والقنابل والمواد السامة وغيرها • وكذلك في اعانة المعوقين وأعمال أخرى كثيرة وبخاصة بعد تطوير قدرات الادراك للروبوت وازدياد كفاءته ودقة عمله • ويعتمد تطور الروبوت على تطور تقنيات أخرى منها تطور منظومات التصنيع المرنة ومنظومات تصنيع الحاسوب المتكامل والآت المتحكم بهابواسطة الحاسوب • ويعتمد مستوى ادراك الروبوت على مستوى تطور برامجياته وأجهزة حواسه• بلغ عدد الروبوتات في الولايات المتحدة الأمريكية واليابان ودول اوربا الغربية عام ١٩٨٥ حوالي(٩٧٠٠٠) روبوت[١٢] وكما هو موضحفي الجدول رقم (٢)•

جدول رقم (٢) عدد الروبوتات في بعض دول العالم

الدولـــة	عدد الروبوتات
اليـابان	٦٤٠٠٠
الولايات المتحـدة	١٣٠٠٠
ألمانيـا	٦٦٠٠
فرنسـا	٣٣٨٠
ايطاليـا	٢٧٠٠
بريطانيـا	٢٦٢٣
السـويد	٢٤٠٠
بلجيكـا	٨٦٠

وتعتبر اليابان في مقدمة الدول المصنعة للروبوتات بنسبة (٦٥٪) من اجمالي الانتاج العالمي ، وتليها في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية بنسبة (١٣٪) • أما اوربا الغربيـة فان اجمالي اتناجها هو بنسبة (١٨٪) من مجمل الانتاج العالمي • وتقدر نسبة النمو في صناعة الروبوتاتفي العالم (٣٠٪) سنويا • لذا يتوقع أن يصل عددها مليون روبوت عام (٢٠٠٠) ، يقدر ثمـن الروبوت الواحد حوالي (٢٥٠٠٠) دولار أمريكي الى (١٢٥٠٠٠) دولار أمريكـي فـي الغالـب •

وتجرى البحوث والدراسات حاليا لتطوير قدرات الروبـوت الحسيـة والادراكية بحيث يستطيع الروبوت تحسس ما حوله من اشياء والاستجابـة لهـا • تهدف هذه البحوث الى بناءقدرات البصر والسمع واللمس وربمـا الشم . واخيرا التخاطب مع البشر بلغة طبيعية ، وكذلك القدرة على الحركة • لقد استطاعت عدة شركات يابانية بناء مصانع تعمل تلقائيا بدون أية مـداخلة بشرية لفترات معينة • وكذا الحال في الولايات المتحدة الأمريكية حيث بنت

شركة جنرال موتور مصنعا يعمل تلقائيا تحت سيطرة حاسبة رئيسيـة بحيث يعمل المصنع لمدة (٨) ساعات بدون عمال •

تعتبر مصانع يامازاكي Yamazaki اليابانية أشهر المصانع الأوتوماتيكية في العالم حيث تتألف هذه المصانع من (١٨) مصنعا تقوم بعمليات قطع التشكيلات المعدنية وعمليات صناعية متعددة ، ونقلها من ماكنة الى أخرى تلقائيا بتوجيه حاسوب • كما ان جميع اعمال المصانع هذه تنجز بصورة تلقائيـة • وتعمل المصانع بثلاث دفعات يوميا • يعمل في الدفعة الأولى (٧) اشخاص وفي الثانية (٥) اشخاص ، ولا يعمل في الدفعة الأخيرة أحد • ان فكرة تشغيل المصانع من قبل الروبوت وبتوجيه الحاسوب وبصورة تلقائية اي بدون عمال على الاطلاق فكرة غير متحققة تماما في الوقت الحاضر حيث ما زالـت هناك حاجة لعدد قليل من العمال لتحميل وتفريغ بعض اجزاء المصنع وكذلك تنظيـف بعض الآلات• هذا اضافة الى مشغلي ومبرمجي الحواسيب • يبلـغ عـدد مصانع التشغيل التلقائي حاليا في العالم أكثر من (١٠٠) مصنع • وتتوقـع احدى الدراسات الأمريكية التي قامت بها جامعة كمبرج ـ ملون عام (١٩٨٢) أنه بحدود عام (٢٠٠٠) سيحل الروبوت محل (٣) ملايين عامل ، وبحلول عـام (٢٠٢٥) ستدار جميع المصانع تقريبا من قبل الروبوت الصناعي •كما أجريت دراسات مماثلة في أوربا لمعرفة مدى تأثير ازدياد استخدام الروبوت فـي المنشآت الصناعية على فرص العمل حيث أكدت النتائج نفسها من ازدياد عدد العاطلين عن العمل مستقبلا • وتتوقع احدى الدراسات الأمريكية التي أجريت في معهد ستانفورد للبحوث انه بحلول عام(٢٠٠٠) ستتم أتمتة(٨٠٪)من الأعمال اليدوية وبذلك يتم الاستغناء عن (٢٠) مليون عامل من أصل قوة عمل مقدارها (٢٥) مليون عامل في الولايات المتحدة الأمريكية •

تسعى دول العالم المختلفة الى زيادة مواردها المالية بهدف تنشيط دورة حياتها الاقتصادية بصورة أفضل لتحقيق رفاهية شعوبها وتحقيق أمنها واستقرارها وذلك بالاستغلال الأمثل لمواردها الطبيعية باعتماد أساليب الانتاج الحديثـة والافادة من معطيات العلوم والتقانة المتطورة ذلك أن التقانة هـي المحـرك الأساس لأي تقـدم اقتصادي الأمر الذي يتطلب أيلاؤها ما تستحقه من اهتمام بالغ لغرض إعداد الملاكات التقنية عالية التأهيل والقادرة على تحقيق النقلـة التقنية المطلوبة لردم الفجوة بين قطرنا وبين أقطار العالم الاكثر تقدما • وحيث أن تقانة المعلومات تعد احدى التقانات الحديثة التي اكتسبت أهمية كبـيرة في عالمنا المعاصر لما نجم عنها من تأثيرات بالغة في حياة الأمم والشعوب المختلفة الى الحد الذي بات فيه العصر الحاضر بأسره يسمى بعصر المعلومات ، لـذا يتطلب ايـلاء تقانـة المعلومات ما تستحقـه من اهتمـام بالـغ • يقصد بتقانة المعلومات معالجـة المعلومات وخزنها من قبـل الحاسوب ومعالجتها ونقلهـا بواسطة خطوط الهاتف او الأقمار الصناعية أو غيرها من وسائط الاتصالات الحديثـة المختلفـة •

ويتوقع في عصر المعلومات أن يحـل الانسان الآلي والمعـدات الأخرى المتحركة ذاتيا محل الانسان في المصانع وتكون هذه المصانع عبارة عن وحدات صغيرة يعمل فيها أشخاص قليلون ، ولايتوقع أن يستمر الفرد في عمل واحد محدد يمتد مدى الحياة كما هو عليه الحال في وقتنا الحاضر بـل ينتقل من عمل الى آخر وفق عقود قصيرة الامد ، وربما يكون العمل عن بعـد هـو أسلوب العمل الأكثر شيوعا حيث تشير بعض الدراسات الى أن أكثـر مـن مليوني شخص يعملون حاليا بهذا الاسلوب في أوربا ويتوقـع الخبـراء أن يصل عددهم بحدود عام ٢٠٠٠ الى أكثر من ١٠ ملايين موظف أوربـي • وحيث أن تقانة المعلومات لاتتطلب موارد طبيعية أو مصادر طاقة باهضة أو

رساميل كبيرة ، بل تعتمد بصورة اساسية على العقول المبدعة والمدربة في تخصصات تقانة المعلومات ، ولأن هذه التقانة في تطور مستمر وذات طلبا دوليا متزايدا ، لذا فقد اهتمت الدول المتقدمة وبعض الدول النامية بهذه التقانة لما يمكن ان توفره من موارد مالية مهمة ، ولعل تجربة شيلي من التجارب الناجحة في هذا الميدان • فقد استطاع هذا البلد الأمريكي الجنوبي الذي لايتجاوز عدد سكانه ١٣ مليون نسمة ان ينوع موارده الاقتصادية حيث كان اعتماده على تصدير مادة النحاس الى الأقطار الصناعية الذي تراجع حاليا في قائمة الصادرات ليمثل ٤٠٪ من مجموع صادرات شيلي ، لقد اهتمت شيلي بتنمية صناعاتها الألكترونية وتقانات المعلومات ، وهي اليوم تصنف بين أكثر أقطار أمريكا اللاتينية تقدما في تقانات المعلومات والصناعات المنبثقة عنها •

ويعتقد أن الفضل في ذلك يعود الى جودة نظامها التعليمي حيث لعبت الجامعات الشيلية دورا هاما بتطوير تقانة المعلومات باستحداث تخصصات علم الحاسوب ونظم المعلومات وهندسة الاتصالات والألكترونيات التي شكلت فيما بعد قاعدة قوية لتقانة المعلومات ، بلغت صادرات شيلي من برمجيات وتقانة معلومات الى الأقطار الأخرى ما قيمته ٥٦ مليون دولار أمريكي عام ١٩٩٥ • كما أولت الهند احد اكبر الدول النامية في قارة آسيا الصناعة البرمجية وتقانة المعلومات اهتماما خاصا منذ عام ١٩٩٠ بهدف تصديرها الى أقطار أخرى شأنها بذلك شأن اقطار جنوب شرق آسيا ، وقد حققت الهند نجاحا ملموسا في هذا المضمار حيث بلغت صادراتها من البرمجياتعام ١٩٩٥ ماقيمته ٥٠٠ مليون دولارأمريكي ويتوقع الخبراء ان تصل هذه الصادرات بحلول عام ١٩٩٧ الى ما قيمته مليار دولار • لقد استفادت الهند من تكلفة أجور العمل المنخفضة وقدرتها التقنية العالية ، اضافة الى توافر الاتصالات السريعة مع أقطار العالم المختلفة بحيث أنها تصنف اليوم بين أحد أهم مصادر تقانة اعلومات والصناعة البرمجية في

العالم . وبلغت صادرات الكيان الصهيوني من منتوجات الصناعة البرمجية ما قيمته مليار دولار عام ١٩٩٠ . وتشير بعض الدراسات الى اهتمام الحكومة الفيتنامية بتقانة المعلومات اهتماما بالغا حيث أصدرت عام ١٩٩٣ قانونا حددت فيه أهدافها ومفاهيمها لتطوير تقانة المعلومات والصناعات المتصلة بها لغاية عام ٢٠٠٠ وشكلت في العام ١٩٩٤ لجنة وطنية لتقانة المعلومات لغرض وضع برنامج لتنفيذ القانون المذكور ، لقد استهدف البرنامج بناء البنى التحتية لتقانة المعلومات في أربع مجالات رئيسية هي التعليم والتدريب والبحث والتطوير والصناعة وشبكات المعلومات ، وبلغت صادرات الولايات المتحدة الأمريكية من هذه الصناعة أكثر من ١٦٠ مليار دولار عام ١٩٩٦ ، وبسبب المنافسة الشديدة بين الدول الصناعية للاستحواذ على حصص اكبر في أسواق العالم المختلفة من منتوجات الصناعات البرمجية وتقانة المعلومات ، شهد مؤتمر التجارة الدولية المنعقد في سنغافورة في مطلع شهر كانون الأول من عام ١٩٩٦ نزاعا حاداً بين أقطار أمريكا الشمالية والاتحاد الأوربي واليابان من جهة ، وبين أقطار جنوب شرق آسيا والهند من جهة اخرى حيث حاولت الدول الصناعية الكبرى الحد من امكانات الدول النامية وشل قدراتها التنافسية في تصدير منتوجاتها البرمجية بدعاوي ظاهرها انساني وباطنها تجاري هو قيام الدول النامية بتشغيل الاطفال والاستفادة من تدني أجور هؤلاء الأطفال قياساً الى أجور العمال في الدول الصناعية ، ولا يختلف الحال في دول أخرى عديدة أدركت منذ وقت مبكر أهمية تقانة المعلومات ودورها في دعم اقتصادها الوطني وقد سلطنا هنا الضوء على بعض التجارب الناجحة منها بحسب المعلومات المتوفرة عنها وسنتناول الآن واقع هذه التقانة بقطرنا العزيز ، كان العراق من أوائل الأقطار العربية التي بدأت باستخدام الحاسوب وادراك أهمية تقانة المعلومات حيث تم تشكيل لجنة قومية للحواسيب الألكترونية عام ١٩٧٠ في وزارة التخطيط . انبثق عنها فيما بعد المركز القومي للحاسبات الألكترونية بصدور القانون رقم ١٠٠ لسنة ١٩٧٢ .

وتشير بعض الدراسات الى تطور عدد العاملين في مجال تقانة المعلومات منذ ذلك الحين الا أنه لم يصاحب ذلك تطورا مماثلا في استخدام الحاسوب في العمليات الصناعية والانتاجية حيث اقتصر استخدامه على اجراء الحسابات التقليدية . ولم يشهد القطر انشاء صناعة متطورة في مجال تقانة المعلومات وربما يعود سبب ذلك الى ضعف حجم الاستثمارات المعتمدة لهذا الغرض، ولأجل النهوض بتقانة المعلومات وتطوير الصناعات المنبثقة عنهـــا نـرى ضرورة اتخاذ الاجراءات الآتيـــة :

١ ــ دعم تطويـــر الصناعـــات البرمجيـــة وتشجيع التعـــاون بـــين المؤسسات والجهات المهتمة بهذه الصناعة بكل الوسائل الممكنة .

٢ ــ العمل على بناء صناعة تقانة معلومات متطورة سيما ان هذه الصنـــاعة لا تتطلب موارد مالية كبيرة أو مواد أولية غير متوفرة في القطر ، وانما جل اعتمادها على العقول المبدعة والملمة بتقانات المعلومات والتي يتوفر منها أعداد جيدة في القطر قياسا الى الدول الأخرى التـــي حققت نجاحا ملموسا فـــي هذا المضمار .

٣ ــ اعتماد سياسة وطنية تشجيعيـــة للصناعـــات البرمجيـــة والصناعـــات المنبثقـــة عنهـــا .

٤ ــ دعم وتطوير أقسام علوم وهندسة الحاسبات في جامعات القطر .

٥ ــ تشجيع استحداث وحدات للبحث والتطوير في مجـــالات تقـــانات المعلومات في الجامعات والمؤسسات الصناعية على حد سواء .

٦ ــ انشاء مركز بحوث تقانة المعلومات حيث يفتقر القطر الى وجـــود مثل هذا المركز في الوقت الحاضر .

٧ ــ انشاء شبكة معلومات وطنية لربط الجامعات ومراكز البحوث والمؤسسات الصناعية ، وربطها بشبكات المعلومات العربية والدولية .

٨ ـ لنشر الوعي بأهمية تقانة المعلومات بفروعها المختلفة وحث المؤسسات الصناعية على استخدام تقانات المعلومات في مجالات الانتاج المختلفة٠

٩ ـ العمل على انشاء قسم علمي بتخصص تقانة المعلومات حيث تفتقر جامعاتنا الى وجود مثل هذا القسم في الوقت الحاضر ٠

١٠ ـ العمل الجاد على تعريب البرمجيات لتسهيل استخدام الحاسوب على أوسع نطاق ممكن ٠

وحيث ان إعداد الملاكات العلمية المتخصصة في هندسة البرمجيات تعد أهم متطلبات النهوض بالصناعة البرمجية ، لذا سنسلط الضوء الآن على هندسة برمجيات الحاسوب بهدف لفت الانتباه اليها كي تتضافر الجهود الخيرة لاعداد الملاكات العلمية المطلوبة كماً ونوعياً لرفد صناعة برمجية متطورة في قطرنا العزيز ٠

وابتداءً نقول ان هندسة البرمجيات تتضمن مفهومين أساسيين هما الهندسة والبرمجيات ، ويقصد بالهندسة هنا مجموعة المهارات والمعارف والعلوم التي يتضمنها عادة أي منهج دراسي في أي تخصص هندسي كالهندسة الكهربائية أو الهندسة الميكانيكية أو غيرها من التخصصات الهندسية الاخرى٠ ويقصد بالبرمجيات مجموعة برامج الحاسوب ووثائقها وأساليب استخدامها وتصاميمها ومواصفاتها ٠ ولابد من الاشارة هنا الى أن هندسة برمجيات الحاسوب هي ليست علم الحاسوب الذي يدرس حالياً في جامعاتنا ، وانما هي تخصص هندسي يختلف تماما عن تخصص علم الحاسوب كاختلاف أي تخصص هندسي آخر عن أي من تخصصات العلوم الصرفة ٠ كما أن هندسة البرمجيات وإن كانت تستند على علم الحاسوب وبرمجته الا أنها تختلف عنهما بأستنادها على المفاهيم والمهارات الهندسية ايضا ، يمكن وصف العلاقة بين هندسة برمجيات الحاسوب وعلم الحاسوب كنوع العلاقة بين الهندسة الكهربائية أو الهندسة الميكانيكية وعلم الفيزياء أو نوع العلاقة بين الهندسة الكيميائية وعلم الكيمياء ٠

تهدف هندسة برمجيات الحاسوب الى بناء منظومات عملية لتلبيـــة احتياجات أنسانيــة بالاستفادة من معطيــات علم الحاسوب وتقانــة المعلومات ومعارف أخرى شأنها بذلك شأن أي تخصص هندسي آخر ، لذا فانها تتطلب الالمام بعناصر الهندسة الثلاث : التصاميم والتنفيذ والادارة ، وبتطور صناعة الحاسوب ازدادت الحاجة الى مهندسي البرمجيات اكثر فأكثر ، يقدر حاليا عدد مهندسي البرمجيات في الولايات المتحدة الأمريكية حاليا بأكثــر مــن (٥٠.) خمســين الف مهندس •

يتفاوت عمل مهندس البرمجيات من منظومات تستخدم تقنية المعــالج الدقيــق الى منظومات كبيرة جــدا تستخدم معالجــات حاسوبية متعددة مما يتطلب منه التعامل مــع تصاميــم المنظومة بأكملهــا بضمنها منظوماتها الفرعية باستخدام ما متوفر من أجهزة ألكترونية ومنظومات سيطرة وربما الاستعانــة بأساليب التصنيع المسند بالحاسوب والايعازات بمساعدة الحاســوب ، أي أنه يتعامل مع جميع تطبيقات الحاسوب وبخاصة المنظومات الأكثر تعقيداً مثل منظومات الأسلحة الستراتيجية والمنظومات الفضائية ، وتكتسب الأجهــزة الألكترونية ومكونات الحاسوب أهمية خاصة في هندسة البرمجيات نظــراً للعلاقة الوثيقة بين معمارية الحاسوب وبناء منظومات التشغيل والبرمجيــات إذ قد يحتاج مهندس البرمجيات الى تحديد انواع معينة من الاجهزة لتنفيــذ تصاميم معينة لبناء المنظومة المطلوبة • يتعامل مهندس البرمجيات مع منظومــة الحاسوب من منظور الأجهزة والبرامج معاً • لذا يتم اعداده بحيث يكون ملماً ببعض جوانب الهندسة الألكترونية ومبادىء السيطرة النوعية ومتطلبــات البيئة بخلاف مبرمج الحاسوب الذى تنحصر مهامه في تصميم الخوارزميات وكتابة لغات البرمجة وتشفيرها • وحيث أنه يتعامل مع تخصصات ومتطلبات هندسية مختلفة ، لذا يراعى في إعداده الالمام بأساليب الادارة الحديثــة وأسس الهندسة الصناعية ، تتطلب منظومات الحاسوب الكبيرة مثل منظومات السيطرة الصناعيــة والاتصــالات وعمليات التصنيع المسنــد بالحاسوب

والتصميم المسند بالحاسوب وادارة المعلومات ومنظومات قواعد المعلومات الطبية ، المواجهة والتعامل مع البشر مما يستلزم أن يكون مهندس البرمجيات قادراً على تحديد سلوك وتصرف الاشخاص عند استخدام هذه المنظومات والتصرف الجيد بتداول المعلومات • وبناء منظومات كبيرة كهذه ترافقها في العادة مشاكل كثيرة لاتختلف كثيراً عن المشاكل التي نصادفها في المشاريع الهندسية الكبيرة مثل مشاكل ادارة المشروع وضبط التكاليف واختيار الاجهزة والمعدات وتصاميم الانتاج والسيطرة النوعية • لذا يتطلب اعداد مهندس البرمجيات بحيث يكون ملماً بتقنيات الحاسوب واستخدامها بصورة فاعلة وبتكلفة اقتصادية مناسبة لبناء المنظومات البرمجية المطلوبة • لذا اتجهت الجامعات الرصينة في أقطار العالم المتقدمة منذ أواخر عقد السبعينات الى اعتماد دراسات جامعية أولية في هندسة البرمجيات تعنى بتصاميم وبناء وصيانة وإدامة وتشغيل منظومات البرمجيات ، وقدر تعلق الأمر بقطرنا العزيز فان الجامعة التكنولوجية تبذل حالياً جهوداً حثيثة لاستحداث هذا التخصص الهندسي الحيوي لتلبية بعض احتياجات القطر وتأمين اطلالته العلمية والتكنولوجية المشرقة ونحن على مشارف القرن الحادي والعشرين الذي نأمل ان يكون باذن الله قرن التفوق والابداع العلمي لعراقنا العظيم •

وبذلك نكون قد أسدينا لبلادنا خدمة جليلة ذلك ان تقانة المعلومات وتطبيقاتها تؤدي الى زيادة الانتاج وتحسين نوعيته وتخفيض كلفه في مجالات عديدة ، اضافة الى تحسين أداء المؤسسات وتحسين نوعية الحياة من خلال تحسين خدمات التعليم والصحة وتطوير الأنشطة الثقافية والاجتماعية وتحسين البيئة وتأمين موارد مالية اضافية بالعملات الأجنبية للنهوض باقتصادنا الوطني • كما أن تطوير تقانة المعلومات يمكن أن يلعب دورا هاما بتعزيز أمننا الوطني والقومي حيث باتت هذه التقانة تستخدم بشكل واسع في الصناعات العسكرية المختلفة والتي يتم تصدير منتوجاتها الى الدول الأخرى ومنها أقطارنا العربية • لذا يتطلب الأمر ضمان أمن المعلومات ليس

في المؤسسات العسكرية فحسب بل وفي جميع المؤسسات الصناعية ومراكز البحوث العلمية اذ تشير الدراسات الى تزايد أعمال التجسس الصناعي والعلمي في العالم وسرقة معلومات وبحوث قد يستغرق اعدادها سنوات طويلة وتكلف مبالغ طائلة فقد قامت الشركات الصينية في السنوات الأخيرة بنقل أسرار تقنية من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا والاستفادة منها في منتوجات صناعية وتصديرها الى الولايات المتحدة وكندا بأسعار زهيدة وبخاصة في مجال الصناعات الألكترونية • وقد ذكرت جريدة لوس أنجلوس تايمز عام ١٩٩٥[١٣] ان أولويات المخابرات قد تحولت من كشف الأسرار السياسية والعسكرية للقدرات النووية السوفيتية الى خدمة جمع المعلومات عن المواقف التفاوضية لمنافسي الولايات المتحدة الأمريكية في صراعها الاقتصادي مع كل من اليابان وألمانيا ، من ذلك نخلص الى ضرورة الاهتمام بأمن وحماية المعلومات بالقدر نفسه الذي نوليه الى الاهتمام بتطوير تقانة المعلومات •

وأخيرا لابد أن نشير الى أهمية ربط القطر بشبكة المعلومات الدولية المعروفة باسم شبكة أنترنت Internet بأقرب وقت ممكن نظراً لما تقدمه هذه الشبكة من معلومات هائلة في جميع مجالات الحياة • بدأت شبكة أنترنت عملها في أوائل عقد التسعينات وهي عبارة عن شبكة مؤلفة من ملايين محطات الحواسيب الألكترونية المشبكة بالهاتف ، يرتبط بها حاليا أكثر من ٤٠ مليون مشارك في جميع أنحاء العالم ، يتوقع أن يصل عددهم الى مليار شخص بحلول عام ٢٠٠٠ ، تستخدم شبكة أنترنت بصورة واسعة في مجالات الاتصال والبحث والتسويق والترفيه • يتم الاتصال بالشبكة اما بصورة مباشرة آنية أو بواسطة البريد الألكتروني ، وتعد الشبكة وسيلة ممتازة للاتصال بين العلماء والباحثين والتعرف على نتاجاتهم العلمية ، وكذلك التعرف على مستجدات العلوم والتقانة والمعارف المختلفة بيسر وسهولة ، وتستخدم حالياً المؤسسات الصناعية والتجارية هذه الشبكة بشكل واسع لتسويق

منتوجاتها وعقد الصفقات التجاريــة • وتعتبر مصر رائــدة على صعيد الأقطار العربية في استخدامات شبكة الأنترنت • لقد كونت هذه الشبكة عالماً جديداً أطلقوا عليه اسم الفضاء المعلوماتي Syperspace يتكون من عشرات الملايين من الحواسيب الألكترونية المرتبطة معاً عبر شبكة الأنترنت •

بعض مــلامح عصر الأتمتــة والمعلومــات

يتوقع خبراء الاقتصاد في الدول الرأسمالية أنه بسبب عمليات أتمتة المصانع المتزايدة سيقل عدد العاملين في القطاع الصناعي وسيزداد عددهم في قطاع الخدمات الذي سيكون قطاع العمل الرئيس بالنسبة لعــدد العاملين في معظم الدول الأوربية واليابان والولايات الأمريكية •

ويعتقد أن الدول الصناعية الكبرى تتحول تدريجيا باتجاه منظــومات الصناعات الخفيفة كقاعدة أساسية لاقتصادياتها • وسيتميز ســوق عمل عصر الأتمتة والمعلومات بالسمات الآتية(١٠) :

١• لايمكن تأمين العمل لجميع طالبيه حيث ستتضاءل فرص العمــل فــي القطاع الصناعــي •

٢• سيزداد الطلب على المهندسين والتقنيين ذوي المؤهلات العالية لتشغيل وإدامة منظومات الأتمتة والروبوت الصناعي والحواسيب الألكترونية ومنظومات الألكترونيات والاتصالات وتقانة المعلــومات بأشكالهــا المختلفــة •

٣• يتوقع الخبراء مرونة أكبر أي الانتقال من عمل الــى آخــر بدلا من الاستقرار في عمل واحد محدد قد يمتد مدى الحياة • كمــا يتوقــع الخبراء ازدياد حالات العمل الجزئي والعمل وفق عقــود قصيرة الأمد ، وكذلك العمل في البيوت ، والعمل الفردي •

٤• ستكون المنشآت الصناعية وحدات صغيرة يعمل فيها أشخاص قليلون ، وستكون مواقعها بالقرب من مراكز التقانة المتقدمة •

٥• ستقل الأعمال اليدوية ، وستزداد الحاجة اكثر الى الثقافة والعلوم •

٦• سيزداد اهتمام المنشآت الصناعية ببرامج البحث والتطوير لتأمين مواقع منافسة قوية لها في السوق •

٧• سيقل استخدام الورق في المعاملات الادارية حيث ستحل الأجهـــزة الألكترونية ووسائل الاتصال الحديثة محله في تمشية جميـع الأعمال الادارية في المكاتب والمنشآت الصناعية على حدسواء•

٨• يمكن انجاز العديد من الأعمال بسهولة داخل البيوت دون الحاجة الى الذهاب الى أماكن العمل وذلك بواسطة طرفيات الحاسوب المربوطـة بحاسوب رئيسي بواسطة منظومات اتصالات مناسبة •
وبذلك يمكن للعاملين أداء أعمالهم وهم في بيوتهم ومراقبتهم وتوجيههم من المكتب الرئيسي في المنشأة •

مما تقدم تخلص الى أن المعلومات في عصرنا الحاضر قد أصبحت أحد أهم عناصر القوة وبصورة لم يسبق لها مثيل إذ بات يعتمد عليها مستقبـل الدول وقدرتها على ادامة زخم تنميتها وتقدمها في جميع مناحي الحيـاة • لذا يلاحظ ازدهار تقانة المعلومات والصناعات المرتبطة بها فـي الأسـواق العالمية اذ بلغت قيمتها عام ١٩٩٥ مثلاً ما مقداره (٢٠٦٥) مليار دولار أمريكي، لقد ساعـد انخفاض أجور الأيـدي العاملة في الدول الناميـة على ازدهار تقانة المعلومات في العديد منها وبخاصة في الدول التي يوجد فيهـا نظـم تعليمية جيدة مثل الهند والبرازيل وكوريا وسنغافورة • تقوم هذه الـدول حالياً بتصدير برمجيات حاسوبية تصل قيمتها الى مئات الملايين من الدولارات الى اليابان والولايات المتحدة الأمريكية والأقطار الأوربية • ويتوقع أن يكون لتقانات المعلومات تأثيرات هامة في الاقتصاد العالمـي في القرن الحـادي والعشرين ، ولمواجهة هذه التغييرات لذا يتطلب منا بذل جهـود حثيثـة لبناء القدرات التقنية الوطنية وإعداد الملاكات العلمية المتخصصة في تقانـات

المعلومات والصناعات المنبثقة عنها في مجـالات الصناعـات الألكترونيـة وهندسة الاتصالات وبرمجيات هندسة الحاسوب في عـالم متغير وسريع التطور ، تشتد فيه المنافسة بين الدول ، ويسعى العديد منها الـى السيطرة والاستحواذ على مقـدرات الشعوب الأخـرى بهذه الطريقة أو تلك ، لهـذا السبب أو ذاك . وبذلك نكون قد أمنا لبلادنا الدخول بقوة في عصر الأتمتة والمعلومات لتأمين رقيها وازدهارها العلمي والحضاري .

الخاتمـــــة

وخلاصة القول ان عالم اليوم يشهد تطورات تقنية هائلة ، وتـدفق معلومات في جميع مجالات الحياة بصورة لم يسبق لها مثيل ، وهي اليوم في متناول من يطلبها بأقل من لمح البصر ، واننا نقف الآن على أعتاب عصر جديد قوامه تقانات الأتمتة والاتصالات والألكترونيات والحواسيب والمعلومـات يعرف بعصر ما بعد الصناعة . وكي لاتتخلف بلادنا عن مواكبة هذه التطورات الهامة ذات الأثر البالغ في الحياة الانسانية بجوانبها المختلفة لابد أن تولـي هذه العلوم والتقانـات المستقبلية ما تستحقه من عناية فائقة ورعاية خاصـة . وبذلك نضمن لبلادنا موقعها اللائق في ركب الحضارة الانسانية في القـرن الحادي والعشرين بإذن الله .

المصـــادر : REFERENCES

1— Groover M.P. "Automation, Production System and Computer Adided Manufacturing, Prentice Hall INJ., 1980.

2— Mayer O., "The Origins of Feedback Control" Mit Press, Cambridge, Mass, 1970.

3— Thaler G.J., (ED). "Automation Control—Classical Linear Theory" Dowen, Huthinson and Ross, 1974.

4— James H.M., Nichols N.B., and Phillips R.S., "Theory of Servomechanisms", Mc Grawhill, Ny, 1947.

5— Popov U.M., "Absalute Stability of Nonlinear systems". Automation and Remote Control, Vol. 22, pp 857—875, 1961.

6— Astrom K.J., and Wittenmark B., "Computer Controlled systems: Theory and Design". Prentic Hall., NJ., 1984.

7— Norihisa Doi, Koichi Furuawa and Kazohiro Fuchi, Fifth—Generation Computer Systems and Their Impact on Society, Unesco. Impact, No. 146, Vol. 37, No. 2, 1987.

8— Groover M.P., and Zimmers E.W., "CAM: Computer Aided Design and Manufacturing", Prentice Hall, NJ, 1984.

9— Jean Squeira Computer—Aided Design A Powerful Tool at the Disposal of the Designer, Unesco — Impact, No. 146, Vol. 37, No. 2, 1987.

10— Robots: Peter March, Salamander Books limited, London, 1985.

١١ ـ داخل حسن جريو
جولة استطلاعية لمراحل تطور هندسة التحكم الآلي المهندسون / العدد ١٤ ، الكويت ، ١٩٩٠ .

١٢ ـ داخل حسن جريو ، اسماء غالب جاسم
جولة استطلاعية في عالم الروبوت ، المهندس الأردني ، العدد ٥٨ ، عمان ، ١٩٩٥ .

١٣ ـ احمد سيد مصطفى
تكنولوجيا المعلومات والتجسس التجاري ، اخبار الادارة ، المنظمة العربية للتنمية الادارية ، العدد السابع عشر جامعة الدول العربية ، ١٩٩٦ .

14— Dakhil H. Jerew: Computer Control Systems State of the Art.
ندوة التوجهات الحديثة في تطوير الحاسبات الالكترونية واستخداماتها ، اتحاد مجالس البحث العلمي العربية بالتعاون مع مركز المعلومات الوطني الأردني / عمان / ١٩٩٥ .



التقديـــم والتاخـــير

ا. د / فاضل صالح السامرائي
عضـــو المجمـــع العلمـــي
استاذ بكلية الآداب ــ جامعة بغداد

جعل النحاة للكلام رتبا بعضها أسبق من بعض فرتبة المبتدأ مثلاً قبـل رتبة الخبر ، ورتبة الفاعل قبل رتبة المفعول ، ورتبة المفعول الاول قبل رتبـة المفعول الثاني وهكذا ، فان جئت بالكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير وان وضعت الكلمة في غير مرتبتها دخلت في باب التقديم والتأخير . فان قولك (كسا محمد سالماً قميصا) مثلاً ليس فيه تقديم وتأخير ، فقد جئت بالفعل ثم الفاعل ثم المفعول الاول ثم المفعول الثاني . ولو غيرت ايـة كلمـة عن موضعها دخلت في باب التقديم والتأخير الذي يدل على ان ما قدمته أهم مما أخرتـه . فلـو قلـت (كسا محمد قميصـا سالما) كنت قدمت المفعول الثاني على الاول وكان ذكر القميص أهم من ذكر سالم . ولو قلت (كسا قميصا محمدٌ سالما) كان ذكر القميص في هذه العبارة أهم من ذكر الفاعل والمفعول الأول . فان قلت (قميصا كسا محمد سالما) كان الاهتمـام بذكـر القميص اكثر مما بعده . ثم تترتب الأهمية بحسب وضع الكلمات في العبارة حتى تصل الى آخر كلمة . وكذلك لو جعلت ترتيب الجملة على اي نحو آخر كأن تقول (قميصا سالما كسا محمد) أو (قميصا سالما محمد كسا) أو (قميصا كسـا سالما محمد) . ويكون لكل عبارة معنى يميزها عن العبارة الاخرى . وقـد ذكر سيبويه ان العرب « كأنهم انما يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم ببيانه أعنى وان كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم»[1] .

(1) الكتـاب ١٥/١ .

هذا هو الأصل في الكلام العربي وقد قرره علماء العربية ببيان واضح جاء في (الايضاح) في تقديم معمولات الفعل : « واما تقديم بعض معمولاته على بعض فهو اما لأن أصله التقديم ولا مقتضي للعدول عنه كتقديم الفاعل على المفعول نحو (ضرب زيد عمرا) وتقديم المفعول الأول على الثاني نحو : أعطيت زيداً درهما • وأما لأن ذكره أهم والعناية به أتم »[٢]•

قد ترى أن في هذا التقرير ضربا من المبالغة والخيال اللغوي وليس حقيقة لغوية ولكن هذه هي الحقيقة تراها جلية واضحة في أفصح الكلام وأعلاه أعني كتاب الله تعالى فقد يأتي بالجملة على أصلها وقد يقدم الكلمة على الكلمة أو يقدمها على الكلمتين أو يقدمها على الجملة كلها ولكل ذلك سبب وقصد وإلا كان ضربا من العبث • وسأضرب امثلة توضح هذا الأمر •

قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ــ الفتح ٢٧ » فهنا جرى التعبير على الأصل ولم يقدم شيئا على شيء •

وقال : «لايحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم ــ النساء ٤٨»•

وقال : « وآتوا اليتامى أموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم انه كان حوبا كبيرا ــ النساء ٢» وقال : « الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح ــ النور ٣٥ » وقال : « اقتربت الساعة وانشق القمر وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر ــ القمر ١ ، ٢ » •

فهذه الآيات كلها جرت على الأصل من دون تقديم وتأخير لأن المقام لايقتضي ذاك وانما يقتضي وضع كل كلمة في مكانها الذي وضعت فيه •

وقديأتي الكلام على غير ذاك فيقدم ويؤخر • من ذلك قوله تعالى «فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب ــ الزخرف ٥٣ » فقدم الجار والمجرور (عليه) على نائب الفاعل في حين قال : « أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو

---

(٢) الايضاح ١/ ١١٣ وانظر البرهان ٣/٢٣٣ .

كذاب أشِر ــ القمر ٢٥ » فلم يقدم الجار والمجرور وانما جاءت الآية على الأصل وذلك ان الكلام في (الزخرف) على موسى . قال تعالى على لسان فرعون : « أم أنا خير من هذا الذي هو مَهين ولا يكاد يُبين . فلولا ألقي عليه اسورة من ذهب أوجاء معه الملائكة مقترنين ٥٢ــ٥٣» فناسب تقديم (عليه) ــ أي على موسى ــ لأن السياق في ذكره .

في حين أن الكلام جرى في سورة القمر على الأصل ذلك أن السياق هو في التكذيب بالنذر ، ومدار التكذيب قائم على انكار انزال الذكر عليهم « أألقي الذكر عليه من بيننا بل هو كذاب أشِر» فالمسألة أصلاً في انكار الايمان بالنبوة وإنكار أن الله أوحى الى بشر ليبلغوا عنه . ولايختلف الانكار باختلاف الشخص المرسل فان الاختلاف ليس على الشخص وانما على أصل المسألة في حين كان السياق في (الزخرف) في المفاضلة بين شخصين : موسى وفرعون « أم أنا خير من هذا الذي هو مَهين » فناسب تقديم ما قدم .

ومن ذلك قوله تعالى : « واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ــ الأعراف ١٧١ » بتقديم الجبل على الظرف (فوقهم) جريا على الأصل في حين قال :

« ورفعنا فوقهم الطور ــ النساء ١٥٤ » .

وقال : « ورفعنا فوقكم الطور ــ البقرة ٦٣ » بتقديم الظرف على الطور في الآيتين .

ذلك ان تقديم الظرف (فوق) على الطور في البقرة والنساء يدل على ان الاهتمام بالظرف أكثر من الطور وان تقديم الجبل على الظرف في الأعراف يدل على ان الاهتمام بالجبل أكثر من الظرف . ولتوضيح ذلك نذكر الآيات بتمامها :

وقال في البقرة : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ١٧١ » .

وقال في البقرة : « واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٦٣ » .

وقال في النساء : « ورفعنا فوقهم الطور وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا ١٥٤ » .

وبالنظر في هذه الأيات والسياق الذي وردت فيه يتضح سبب التقديم والتأخير . ومن ذلك :

١ ـ انه ذكر في الأعراف حال الجبل وشأنه فقد قال عنه (كأنه ظلة) وقال (وظنوا أنهواقع بهم) ولم يذكر شيئا من ذلك عن الطور في آيتي البقرة والنساء مما يدل على الاهتمام بالجبل في الأعراف دون البقرة والنساء فاقتضى تقديمه .

٢ ـ ان الكلام بعد آيتى البقرة والنساء يستمر على بني اسرائيل وذكر صفاتهم وأحوالهم فقد جاء بعد آية البقرة «ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ٦٤ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ٦٥ ... » ويستمر الكلام الى الآية ١٠٣ .

وكذلك الأمر بعد آية النساء فان الكلام يستمر على بني اسرائيل الى الآية ١٦٢ في حين ان الكلام على بني اسرائيل ينقطع في سورة الأعراف عند هذه الآية ويأتي بعدها قوله « واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألسنت بربكم ؟ قالوا بلى ...» ويستمر الكلام دون ذكر لبني اسرائيل .

فلما كان الكلام والسياق على بني اسرائيل في آيتي البقرة والنساء ناسب تقديم الظرف المتصل بهم (فوقهم) ولما لم يكن الامر كذلك في الأعراف لم يكن داع لتقديمهم .

٣ ــ ثم من ناحية اخرى نلاحظ استعمال الفعل (نتق) مع الجبل و (رفع) مع الطور وهو مما له أثره في التقديم أيضا . فان النتق اشد واقوى من الرفع ذلك أن معنى النتق هو الجذب والزعزعة والاقتلاع ومعناه ايضا هو ان يقلع الشيء من مكانه ليرمى به، هذا هو الأصل[3] في حين ان الرفع ضد الوضع فأنت ترى أن في نتق الجبل من الغرابة والقوة والاخافة والتهديد ما ليس في رفع الطور . فان يُزعزَع الجبل ويُقلع من مكانه ويرفع ليرمى به كأنّ هناك قاذفاً يقذف به عليهم أمر مرعب ومخيف وفيه من القوة والشدة ما ليس في رفعه . فناسب ذلك تقديم الجبل كما هو ظاهر . ألا ترى لو أن شخصا رفع حجارة من الأرض وهزّ يده وتهيأ لضرب شخص ما ألا يكون ذلك أكثر تهديداً وإخافة من مجرد رفع حجر من الارض ؟

٤ ــ ثم ان لفظة كل من (الجبل) و (الطور) لها شأنها في هذا التقديم والتأخير ذلك ان الجبل اسم لما طال وعظم من أوتاد الأرض[4] ولا يشترط في الطور ذلك ، فالجبل أعظم من الطور ولذلك يجيء في مقام الشدة والهول وبيان المقدرة العظيمة اسم (الجبل) وذلك نحو قوله تعالى في قول موسى عليه السلام « ربّ أرني أنظر اليك قال لن تراني ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا ــ الاعراف ١٤٣ » فانظر كيف اختار لفظ الجبل على الطور للدلالة على عظم التجلي وأثره . ولذلك أيضا ذكر لفظ الجبال دون الأطوار في مقام التهويل والتعظيم والدلالة على القدرة التي لاتحد فقال « ألم نجعل الأرض مهاداً والجبال أوتادا ــ النبأ ٦ ، ٧ » وقال : « والجبال أرساها متاعا لكم ــ النازعات ٣٢ ، ٣٣ » وقال في يوم القيامة « واذا الجبال سيّرت ــ التكوير ٣ » وقال : « والى الجبال كيف نصبت ــ الغاشية ١٩ »

---

(٣) لسان العرب (نتق) .

(٤) لسان العرب (جبل) ١٣/١٠٢ .

ففيها من الدلالة على العظم ما ليس في اسم الطور • فكان رفع الجبل أعظم من رفع الطور فكيف اذا كان تنقا ؟

فاستوجب ذلك تقديم الجبل وتأخير الطور •

فأنت ترى ان السياق واختيار الكلمات كل أولئك تعاضدت في التقديم والتأخير فلا يحسن أن تضع كلمة مكان كلمة في الآيتين •

ومن ذلك قوله تعالى : « ووصّى بها ابراهيم بنيه ويعقوبُ يا بَنيّ إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتُنّ الا وأنتم مسلمون — البقرة ١٣٢ » •

فقدم الجار والمجرور (بها)على الفاعل (ابراهيم) للدلالة على عظم هذه الوصية وانها أعظم من الموصّي وانها لايختلف أمرها سواء كان الموصي ابراهيم أم غيره •

وأنت في غنى عن بيان أهمية هذا التقديم •

ومن ذلك قوله تعالى : « واذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا — النساء ٨» •

والمقصود بالقسمة قسمة أموال المواريث فقدم القسمة على الفاعل لأنها هي الأهم وهي المقصودة بالكلام ولم يكن الحضور الا بسببها • والسياق انما هو في الأموال والتصرف فيها فناسب تقديم المفعول به على الفاعل ههنا •

ومن ذلك قوله تعالى : « ادخلوا عليهم الباب — المائدة ٢٣ » •

وقوله : « وألفيا سيدها لدى الباب — يوسف ٢٥ » •

فقدم الجار والمجرور (عليهم) على المفعول في آية المائدة وأخر الظرف (لدى الباب) عن المفعول الأول في آية يوسف ذلك أن المقام مختلف فالآية الاولى في بني اسرائيل وقد أمرهم ربهم بدخول الأرض المقدسة فخافوا وجبنوا معتلّين بأن فيها قوما جبارين « قالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها — المائدة ٢٢» فقال لهم رجلان

مؤمنان « ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فإنكم غالبون ـ المائدة ٢٣ »، أي ادخلوا على القوم الجبارين . فأنت ترى أهمية تقديم الجار والمجرور لأن الكلام عليهم وليس على الباب فناسب ذلك تقديمه .

أما الآية الاخرى فهي في يوسف وامرأة العزيز إذ همت به واستبقا الباب وكانت المفاجأة أن ألفيا زوجها لدى الباب ولا حاجة لبيان أهمية حضور الزوج في مثل هذا الموقف ، وأنت في غنى عن بيان الأهم من الكلمتين (زوجها) و (الباب) في هذا المقام .

ومن ذلك قوله تعالى : « ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ـ فاطر ٣٢ » .

وقوله : « وأورثنا بني اسرائيل الكتاب ـ غافر ٥٣ » .

فقدم قدم الكتاب على الحمَلة في آية فاطر وقدم الحمَلة على الكتاب في آية غافر ذلك أن الكلام في آية فاطر على الكتاب فقد قال قبل هذه الآية « ان الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة ... ٢٩ » وقال : « والذي أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه ... ٣١» ثم قال «ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ... ٣٢ » فالكلام على الكتاب كما ترى .

في حين ان الكلام في غافر على حمَلة الهدى والمنذَرين به فناسب تقديمهم . فقد بدأت الآيات بقوله تعالى « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون ٢٣ ، ٢٤ » فموسى هو حامل الرسالة وفرعون وقومه هم المبلغون بها . وقد قدم موسى على الآيات . ثم يستمر الكلام على فرعون وقومه وموقفهم من موسى من نحو قوله : « وقال فرعون ذروني أقتل موسى وليدع ربه ... ٢٦ ... وقال موسى إني عذت بربي وربكم من كل متكبر لايؤمن بيوم الحساب ٢٧ وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ... ٢٨ »

ويستمر الكلام على موسى وفرعون وقومه الى أن يختمه بقوله : « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني إسرائيل الكتاب ٥٣ » ٠

فقدم موسى على الهدى هنا كما قدمه في بدء الكلام على « الآيات » بقوله « ولقد أرسلنا موسى بآياتنا » ٠

ثم ان الانبياء ينبغي أن يكون لهم ورثة يبلغون عنهم بعدهم فقال « وأورثنا بني إسرائيل الكتاب » فكما قدم موسى قدم بني اسرائيل ، وكما أخر الهدى أخر الكتاب ٠ أضف الى ذلك كله ان السياق هو في الكلام على حامل الرسالة والناس الذين حملت اليهم فاقتضى تقديم بني اسرائيل على الكتاب في آية غافر كما اقتضى تقديم الكتاب على المصطفَين في آية فاطر ٠

ثم انظر من ناحية اخرى كيف انه لما وصف أمة محمد بقوله « الذين اصطفينا من عبادنا » أثنى عليهم بعد ذلك بآيات عدة نحو قوله « جنات عدن يدخلونها يُحلَّون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ٣٣ وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحَزَن إن ربنا لغفور شكور ٣٤ الذي أحلنا دار المقامة من فضله لايمسّنا فيها نصب ولا يمسّنا فيها لغوب ٣٥ » ٠

في حين انه لما ذكر بني اسرائيل باسمهم (وأورثنا بني اسرائيل) لا بصفة مدح لم يذكر في شأنهم كلمة واحدة ولم يثن عليهم بحرف واحد بعدها بل أثنى على الكتاب فقط فقال « ولقد آتينا موسى الهدى وأورثنا بني اسرائيل الكتاب ٠ هدى وذكرى لأولي الألباب » ثم التفت الى النبي صلى الله عليه وسلم قائلاً « فاصبر إن وعد الله حق ــ ٥٥ » ٠

فانظر الى موازين الكلام وعلو اختيار الالفاظ ٠

ومن ذلك قوله تعالى : « لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إنْ هذا إلا أساطير الأولين ــ النمل ٦٨ » ٠

وقوله : « لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا من قبل إنْ هذا إلا أساطير الأولين ـ المؤمنون ٨٣ » .

« فقدم (هذا) في الآية الاولى وأخرها في آية (المؤمنون) ذلك « ان ما قبل الأولى « أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون ـ النمل ٦٧ » وما قبل الثانية « أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون ـ المؤمنون ٨٢ ». فالجهة المنظور فيها هناك كونهم انفسهم وآباؤهم ترابا . والجهة المنظور فيها هنا كونهم ترابا وعظاما . ولا شبهة ان الأولى أدخل عندهم في تبعيد البعث » وذلك أن البلى في الحالة الأولى أكثر وأشد وذلك انهم أصبحوا ترابا مع آبائهم . أما في الآية الثانية فالبلى أقل وذلك أنهم تراب وعظام فلم يصبهم ما أصاب الأولين من البلى . ولذا قدم (هذا) في الآية الأولى لأنه ادعى الى العجب والتبعيد »[٥] .

فان قدم المعمول على عامله أفاد القصر[٦] غالبا أو أفاد زيادة في الاهتمام وذلك نحو قوله تعالى « إياك نعبد وإياك نستعين » أي نخصك بالعبادة والاستعانة .

ونحو قوله تعالى : « قل أرأيتكم ان اتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون إن كنتم صادقين . بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه إن شاء وتنسون ما تشركون ـ الانعام ٣٩ ، ٤٠ » فقال (أغير الله تدعون) ثم قال (بل إياه تدعون) بتقديم المفعول على فعله أي تخصونه بالدعاء ولا تدعوه أحداً سواه بدليل قوله (وتنسون ما تشركون) .

ومنه قوله « فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم ـ النساء ١٦٠ » أي لم يعل ذلك الا بسبب ظلمهم .

---

(٥) التعبير القرآني ٦٢ـ٦٣ ، وانظر الايضاح ١/١١٦ .
(٦) انظر الرضي ٢/١٦ .

ومنه قولـه « يُسقَون من رحيـق مختوم ختامـه مسـك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ــ سـورة المطففـين ٢٥ ، ٢٦ » أي ينبغـي أن يختص التنافس في هذا لا فيما سـواه •

وربما كان التقديم على العامل لزيادة الاهتمام لا للاختصاص وذلـك نحو قوله تعالى « ونوحا هدينا من قبل ــ الانعام ٨٤ » فانه لم يخص نوحاً بالهداية ، ونحو قوله « وبالنجم هم يهتدون ــ النحـل ١٦ » والاهتـداء لا يقتصر على النجوم بل ان وسائل الاهتداء كثيرة وقد قال تعالى قبل هذه الآية « وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وأنهاراً وسُبُـلاً لعلكم تهتدون ــ النحل ١٤ » فقد ذكر من وسائل الاهتداء الجبال والأنهـار والسبل • غير أنه قدم النجوم على عاملها لمزيد من العناية والاهتمـام إذ إنها من أعظم وسائل الاهتداء وأهمها في الليل خاصة •

ونحوه قوله « وكان الله بما تعملون بصيرا ــ الفتح ٢٤ » والله سبحانه ليس مقصوراً بصره على مايعملون بل هو بصـير بكـل شيء ولكنه قـدم ما يعملون لزيادة الاهتمام اذ الكلام عليهم فناسب تقديم عملهم •

فان لم يكن بين الكلمات رتب سبق كان التقديم والتأخـير للعناية والاهتمام كالمتعاطفين بالواو والصفات وغير ذلك ، وذلك نحو قوله تعالـى « وادخلوا الباب سجّدا وقولوا حطة ــ البقـرة ٥٨ » وقوله « وقولوا حطة وادخلوا الباب سجداً ــ الاعراف ١٦١ » فقد قدم السجود على القول في آية البقرة وأخره في آية الاعراف •

وقوله » يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكـم ــ الحـج ٧٧ » •

وقوله « يا مريم اقنتي لربك واسجـدي واركعـي مـع الراكعين ــ آل عمـران ٤٣ » فقد قدم الركوع على السجود في آية الحج وقدم السجود على الركوع في آية آل عمران .•

وقوله « لتسلكوا منها سبلاً فجاجا ـ نوح ٢٠ » بتقديم السبل على الفجاج •

وقوله « وجعلنا فيها فجاجا سبلاً لعلهم يهتدون ـ الأنبياء ٣١ » بتقديم الفجاج • ومدار كل ذلك على العناية والاهتمام فما قدمته كنت به أعنى •

والذي نريد أن نذكره ههنا أن مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام ولذلك قد تقدم كلمة في موطن وتؤخرها في موطن آخر حسبما يقتضيه المقام كما مثلنا • وليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل أو أشرف اذ المقام قد يقتضي تقديم المفضول على الفاضل وقد يقتضي العكس ، ومن ذلك ما ورد في القرآن الكريم من تقديم الكافرين على المؤمنين وتقديم العقوبة على المغفرة وتقديم الضرر على النفع ولكل مقام مقال • وأذكر مثالاً يوضح شيئا من ذلك :

قال تعالى في سورة المعارج : « يودّ المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه • وصاحبته وأخيه • وفصيلته التي تؤويه • ومن في الأرض جميعا ثم ينجيه ١١ـ١٤ » •

وقال في سورة (عبس) : « فاذا جاءت الصاخّة • يوم يفر المرء من أخيه • وأمه وأبيه • وصاحبته وبنيه • لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ٣٣ـ٣٧ » •

بدأ في سورة (عبس) بذكر الأخ فالأم فالأب فالصاحبة ثم الابناء في الاخير • وفي سورة المعارج على عكس ذلك فقد بدأ بالأبناء فالصاحبة فالأخ فالفصيلة ثم انتهى بأهل الأرض أجمعين •

وسبب ذلك والله أعلم ان المقام في (عبس) مقام الفرار والهرب • قال تعالى (يوم يفر المرء) والانسان يفرّ من الأباعد اولاً ثم ينتهي بألصق الناس به وأقربهم اليه فيكونون آخر من يفرّ منهم • والأخ أبعد المذكورين

في الآية من المرء ، وان ألصقهم به زوجه وأبناؤه فنحن ملتصقون في حياتنا بأزواجنا وأبنائنا أكثر من التصاقنا بأخواتنا وآبائنا وأمهاتنا • فقد تمر شهور بل وربما أعوام ونحن لانرى أخواتنا في حين نأوي كل يوم الى أزواجنا وأبنائنـــا •

والانسان قد يترك أمه وأباه ليعيش مع زوجه وأبنائه • وهـــو ألصق بأبنائه من زوجه فقد يفارق زوجه ويسرّحها ولكن لايترك ابنه •

فالأبناء آخر من يفر منهـم المرء ويهرب •

وهكذا رتـب المذكوريـن من الفـرار بحسب العلائـق ، فأقواهم به علاقة هو آخـر من يفر منه فبـدأ بالأخ ثم الأم ثم الأب • وقـدم الأم على الأب ذلك أن الأب أقدر على النصر والمعاونة من الأم ، وهو أقـدر منهـا على الاعانة في الرأي والمشورة وأقدر منها على النفع والدفع • فالأم فـي الغالب ضعيفة تحتاج الى الاعانة بخلاف الأب • والانسان هنـا فـي موقف خوف وفرار وهرب فهو أكثر التصاقا في مثل هذه الظروف بالأب لحاجتـه اليه ولذا قدم الفرار من الأم على الفرار من الأب • وقدم الفرار من الأب على الفرار من الزوجة لمكانة الزوجة من قلب الرجل وشدة علاقته بهـا فهي حافظة سره وشريكته في حياته • ثم ذكر الفرار من الأبناء في آخر المطاف وذلك لأنه ألصق بهم وهم مرجوون لنصرته ودفع السوء عنه أكثر من كل المذكورين •

هذا هو السياق في (عبس) سياق الفرار من المعارف وأصحاب العلائق أجمعين للخلو الى النفس فان لكل امرىء شأنا يشغله وهمّا يغنيه •

أما السياق في سورة المعارج فهو مختلف عما في (عبس) ذلـك أنه مشهد من مشاهد العذاب الذي لايطاق فقد جيء بالمجرم ليقذف به في هـذا الجحيم المستعر • وهذا المجرم يود النجاة بكل سبيل ولو أدى ذلك الـى أن يبدأ بابنه فيضعه في دركات لظى • فرتّب المذكورين ترتيبا آخر يقتضيـه

السياق وهو البدء بالأقرب الى القلب والأعلق بالنفس فيفتدي به فضلاً عن الآخريـــن •

لقد وردت في السياق جملة أمور تقتضي هذا الترتيب منها :

١ ــ انه ذكر ان هذا المفتدي (مجرم)وليس مرءإ اعتياديا ، والمجـرم مستعد لفعل أي شيء لينخو ولـــو أن يبدأ بأقرب المقربين اليه وأحبهـم الى قلبه فيضعه في السعـير • وهو لايهمـه أن يفتدي بالناس أجمعـين فيضعهم مكانه في أطباق النيران بذنب لم يرتكبوه وانما ارتكبه هو •

٢ ــ جرى ذكر القرابات قبل هذا المشهد فقال « ولا يسأل حميـم حميما ــ المعـارج ١٠ » والحميم القريب فبدأ بأقرب القرابة وهم الأبنـاء ثم انتهى الى الأباعد وهم مَن في الأرض عموما •

٣ ــ ذكر بعد هذه الآيات أن الانسان خُلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا • فلما أدرك المجرم العقاب وأيقن انه مواقعه لا محالـة أدركه الهلع والجزع ، ومن أظهر مظاهر هذا الهلع والجزع أن يبدأ بأقـرب الناس وأحبهـم اليه فيفتـدي به •

٤ ــ ان البدء بأقرب الناس وأحبهم اليه وألصقهم بقلبه ليفتدي بـه يدل على أن العذاب فوق التصور وهَوْله أبعد من الخيال بحيث جعله يبدأ بأقرب الناس إليه وأن يتخلى عن كل مساومة • جاء في (أنوار التنزيل) في قولـه تعالى « يود المجرم لو يفتدي من عـذاب يومئذ بنيه ••• » ان ذلك « لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ به الى حيث يتمنى أن يفتدي بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه فضلا عن ان يهتم بحاله ويسأل عنها »[٧] •

فرتبها ترتيبا آخر مبتدئا بالأبناء فالزوجة فالأخ فالفصيلة وفيهم الأبـوان ثم انتهى بأهل الارض اجمعين فلا يبقى أحد غيره •

---

(٧) انوار التنزيـل ٧٥٩ وانظر روح المعاني ٢٩/٦٠ •

وقد يكون التقديم والتأخير مراعاة لمعنى معين وليس للاهتمام والعناية فقط . ان التقديم والتأخير قد لايؤدي الى تغيير أساسي في المعنى وذلك نحو (أكرم محمد" سالما) و (اكرم سالماً محمد) و (أقبل سعيد اليوم) و (اقبل اليوم سعيد) و (رفعنا فوقهم الطور) أو (رفعنا الطور فوقهم) فتقديم نحو هذا من باب العناية والاهتمام وليس له أثر كبير في المعنى .

وقد يكون التقديم والتأخير ذا أثر على المعنى فيتغير تبعا للتقديم والتأخير وذلك كأن يتغير المتعلق أو يتغير الموقع أو لغير ذلك من أسباب التغيير .

ومن ذلك على سبيل المثال قولك (عرفت على عجل كيف جئت) و(عرفت كيف جئت على عجل) فمعنى الجملة الأولى أن المعرفة كانت على عجل ومعنى الجملة الثانية ا نالمجيء كان على عجل وقد تغير المعنى بحسب موقع الجار والمجرور . ونحو قوله تعالى « وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه » « فانه لو أخر (من آل فرعون) عن (يكتم ايمانه) لتوهم ان (من) متعلقة بـ (يكتم) فلم يفهم ان الرجل من آل فرعون »[٨] .

ونحو (حسبت محمداً خالدا) و (حسبت خالداً محمدا) فالمعنى مختلف بحسب التقديم والتأخير ونحو قوله صلى الله عليه وسلم في الأرقاء (ان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم) فالمعنى مختلف كما هو واضح . ونحو (ليس الرجل شيئا) و (ليس الشيء رجلا) فالعبارة الاولى عبارة غير صحيحة في المعنى اذا اريدت حقيقة المعنى بخلاف الثانية .

وقد يكون التقديم لضرب من التوسع في الكلام كما في الشعر ومراعاة الأسجاع فان الشاعر قد يعسر عليه وضع الكلمات بحسب أهميتها في الكلام وقد يضطره الوزن والقافية الى التقديم والتأخير لاقامتهما .

---

(٨) الايضاح ١/١١٤ .

وكذلك الأمر في السجع فانك قد تضطر الى تقديم كلمة على غيرها مراعاة للسجع جاء في (شرح السيرافي على الكتاب) : « واكتسبوا بتقديمه ضربا من التوسع في الكلام لأن في كلامهم الشعر المقفى والكلام المسجع وربما اتفق أن يكون السجع في الفاعل فيؤخرونه »[٩].

وجعلوا من ذلك مراعاة الفاصلة في القرآن الكريم كما في قوله تعالى « فأوجس في نفسه خيفة موسى ــ طه ٦٧ » قالوا « فانه لو أخر (في نفسه) عن موسى فات تناسب الفواصل لأن قبله « يخيّل اليه من سحرهم أنها تسعى » وبعده « انك أنت الأعلى »[١٠] .

وجعل منه السكاكي « آمنا برب هرون وموسى ــ طه ٧٠ » بتقديم (هرون) مع ان (موسى) أحق بالتقديم[١١] .

ونقول آن هذا التوسع الذي ذكروه مراعاة للفاصلة لاينطبق على القرآن الكريم فان القرآن الكريم يراعي المعنى مع مراعاة الفاصلة ولا يراعي الفاصلة على حساب المعنى . وان قوله « فأوجس في نفسه خيفة موسى » مراعى فيه المعنى الى جانب الفاصلة .

وكذلك الأمر بالنسبة الى ما قاله السكاكي وهو ان تقديم هرون على موسى في آية طه مراعاة للفاصلة مع ان موسى أحق بالتقديم . وقد سبق أن أوضحنا ان ليست كلمة أحق بالتقديم لذاتها وانما يكون ذلك بحسب المقام . فقد يقتضي المقام تقديم المفضول على الفاضل وفي القرآن الكريم مواطن كثيرة من هذا فلا يصح القول ان موسى أحق بالتقديم على وجه العموم فقد قال تعالى « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ــ البقرة ٢٨٥ » فقد قدم ذاته العلية ثم الملائكة فالكتب ثم الرسل آخراً في حين قال في موطن آخر « من كان عدواً لله

---

(٩) شرح السيرافي بهامش الكتاب ١/١٤ .
(١٠) البرهان ٣/٢٢٤ ٢٣٥ ـ وانظر الايضاح ١/١١٤ .
(١١) البرهان ٣/٢٣٤ـ٢٣٥ .

وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ـ البقرة ٩٨ » فقد أخر جبريل وميكال عن الرسل مع أنهما من أعظم الملائكة شأنا . فلا يصح القول انه كان ينبغي تقديم جبريل وميكال . وقال تعالى « والتين والزيتون. وطور سينين . وهذا البلد الأمين » فأخر (البلد الأمين) مع انه افضل المذكورات ولم تمنعه الفاصلة من التقديم ، وقد ضربنا امثلة توضح ذلك .

وأما بخصوص الآية التي ذكرها السكاكي وهي قوله تعالى « آمنا برب هرون وموسى » فقد بيّنا في كتاب (التعبير القرآني) في باب فواصل الآي أن التقديم والتأخير في هذه الآية وآية « رب موسى وهرون ـ الشعراء ٤٨ » لم يكن لفاصلة الآية وحسب بل ان هذا التقديم والتأخير

وأما قوله تعالى « فأوجس في نفسه خيفة موسى » فلم يكن تأخير الفاعل فيه لمراعاة الفواصل فحسب بل ان بناء الآية على ما هي عليه أمر يقتضيه المعنى من جملة نواحٍ . منها انه قال (فأوجس في نفسه) أي أحس في نفسه خوفا أو وجد فيها خوفا[12] .

اقتضاء الكلام من جهات اخرى ولا يصح تقديم ما أخر او تأخير ما قدم فيهما .

وقد ذكر (في نفسه) لأنه أراد ان يعلمنا ان الخوف لم يظهر عليه وانما أحسّه في نفسه ذلك لأن ايجاس الخوف قد يظهر على المرء فقد قال تعالى في ابراهيم عليه السلام « وأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف انا ارسلنا الى قوم لوط ـ هود ٧٠ » فمعنى ذلك ان الخوف ظهر عليه بدليل قولهم له (لاتخف) ولم يقل (في نفسه) كما قال في موسى .

وتقديم (في نفسه) مهم جداً في هذا الموقف إذ ظهور الخوف عليه أمام الملأ من علائم الضعف وعدم الثقة ، وتقديمها أهم من تقديم (موسى) ذلك لأن الكلام معلوم انه بخصوص موسى وحتى لو لم يذكر موسى لكان ذلك معلوما . يدلك على ذلك الآيات التي قبلها « قالوا يا موسى اما أن

(١٢) فتح القدير ٣/٣٦٢ .

تلقي واما أن نكون أول من ألقى ـ ٦٥ قال بل ألقوا فاذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ٦٦ » فالكلام عليه كما هو ظاهر . ولو قال (فأوجس في نفسه خيفة) ولم يذكر موسى لكان المقصود معلوماً . ولذا فموطن الفاعل هنا في آخر الكلام لا في أوله لظهوره وعدم خفائه أولاً ولتقدم ما هو أهم منه .

ألا ترى كيف قدم الفاعل وأخر (في نفسه) في موطن آخر وهو قوله تعالى « فأسرّها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم ـ يوسف ٧٧ » لأن الجار والمجرور معلوم ولو لم يذكر ، ذلك لأن قوله (أسرّها) معناه (أخفاها في نفسه) وانه لو لم يقل (في نفسه) لكان معلوما كما كان (موسى) معلوما هناك فوضع كلاً في مكانه فقدم هناك ما أخره هنا ولكل مقام مقال .

وهناك أمر آخر حسّن تقديم (في نفسه) وهو أنه قال قبل بدء القصة « وإن تجهر بالقول فانه يعلم السر وأخفى ـ طه ٧ » والسر هو مافي النفس . والذي أخفى من السر هو ما لم تعلمه النفس ولم يصل اليها بعد وهذا كله غيب . وفي الآية قال « فأوجس في نفسه خيفة » وهذا غيب وهو من السر ، وقال بعدها « قلنا لاتخف انك أنت الأعلى » وهذا أخفى من السر فان المخاطب لايعلمه . فانظر كيف تناسقت الآية مع الآية التي تقدمت القصة .

ولو قال (فأوجس موسى خيفة في نفسه) لاحتمل المعنى اضافة الى المعنى الذي ذكرناه أن في أعماق نفسه خوفاً أحس به كما تقول (أظهر موسى خوفا في نفسه) أي كان في نفسه خوف ثم أظهره وذلك بحسب التعليق فان علقت الجار والمجرور بالفعل (أوجس) كان المعنى (أوجس في نفسه) وان علقته بالخوف كان المعنى ان الخوف في نفسه . ومثله أن تقول (أظهر وداً لمحمد) فالمعنى يحتمل انه أظهره له اذا علقت الجار والمجرور بالفعل (أظهر) ويحتمل أن وداً له كان في نفسه أظهره

وذلك اذا علقته بالود أو بمحذوف أي وداً كائنا لمحمد وقد يكون عند ذاك أظهر الود له أو لغيره كما تقول (أظهر سالم لخالد وداً لمحمد) فان الاظهار كان لسالم والود لمحمد . ونحوه أن تقول (وجد في نفسه صدوداً عن هذا) فـ (عن هذا) متعلق بالصدود ونحو قولك (وجد في نفسه إقبالاً على الخير) فـ (على الخير) متعلق بالاقبال .

ونعود الى الآية فانا لو قلنا (فأوجس خيفة في نفسه) لكان المعنى ان الخوف كامن في النفس كائن فيها كما ذكرنا ، وهذا المعنى غير مراد ، وهو ذم لموسى عليه السلام لأن المعنى سيكون أن نفسه منطوية على الخوف، وعلى هذا تكون الآية (فأوجس في نفسه خيفة موسى) أعدل الكلام وأحسنه ، وأن التقديم والتأخير فيها اقتضاه الكلام من كل وجه .

والذي ينبغي ألا يغفل عنه أن ماذكرناه من أغراض التقديم والتأخير انما هو في غير مايجب تقديمه أو تأخيره مما له صدر الكلام ونحوه نحو (من أكرمت ؟) و (لدار الآخرة خير) و (في الدار رجل) لأنه ليس لنا فيه اختيار وما ذكرناه من الاغراض انما يكون فيما لنا فيه اختيار .

وخلاصة ماذكرناه في التقديم والتأخير :

١ ــ ان للكلام رتباً بعضها أسبق من بعض فان جرى الكلام على الأصل لم يكن من باب التقديم والتأخير .

٢ ــ اذا غيرت أية كلمة عن مكانها دخل ذلك في باب التقديم والتأخير .

٣ ــ الأصل في التقديم والتأخير أن يكون للعناية والاهتمام فما قدمته كنت به أعنى .

٤ ــ ان مواطن العناية والاهتمام تختلف بحسب المقام ولذلك قد تقدم في موطن ما تؤخره في موطن آخر .

٥ ـ ليس معنى الاهتمام تقديم ما هو أفضل وأشرف بل قد يكون تقـديم المفضول هو موطن الاهتمام •

٦ ـ وقد يكون التقديم والتأخير لمراعاة معنى معين فان تغير ترتيب العبارة بتقديم أو تأخير تغير المعنى •

٧ ـ وقد يكون التقديم لضرب من التوسع في الكلام لا للدلالة على معنى معين كما في الشعر ومراعاة الأسجـاع •

٨ ـ ماذكرناه من الأمور لاينطبق على ما يلزم التقديم او التأخـير ممـا ليس لنا فيه اختيـار •

* * *

مراجـع البحـث :

ـ انوار التنزيل للقاضي البيضاوي ـ المطبعة العثمانية ١٣٠٥هـ .

ـ الايضاح للقزويني ـ مطبعة السنة المحمدية تحقيق لجنة من اساتـذة الازهر .

ـ البرهـان في علوم القـرآن للزركشي تحقيـق محمـد ابي الفضـل ابراهيـم ط١/١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م .

ـ التعبير القرآني د. فاضل صالح السامرائي ـ مطابع وزارة التعليم العالـي بالموصـل .

ـ روح المعانـي في تفسـير القـرآن الكريـم للسيد محمـود الآلوسـي ـ ادارة الطباعـة المنـيرية .

ـ شرح الرضي على الكافية لابن الحاجب .

ـ شرح السيرافي على كتاب سيبويه بهامش الكتاب .

ـ فتح القدير لمحمـد بن علي الشوكانـي ط١ مطبعـة مصطفـى البابي الحلبـي واولاده بمصر سنة ١٣٤٩هـ .

ـ كتاب سيبويه مصور على طبعة بولاق ـ اصدار مكتبة المثنى ببغداد .

ـ لسان العرب لابن منظور مصور على طبعة بولاق .

الرقابة الصحية ونظام الحسبة في الحضارة العربيـــة الاســـلامية

الدكتـــور هاشـــم يحيى المـــلاح
اســـتاذ التاريخ الاسلامي
كلية الآداب ـ جامعة الموصل
عضو المجمـع العلمي

مفهوم الحسبة :

الحسبة عند علماء اللغة لها معنيان ، الأول ، هو ان يقوم الشخص بعمل لا يطلب أجره من الناس ، وانما يحتسب أجـره عند الله . وبهــذا المعنى ورد الحديث النبوي الشريف : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له مـــا تقدم من ذنبه »(١) . اما المعنى الثاني ، فهو الانكار ، فاذا قيل أحتسب عليه ، يعني أنكر عليه(٢) .

ويبدو أن المعنى الاصطلاحي للحسبة قد أشتق من المعنى الثاني فقــد ذكر الماوردي أن الحسبة « هي أمر بالمعروف اذا ظهر تركه ونهي عن المنكــر اذا ظهــر فعلــه »(٣) . أما ابن خلدون ، فقد أبــرز تعريفه ان الحسبة ليست مجرد أمر بمعروف ونهي عــن المنكر يبغي به فاعله وجه الله ، وانما هي بالاضافة الى كل ذلك وظيفة دينيـــة ينبغي على ولي أمر المسلمين ان يعــين لها من يقوم بها ، فقال ان الحسبة هي : « وظيفة دينية من باب الأمر بالمعروف والنهي عــن المنكر الذي هو فرض على القائم بأمور المسلمين ، يعين لذلك مــن يراه أهلا له ، فيتعين فرضه عليه ، ويتخذ الأعوان على ذلــك ، ويبحث عن المنكــرات ويعــزز ويؤدب على قدرهــا ، ويحمل النــاس على المصــالح العــامة في المدينة»(٤) .

نشأة نظام الحسبة :

ان الحسبة بصفتها أمر بمعروف ونهي عن المنكر تستمد أصولها ومشروعيتها من القرآن الكريم الذي أوجب على المسلمين أن يأمروا بالمعروف وينهوا عن المنكر ، بل أنه أمرهم في احدى آياته بأن يكون منهم « أمة يدعون الى الخير . ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر »(٥) .

وقد مارس الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذا الواجب بنفسه قولا وفعلا ، بل ان جهاده من أجل الدعوة واقامة دولة الاسلام كلّه يدخل ضمن هذا الواجب بمفهومه العام . أما اذا أريد الحديث عن ممارسات الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ للحسبة بمفهومها الخاص فيمكن الاستدلال على ذلك بالحديث الذي ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ــ مرّ على صبرة طعام ، فأدخل يده فيها ، فنالت أصابعه بللاً فقال : ما هذا يا صاحب الطعام ؟ قال : أصابته السماء يا رسول الله ، قال : أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس ؟ إمن غش فليس مني »(٦) .

وقد تابع الخلفاء الراشدون الرسول ــ صلى الله عليه وسلم ــ في عمله فحرصوا على تفقد أحوال الناس وحمايتهم من الغش والاستغلال ، ونظرا لاتساع الدولة وكثرة واجبات الخلفاء ، فقد ذكر أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قام بتعيين عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي ليكون عاملا على سوق المدينة(٧) .

ويبدو ان الأمويين قد ساروا على نفس النهج في تعيين عمال لمراقبة الأسواق في المدن ، وان كانت لم تصلنا معلومات تساعدنا على التعرف على اختصاصات صاحب السوق وعلاقته بالأمير وصاحب الشرطة والقاضي(٨) .

أما اطلاق صفة محتسب على هذا الموظف ووصف عمله بالحسبة ، فيبدو أنه قد ظهر لأول مرة في بغداد سنة ١٥٧هـ على عهد الخليفة ابو جعفر

المنصور ، فقد ذكر الطبري ان أبا جعفر المنصور ولى رجلاً يقال له أبو زكرياء يحيى بن عبدالله حسبة بغداد والأسواق سنة سبع وخمسين ومائة[٩] .

وهكذا أخذت وظيفة الحسبة بالنمو والتطور والانتشار في مختلف الأمصار الاسلامية ، وأخذ الفقهاء يؤلفون الكتب التي تبين طبيعة الحسبة ومجالاتها واختصاصات المحتسب وعلاقته بكل من القاضي وصاحب الشرطة والأمير كما هو واضح من كتابات الماوردي والغزالي وابن تيمية وابن خلدون والشيزرى وابن بسام والسقطي وابن عبدون والجرسيفي وغيرهم .

ويظهر من الكتب التي وصلتنا عن الحسبة وحياة مؤلفيها ، أن هذا النظام قد انتشر في جميع دار الاسلام (مشرقه ومغربه) وذلك لأن الحسبة قد عدت نظاما دينيا مكملا لنظام القضاء ، وان من واجب ولي أمر المسلمين « ان يعين لها من يقوم بها » على حد قول ابن خلدون . غير ان مما يؤسف له انه لم تصلنا معلومات عن أوضاع الحسبة والمحتسبين في جميع المدن والأقاليم الاسلامية .

هل اخذ العرب نظام الحسبة من اليونان :

لقد ذكر بعض الباحثين أنه « كان بين الوظائف التي عرفتها المدن اليونانية، والتي نشرها اليونان في انحاء الشرق الأدنى أثر استيلائهم عليه وظيفة باسم أغورانوموس (Agoranomos) ويمكن ترجمتها بصاحب السوق . وكان عمل هذا الموظف الاشراف على شؤون السوق من حيث التأكد من صحة الأوزان والمكاييل وجودة المتاجر المعروضة للبيع وسلامة المعاملات .

وقد نشر اليونان هذه الوظيفة في المدن التي أنشأوها او جددوها واحتفظ بها الرومان والبيزنطيون وطوروها ، واذاً فقد كان هناك موظف هو صاحب السوق لمدة نحو ألف سنة فتح الاسكندر الى الفتح العربي . وهذه الوظيفة كانت بين عشرات من الوظائف الصغرى التي استمرت في المدن دون تبديل او تغيير . ذلك لأن العرب لم يكن لهم ما يمكن ان يقدموه بديلا عنها ... »[١٠] .

ان دراسة هذا الرأي توحـي بأن اصحابه قد ذهبـوا بعيدا في محاولة اثبات ان العـرب قد اقتبسوا نظـام الحسبة من البيزنطيين ، حيث أن مجرد تشابه لفظي بين المصطلح اليوناني والمصطلح العربـي « العامل على السوق » لا يشكل دليلا على ان العرب قد أخذوا هذا النظام عن البيزنطيين ، خاصة وأن هذا النظام قد انبثق عند العرب من فكرة الامر بالمعروف والنهي عن المنكر التي جاء بها القرآن الكريم ومارسها الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه . كما لوحظ أن هذا التعبير ـ العامل على السوق ـ « قـد استعمل في المدينة حيث لم يمتد الأثر البيزنطي ، كما استعمل في الأندلس والمغـرب اللتين تأثرتا بنظم الحجاز ، ولم تستعمل في بلاد الشام ومصر اللتين كانتـا خاضعتين للروم ومتأثرتين بنظمهم ، فلو كان العرب اقتبسوا هذه المؤسسـة من الروم ، لكان الأحرى ان يبقوها في بلاد الشام ومصر ، وهو ما لا نجده »[١١] .

ان ماتقدم ، لاينفي احتمـال تأثر الحضـارة العربية الاسلاميـة ببعض الجوانب التفصيلية من نظام الرقابة على الأسواق الـذي كان قائما في بعض المدن التي كانت خاضعة للامبراطورية البيزنطية .. فان مثل هذا الاحتمال كان قائما ، وهو من الأمور التي لم يكن يرفضها المسلمون طالما تـم ذلك في اطار الروح العامة للحضارة العربية الاسلامية ومثلها العليا .

تطـور اختصاصات المحتسب :

ان عمـل المحتسب ذو طبيعـة رقابية تستهدف ضبط الحياة العامة في المجتمع لتسـير وفقا لأوامر الشريعـة الاسلامية . ومن ثم فقـد تمت اعمال المحتسب وتطورت اختصاصاته بحسب اوضـاع المجتمع الـذي يعمل فيه . وهكذا فقد ظهرت صيغ وتطبيقات متنوعة لوظيفـة المحتسب واختصاصاته في مختلف الأمصار الاسلامية تبعا للظروف التي كانت سائدة في كل منهـا ، بل أن هذه الصلاحيات والاختصاصات اختلفت من وقت لآخر في المصر الواحد .

فقد جرى بعض الخلفاء العباسيين على قصر اعمال المحتسب على واجبات الحسبة وعدم تكليفه بأعمال أخرى ، بينما جرى خلفاء آخرون على اضافة الحسبة الى اعمال القاضي ، نظرا لقوة الترابط بين طبيعة العملين ولأن « الحسبة داخلة في عموم ولاية القاضي »[١٢]. بل لقد وصلنا خبر يشير الى تعيين طبيب بمنصب محتسب وصاحب شرطة في الأندلس[١٣].

كما ان واجبات المحتسب ليس لها حدود معينة تقف عندها ، لأنها ترتبط بعموم حياة المجتمع وتطوره ، وضمان تطبيق احكام الشريعة الاسلامية ، من خلال كشف المخالفات لاحكامها وانزال العقوبات المناسبة بالمخالفين. وفي اطار هذه المهمة يقوم المحتسب بمراقبة سير الحياة التجارية والصناعية في الأسواق. اضافة الى قيامه بمراقبة سلوك الناس ومدى مطابقته لأوامر الشريعة . بل ان عمل المحتسب يمتد في بعض الأحيان ليشمل مراقبة أفكار الناس من أجل منع أصحاب البدع والاتجاهات الشاذة من الترويج لبدعهم في المجتمع[١٤].

ونظرا لكثرة صلاحيات المحتسب وتشعبها واتصالها بمصالح عامة الناس، فقد تشدد الفقهاء في الصفات الواجب توفرها في المحتسب ، فذكر الماوردي أن من « شروط والي الحسبة أن يكون حرا ، عدلا ، ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين ، وعلم بالمنكرات الظاهرة »[١٥].

ونظرا لأن هذه الدراسة تعني بصورة أساس بعلاقة الرقابة الصحية بنظام الحسبة ، فان البحث سيركز اهتمامه على صلاحيات المحتسب في هذا المجال . وسنعتمد في ذلك على ما ورد في كتاب ابن بسام « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » بصورة أساس ، حيث ان المادة التي أوردها بصورة مفصلة عن علاقة المحتسب بالرقابة الصحية تكاد تتكرر في معظم كتب الحسبة الأخرى مع اختلافات طفيفة في الصياغة وبعض التفاصيل .

المحتسب والرقابة الصحية :

ان دراسة كتب الحسبة تشير الى ان العناية بنظافة البيئة التي يعيش فيها الانسان وتنقيتها من الخبائث التي تضر بالانسان وصحته كانت أحد

الأهداف المركزية التي ينبغي على المحتسب ان يوليها عناية خاصة ، وذلك لأن الشريعة الاسلامية حرصت على النظافة والتطهر وحـذرت المسلمين من تلويث أنفسهم وبيئتهم ، وعدّت التلوث مرتعا خصباً للنجاسة والخبائث التي تسمى في الوقت الحاضر بالميكروبات(١٦) .

لقد ربط الاسلام بين الدين والنظافة حتى عدّت النظافة رمزا للمسلم وللمجتمع الاسلامي . يقول الغزالي في كتابه « احياء علوم الدين » ان النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ قال : « بني الدين على النظافة ، وقال ــ صلى الله عليه وسلم ــ : مفتاح الصلاة الطهور . وقال الله تعالى : *(فيه رجال يحبون أن يتطهروا .. والله يحب المطهرين)* . وقال النبي ــ صلى الله عليه وسلم : ــ الطهور نصف الايمان »(١٧) .

وقد افاض فقهاء الشريعة الاسلامية في الحديث عن جوانب الطهارة التي ينبغي على المسلم مراعاتها في بدنه وعلاقاته ومأكله وملبسه ومسكنه وعمله ودور عبادته وطرق مروره وغير ذلك من الأمور التي تضمن نظافة البيئة التي يعيش فيها(١٨) .

ان ضمان نظافة البيئة ومنعها من التلوث قد استلزم عدم ترك المسألة الى تقدير الأفراد ووعيهم ، لأن أفراد المجتمع يتفاوتون في مداركهم ومدى التزامهم بقواعد النظام العام والآداب . لذا فقد حرصت الدولة على تكليف المحتسب بواجبات الرقابة الصحية(١٩) التي تنوعت مجالاتها لتشمل الأمور الآتية :

١ ــ نظافة المساجد :

يعد المسجد مركز الحياة العامة في المدينة الاسلامية ففيه يجتمع الناس للعبادة وطلب العلم والتداول في امورهم العامة ، لذا أولت الدولة عناية كبيرة لنظافته وجمال مظهره . فوجهت المحتسب أن يأمر « القومة بنفض الجوامع والمساجد في كل يوم بالغدو وبالعشي ، ورفع حصرها ، وكنسها كل يوم جمعة ، وغسل قناديلها كل شهر مرتين ، واشعالها في كل ليلة ، في صلاة المغرب ،

والعشاء ، والصبح ، ويعني بنظافة ساحاتها»[٣٠] . كما ينبغي على المحتسب أن يأمر بغلق أبواب المساجد « عقب كل صلاة ، وصيانتها من الصبيان ، والمجانين ، كما أمر سيد المرسلين . وكذلك من يأكل فيها الطعام ، وينام ، أو يعمل صناعة ، أو يبيع سلعة ، أو ينشد ضالة ، أو يجلس فيها لحديث الناس ، فقد ورد الشرع بتنزيه المساجد عن ذلك »[٣١] .

٢ ـ نظافة الحمامات :

يعد الحمام أحد المرافق العامة في المدينة الاسلامية ، حيث يتاح لعامة الناس أن ينظفوا أجسادهم ويتطهروا عملا بتعاليم الدين الاسلامي التي أكدت على النظافة وربطت بين طهارة البدن وصحة العبادة . لذا فقد أولى المجتمع الاسلامي عناية كبيرة بالحمامات وضمان نظافتها . ومن ثم فقد أصبح من واجب المحتسب « أن يأمر ضامن الحمام بنظافتها ، وكنسها ، وغسلها بالماء الطاهر ... ويغسلون الخزانة من الأوساخ المجتمعة في مجاريها ، والعكر الراكد في اسفلها كل شهر مرة ، لأنها أن تركت أكثر من ذلك تغير الماء فيها في الطعم والرائحة »[٣٢] .

كما ان على ضامن الحمام « ان يبخر الحمام بالفحم واللبان في كل يوم مرتين ، لا سيما اذا شرع في كنسها وغسلها ، ومتى بردت الحمام فينبغي أن يبخرها بالخزامي ، فانه يحمي هواءها وطيب رائحتها ... وتسد المنافذ التي يدخل منها الدخان الذي يسمى الزنبور ، فان ذلك مضرة لعيون الناس ورؤوسهم »[٣٣] .

وعلى المحتسب اضافة الى كل ما تقدم ان يمنع من دخول الحمام « الأجذم والأبرص وأصحاب العاهات الظاهرة ، ولا يدع الاساكفة تغسل فيها الجلود ، فان الناس يتضررون برائحة الدباغ . وكذلك من كانت صنعته نقل السماد والجيف ، الا ان يغتسل ويتنظف قبل أن يدخل الى الحمام»[٣٤].

وهكذا نلاحظ ان الرقابة التي كان يمارسها المحتسب على الحمامات كانت متنوعة الوجوه فهي تهتم بالنظافة ومنع التلوث والعدوى ، اضافة الى

اهتمامها بالذوق العام وحسن المظهر التي ينبغي أن تكون عليها المرافق التي يرتادها الناس •

٣ ـ **نظافة الطرقـات :**

لقد حرصت الشريعة الاسلامية على دعوة النـاس لاماطـة الأذى عـن الطريق ، لأن في ذلك مصلحة عامة لكل الناس الذين يمرون في الطرقات • لذا فقد تضمنت كتب الحسبة العديد من التوجيهات التي تساعد المحتسب على تحقيق هذا الهدف ، سنقتصر على ذكر بعض ما له علاقة بالصحة العامة :

أ ـ على المحتسب ان يأمر « يأمر أهل الاسواق بكنسها وتنظيفها من الاوساخ وغير ذلك مما يضر بالناس ، فان النبي ـ صلى الله عليه وسلـم ـ قال : لا ضرر ولا ضرار »[٢٥] •

ب ـ لايجوز لأحـد أن يخرج من داره شيئا فيـه أذية او اضـرار للناس الى الطرقات والحـارات « كمجارى الأوساخ الخارجـة من الدار في زمن الصيف الى وسط الطريـق ، فأنـه يكلف بمـده في الصيف ، ويحفر له في داره حفرة يجمع فيها »[٢٦] •

جـ ـ يجب على أصحاب الأفران ان يرفعوا مداخن افرانهـم « بالبرابح وتعلى بحيث يخرج دخانها مرتفعا عن دور مجاوريهم »[٢٧] •

٤ ـ **نظافة الاسـواق ومحلات الاطعمـة :**

لقد أولت كتب الحسبة أهمية كبيرة لنظافة الأسواق ومحـلات الأطعمة فنبهت المحتسبين الى وجوب اتخاذ عرفاء لمراقبة هذه المحلات ومعاونة المحتسب في كشف المخالفات والغش • وقد أشـارت كتب الحسبـة الى بعض القواعد التي ينبغي مراعاتها عند مراقبة كل حرفة •

وسنذكر بعض هذه القواعد بقدر تعلق الأمر بالصحة العامة :

أ ـ بالنسبة للخبازين : ينبغي على المحتسب ان يطالبهـم : « بنظافة أوعية الماء وتغطيتها ، ونظافة المعاجن ، وما يغطي به الخبز ، وما يفرش تحتـه ، ولا

يعجن عجان بقدميه ولا بركبتيه ، ولا بمرافقه لئلا تنحدر أعراق ابدانهم في العجين ، وفي ذلك أيضا احتقار بالطعام . ويكون العجان ملثما لئلا يبدر من بصاقه . او مخاطه شيء من العجين اذا تكلم او عطس ، ولا يعجن الا وعليه ملعبه — أي ثوب من غيركم — او ثوب مقطوع الأكمام . ويشد جبينه بعصابة بيضاء لتمنع عرقه ان يقطر ، ويحلق شعر شعر ذراعيه كل قليل ، واذا عجن في النهار فليكن عنده من ينش عنه الذباب . وأما الجردقاينون فلا يضع أحد منهم في عجينه شيئا من النطرون لأنه يورث العطش ويسهل البطن ويورث البواسير ويجعلوا عوضه الكمون الأبيض »[٢٨].

ب — بالنسبة للسقائين : على المحتسب ان يعرف على السقائين عريفا منهم لكي يساعده في التأكد من نظافة الماء الذي يجلبونه للناس وذلك لأن الأمواج تجلب الأوساخ والأقذار الى الشطوط ، لذا يجب على السقائين أن « يدخلوا في الماء الى ان يبعدوا عن الأوساخ ، وألا يستقوا من مكان يكون قريبا من سقاية ، ولا مستحم ، ولا مجراة حمام ، ومن اتخذ منهم راوية جديدة فلينقل بها الماء الى الطين اياما فان ماءها يكون متغير الطعم والرائحة من أثر الدباغ ، فاذا زال التغير أذن المحتسب في بيع مائها . وينبغي أن يكون في اوساطهم التبابين ليستروا عواراتهم . وسقاة الماء بالكيزان أصحاب القرب يؤمرون بنظافة ازيارهم ، وصياتتها بالأغطية ، وتغطية قربهم التي يسقون منها في الأسواق بالميازر ، ويمنعهم أن يسقوا بجيزانهم المجذوم والأبرص وأصحاب العاهات الظاهرة ..»[٢٩].

وهكذا نلاحظ ان هذه التعليمات لم تؤكد على ظاهرة الذوق والنظافة فقط ، وانما نبهت الى احتمال انتشار عدوى الأمراض ، ودعت الى الاحتراس منها .

ج — بالنسبة لباعة الأطعمة : ينبغي ان يستعين المحتسب بفريق منهم كي يساعده في مراقبتهم ، ومنعهم من الغش . وقد أشير الى العديد من

حالات الغش التي تضـر بصحة الناس . من ذلك خلط اللبن الذي تغير طعمه ، فأصبح حامضا مع اللبن الجديد الطري مما قـد يسبب التسمم « فيمنعون من ذلك ، ويحلفون عليه ، وتفتش دكاكينهم »[٣٠].

كما « يمنعون من عمل المريء المطبوخ وبيعه ، فان الفلاسفة يذكرون أنه يورث الجذام »[٣١] كما ينبغي مراقبة أصحـاب المخللات « فانها كثيرة التغيير والاستحالة ، فيخزنونها ، ويستحلون بيعها ، فما وجـد في شيء منها عتيق او تغيير ، رمي على المزابل »[٣٢].

وعلى المحتسب ان يراقب أوعية أصحاب المخللات التي عندهم من الأوساخ والتهاون بتركها مكشوفة ، ولا يمكنون من ذلك »[٣٣].

كما يجب على المحتسب ان يراقب دكاكين أصحاب الخضار فيطلب منهم بيع « جميع البقـول مغسولة منقية مـن الحشيش والطاقات المصفرة ، ويأمرهم بقطع سعد أصول الخس . والفجل لايباع الا مغسولا . واذا بات عندهـم شيء في دكاكينهم من الخضراوات فـلا يخلطوه من طرى يومه ويمنعون من ذلك فان ذلك غش وتدليس »[٣٤].

- بالنسبة للجزارين والقصابين : على المحتسب ان يراقب اعمالهم بالاستعانة بعريف منهم ، ويلزمهـم بذبح الحيوانات وفقـا للقواعـد التي وضعتها الشريعة الاسلامية ، كما ينبغي ألا يكون الحيوان مريضا مرضا يجعل لحمه غير صالح للأكل ، فعلى المحتسب ان يمنع الجزارين أن « يذبحوا جملا يكون مقرح الجسم الى ان يبرأ جميع ما فيه من القـروح »[٣٥]. كما كان الحاكم بأمر الله الفاطمي يمنع من ذبح الحيوانات المريضة او التي فيها عيوب ظاهـرة[٣٦]. كما كـان المحتسبين ينهون الجزارين عن نفخ الشـاة عند السلخ « فان نكهـة ابن آدم تغير اللحم وتزفـره »[٣٧] . بالاضافة الى ما تقدم فقد كان المحتسب يأمر القصابين أن لايلصقوا على سائر اللحم شيئا من القزدير ، فان الحكماء قد ذكروا بأنه يسمه»[٣٨].

كما ان على القصاب « اذا فـرغ من البيع وأراد الانصـراف أخذ ملحا مسحوقا ونثره على القرمة ـ وهي قطعة الخشب التي يقطع عليها اللحم ـ لئلا تلمسها أو يدب عليها شيء من الهوام »(٣٩).

هـ ـ بالنسبة للطباخين : ينبغي على المحتسب أن « يعرف عليهم ثقة بصيرا عارفا بمعيشتهم ، ويطالبهم بنظافة آلاتهم كلها ، وغسلها كل يـوم بالماء الحار والاشنان ، وأن لا يطبخوا بلحوم المعـز ولا بلحوم الجمال لئلا يأكل منه العليل فيزيد في علته او ناقه من مرض فتكون سببا لنكسته »(٤٠).

ان ما تقدم ، هو مجـرد أمثلة للتعليمـات الصحية التي كان المحتسبون يعملون بموجبها لمراقبة بعض الحرف . ولو أردنا الاستقصاء لجميع الحالات والحرف لطال الحديث ، وهذه الأمثلة بمجملها تـدل على وعي صحـي جيد بالنسبة لظروف ذلك الزمان ، فهي تعنى عناية شديدة بالنظافة ، وتدرك مخاطر العدوى ، والتلوث ، والتسمم .. وتأثير كل ذلك على صحة الانسان وحياته .

الرقابة على اصحاب التخصصات الطبية :

ان المتطلبات العلمية والعملية التي كان يحتاج اليها الطبيب ليصبح مؤهلا لممارسة الطب كثيرة وصعبة ، وقد وصفها الشيزري في كتابه « نهاية الرتبة في طلب الحسبة » ، ثم قرر ان من لـم يحصل على هذه المؤهـلات « فلا يحل له مداواة المرضى ، ولا يجوز له الاقدام على علاج يخاطر فيـه ، ولا يتعرض الى مالم يحكم علمه من جميع ما ذكرناه »(٤١).

وقد عدّ الشيزري الطبيب مسؤولا عن دفع دية المريض في حالـة موته نتيجة تقصير من الطبيب المعالـج . وتقع مسؤولية تقريـر وجود التقصير من عدمه على عاتـق « الحكيم المشهور » أي كبير الأطباء في المدينـة . وقد ذكر الشيزري ان هذا المنهج كان معمولا به عند ملوك اليونان .

ويبدو مما تقدم ان الرقابة على الاطباء كانت « رقابة من داخل المهنة اي رقابة ذاتية من قبل الأطباء أنفسهم على أنفسهم »(٤٢). غير ان ذلك لم يمنع من

اخضاع هذه المهنة للرقابة العامة للمحتسب ، فقد ذكر ابن بسام أنه « ينبغي أن يكون المقدم على الأطباء والمرجوع اليه منهم ، من كثرت حرمتـه ، وتبالغت تجربته ، ويحلف بما لا له كفارة ، أن يطالب سائر الأطباء بما شرحه يوحنا بن ماسوية المتطبب في كتابه المعروف بـ « مهنة الطبيب »[٤٣]. فان وجـده قد استوعب ما فيه أجاز عمله في الطب بعد أن يقرأ عليه ما شرط بقراط على نفسه وعلى المتطببين ويحلفهم عليـه ، وعلى أنهم لايعطون لأحد دوائا قتـالا ، ولا يشيرون به ، ولا يعطون للنسوان ما يسقط الأجنـة ..[٤٤].

ويبدو أن الاطباء لم يكونوا يخضعون لاختبار اجازة المهنة قبـل القرن الرابع الهجري بسبب الثقة العامة بامكانياتهم ، غير أنه فـي سنة ٣١٩ للهجرة وصلت للخليفة المقتدر شكوى ضد أحد الأطباء الذي لم يحسن معالجـة أحد المرضى فتوفي على يديه فأمـر الخليفة محتسبه « بمنـع جميع الأطباء الا من امتحنه سنان بن ثابت وكتب له رقعة بما يطلق له التصرف فيه في الصناعة .. وقد بلغ عددهم في الجانبين من بغداد ثمان مائة ونيفا وستين رجلا ، سوى من استغنى عن امتحانهـم باشتهاره بالتقـدم في الصناعة وسـوى من كان في خدمـة السلطان»[٤٥].

ان ماتقدم يشير الى كثـرة من تصدوا للعمل في مهنـة الطب في مدينة بغداد ، وخروج بعضهم على قواعد المهنة ، مما تطلب اخضاعها للرقابـة العامة والخاصة لحماية ارواح الناس ومصالحهم .

ولم يقتصر اختبار الكفاءة والمراقبة على الأطبـاء وحدهم ، بل شمل كافة العاملين في التخصصات الطبية ، مثـل ، الكحالين الذين يطببـون العيون ، والجرائحيين والمجبريـن ، والفصاديـن والحجامين[٤٦]. فكـان ينبغي على المحتسب أن يعين على كل أصحاب حرفة من هذه الحرف « عريفـا ثقة عارفا بهرجتهم وميلهم » لخطورة هذه الحرف على حياة الناس[٤٧] . كما أن عليه ان يختبرهم في مضمون كتب الاختصاص الضرورية لعملهم . فعلى العريف الذي

نصبه المحتسب على المجبرين على سبيل المثال أن « يسأل من نصب نفسه للجبر عن المعروفة بالمقالة السادسة من كتاب بولص في الجبر ، ويسأل عن معرفة عدد عظام الانسان ، وهي مائتا عظم وثمانية وأربعون عظما ، وصورة كل واحد منها ، وسكنة ليرده الى مكانه اذا انخلع ، ويجبره اذا انكسر ، فاذا كان فيما فيما ذكرناه ، والا أقامه »(٤٨). أي منعه من مزاولة المهنة .

وقد اشارت كتب الحسبة الى انه لايكفي لمن تصدى لممارسة الاختصاصات الطبية ان يمتلك المؤهلات العلمية والعملية لذلك ، بل لابد أن يكون لديه من الأدوات والعدد ما يساعده على القيام بعمله . فيجب ان يكون لدى الطبيب « آلات الطب مكملة ، وهي كلبات الاضراس ، وكلبات العلق ، ومكاوي الطحال ، وزرافات الذكر ، وملزم البواسير ، ومخرط المناخر ، .... وجميع ما يحتاجه»(٤٩).

وهكذا نلاحظ ان الرقابة على ممارسة أصحاب الاختصاصات الطبية كانت عامة وخاصة ، وأنها لم تكن مجرد رقابة أدبية ، وانما كانت رقابة فعلية تحميها عقوبات مقررة تصل الى حد المنع من ممارسة المهنة ، والتأديب والتشهير ، وحسب مقتضيات كل حالة من الحالات(٥٠).

ومن التخصصات ذات الصلة الوثيقة بالطب ومعالجة المرضى الاشتغال بالصيدلة والعقاقير . لذا فقد خضعت لرقابة المحتسب من أجل حماية صحة الناس وأورواحهم . وقد شكى ابن بسام من صعوبة مراقبة الصيادلة ، لأن العقاقير ـ في زمنه ـ « نحو ثلاثة آلاف عقار ، ولها أشباه وأمثلة ، تقاربها وتدانيها في الصورة ، وتنافيها وتبعد عنها في المزاج»(٥١). ومن ثم فقد وجب « ان يعرف عليهم عريفا ثقة عارفا بمعيشتهم »(٥٢) ، كي يتمكن من مراقبتهم ومحاسبتهم . كما ينبغي على المحتسب بالاضافة الى ذلك « ان يباشرهم ، ويخوفهم ، ويعضهم ، وينهرهم بالعقوبة والتعزير ، ويعتبر عليهم عقاقيرهم في كل اسبوع »(٥٣) لمنعهم من الغش .

وقد قدّم ابن بسام قائمة طويلة من حـالات الغش في الأدوية والعقاقير التي كانت شائعة في زمنه لتحذير الناس منها ، وأعرض عن ذكر حالات كثيرة غير شائعة مخافة من تعليمها وانتشارها بين الناس(٥٤).

ومن أجل معالجة ظاهرة الغش في الأدويـة ، فقد دعـى ابن بسام الى اخضاع عملية تحضير الأدوية وتركيبها لمراقبـة العريف المختص « حتى تزول الظنة وترتفع الشبهة »(٥٥). اما ان تعذر حضور العريف لعملية تركيب العقاقير بنفسه « عينت الحوائج وحملها الشرابي ـ أي صانع الشـراب ـ الى مجلس العريـف في طبـق او غـيره ، ليشاهدهـا ، ويعـد عقاقيرها ويقابلهـا بمن يعول عليه ..»(٥٦) .

وأن مما يجـدر ذكره في ختام هـذا البحث ان عنايـة المجتمع العربي الاسلامي لم تقتصر على عالم الانسان فقط ، بل امتدت الى عالم الحيوان فقد ورد عن النبـي ـ صلى الله عليه وسلم ـ العديـد من الآثـار التي تدعو الى الرأفة بالحيوان(٥٧). لذا فقد اهتمت كتب الحسبة بمراقبة البياطـرة ووضعت الضوابط التي تضمن حسن معالجتهم للحيوانات ، وخاصة وان علاج امراض الحيوانات أصعب من عـلاج أمراض الآدميـين « لأن الدواب ليس لهـا نطق تعبر به عمـا تجد من المـرض والألـم ، وانمـا يستدل على عللهـا بالجس والنظر»(٥٨) لذا «ينبغي أن يكون البيطار خبيرا بعلل الدواب ومعرفة ما يحدث فيها من العيوب»(٥٩).

ومن أجل التأكد من علم وخبرة البيطار في علاج الحيوانـات يجب على المحتسب ألا يهمل امتحان البيطار قبل السماح له بالمضي في ممارسة مهنته(٦٠).

نخلص من كل ما تقدم ، الى أن نظام الحسبة قد لعب دورا كبيرا في مجال الرقابة الصحية لتحقيق نظافة البيئة وحمايتها من التلوث ، بالاضافة الى وضع الأسس والقواعد التي تضمن تقديم العلاج والرعاية الصحية للناس ، وحمايتهم من المستغلين ومدعي المعرفة بعلاج المرضى .

المصـادر والمراجـع :

(١) حديث متفق عليه ، النووي ، رياض الصالحين ، مصر ، بلات ، ص٢٢٥.

(٢) الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ، بيروت ١٩٨٣ ، ج١ ، ص ٥٥ .

(٣) الماوردي ، الأحكام السلطانية ، مصر ١٩٦٠ ، ص ٢٤٠ .

(٤) ابن خلدون ، المقدمة ، بيروت ، ط٣ ، ص ٢٣٥ .

(٥) سورة آل عمران ١٠٤ ، راجع ايضا : آل عمران ١١٠ ، سورة الحج ٤١.

(٦) المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، تحقيق : محمد ناصر الديـن الألباني، الكويت ، ج٢ ، ص ١١ .

(٧) عطـوة ، د. عبدالعال احمد ، نظـام الحسبة في الاسـلام ، الريـاض ، ص ٢١ .

(٨) العلي ، د. صالح ، مقدمة كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسـبة لابـن بسام ، بغداد ١٩٦٨ ، ص (ف) .

(٩) الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، مصر ١٩٦٦ ، ج٧ ، ص ٦٥٤ .

(١٠) زيادة ، د. نقـولا ، الحسبة والمحتسب في الاسـلام ، بـيروت ١٩٦٢ ، ص ٣١ . راجع ايضا : موسى لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب العربي ، الجزائر ١٩٧١ ، ص٢١ ـ ٢٢ .

(١١) العلي ، د. صالح احمد ، مقدمة في كتاب نهاية الرتبة في طلب الحسبة، لابن بسام ، بغداد ١٩٦٨ ، ص (ف) .

(١٢) عطوة ، نظام الحسبة في الاسلام ، ص ٣٣ ـ ٣٥ .

(١٣) ابن جلجل ، سليمان بن حسان الأندلسي ، طبقات الأطباء والحكماء ، القاهرة ١٩٥٥ ، ص ١١٣ .

(١٤) لقبال ، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب ، ص ٢٧ .

(١٥) الماوري ، الأحكام السلطانية ، ص ٢٤١ .

(١٦) الحـاج قاسم ، د. محمود ، الطب الوقائي النبـوي ، الموصـل ١٩٨٨ ، ص ٩ .

(١٧) الغزالي ، أحياء علوم الديـن ، مصر ، ج١ ، ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

(١٨) المصدر نفسه ، ج١ ، ص ١٢٥ ـ ١٤٥ .

(١٩) للتوسع ، تراجـع رسالة الماجستير ، الخدمات الصحية في العراق خلال العصـر العباسي ، التي تقـدم بها الطالب مؤيد عيدان كاطع ، الى كليـة الآداب ـ جامعة الموصل ، في شباط ١٩٨٥ ، ص ١٢٦ـ١٨٩ .

(٢٠) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص ١٧٥ .

(٢١) المصدر نفسه ، ص ١٧٥ .
(٢٢) المصدر نفسه ، ص ٦٨ .
(٢٣) المصدر نفسه ، ص ٦٩ـ٧٠ .
(٢٤) المصدر نفسه ، ص ٧٠ .
(٢٥) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
(٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٩ .
(٢٧) المصدر نفسه ، ص ٦٢ .
(٢٨) المصدر نفسه ، ص ٢١ـ٢٢ .
(٢٩) المصدر نفسه ، ص ٢٥ـ٢٦ .
(٣٠) المصدر نفسه ، ص ٣٠ـ٣١ .
(٣١) المصدر نفسه ، ص ٣١ .
(٣٢) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٣٢ .
(٣٤) المصدر نفسه ، ص ٣٣ .
(٣٥) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .
(٣٦) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٣٧) المصدر نفسه ، ص ٣٥ .
(٣٨) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٣٩) المصدر نفسه ، ص ٣٦ .
(٤٠) المصدر نفسه ، ص ٤٤ .
(٤١) الشيزري ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص٤٢ .
(٤٢) علي ، د . داود سلمان ، الحسبة في الطب والجراحة عند العرب ، بحث في كتاب دراسات في الحسبة والمحتسب عند العرب ، ص٢٢ .
(٤٣) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص١٠٨ .
(٤٤) المصدر نفسه ، ص١٠٨ ـ ١٠٩ .
(٤٥) القفطي ، تاريخ الحكماء ، ليبزك ١٩٠٣ ، ص١٩١ .
(٤٦) ابن بسام ، نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، ص١٠٨ ـ ١٢٣ .
(٤٧) المصدر نفسه ، ص١٢٢ .
(٤٨) المصدر نفسه ، ص١٢١ .
(٤٩) المصدر نفسه ، ص١٠٩ ـ ١١٠ .

(٥٠) المصدر نفسه ، ص١١٩ .
(٥١) المصدر نفسه ، ص٨٥ .
(٥٢) المصدر نفسه ، ص٨٥ .
(٥٣) المصدر نفسه ، ص٨٥ .
(٥٤) المصدر نفسه ، ص٨٥ ــ ٩٢ .
(٥٥) المصدر نفسه ، ص٩٣ .
(٥٦) المصدر نفسه ، ص٩٣ .
(٥٧) المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، جـ٢ ، ص١٥٦ .
(٥٨) ابن بسام ، نهاية الرتبة ، ص١٢٤ .
(٥٩) المصدر نفسه ، ص١٢٤ .
(٦٠) المصدر نفسه ، ص١٢٧ .



التلوث الكهرومغناطيسي والكيمياوي والجرثومي الناتج عن الحرب والحصار وتاثيره في البيئة والصحة العامة

ا.د هدى صالح مهدي عماش
عضو المجمع العلمي عميد كلية العلوم / جامعة بغداد

ا. د. حسين السعدي
قسم علوم الحياة ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد

ا. د. انيس الراوي
قسم الكيمياء ، كلية التربية للبنات ، جامعة بغداد

الملخص :-

نتج عن مجمل العمليات العسكرية التي شملها العدوان الثلاثيني على العراق واستمرار الحصار الاقتصادي عليه حدوث أنواع مختلفة من التلوث لاسيما في الهواء والماء والتربة . وقد تباين تأثير هذا التلوث في جميع مجالات الحياة من تأثير مباشر قصير الامد الى تأثيرات غير مباشرة من المحتمل أن تؤدي الى أضرار بعيدة الامد . ويعد التلوث الكهرومغناطيسي الذي نتج عن حدوث التأيّن الكامل لجو العراق في أثناء القصف المركز عليه ، من أخطر أنواع التلوث التي يعتقد ان تمتد تأثيراتها الى مساحات شاسعة خارج حدود العراق ولمديات بعيدة الامد . كما أحدث تسرب كثير من المواد الكيمياوية السامة ولاسيما الهيدروكربونات بالاضافة الى انتشار الاحياء المجهرية الممرضه نتيجة للنقص في الدواء وفي المعالجات الكافية لمياه الشرب والصرف الصحي ، تلوثاً كبيراً على الصحة العامة اذ انعكس ذلك على معدل الوفيات الذي ازداد بين الاطفال خاصة ، اذ بلغ عدد المتوفين في نهاية ١٩٩٤م حوالي نصف مليون طفل وقد امتد الضرر حتى شمل جوانب شتى من البيئة

العراقية مما تسبب في احداث تراجع مهم في المنتوجات الزراعية • وقد ازدادت الآفات الزراعية تتيجة قلة المبيدات الحشرية حيث تم تسجيل أنواع جديدة من الحشرات المضرة بالزراعة في مناطق مختلفة في العراق تؤثر على نحوٍ ما في الناتج الاقتصادي للمحاصيل الزراعية المهمة فيه •

التلوث الكهرومغناطيسي :ــ

يعرف التلوث الكهرومغناطيسي بانه اتتشار الحقول الكهرومغناطيسية الغير المرغوب فيها في البيئة • وهذا التلوث خطر لانه غير مرئي ولا يمكن الشعور به كما انه يسبب العديد من الامراض الخطيرة • ويتسلم الجو المحيط بالكرة الارضية ما يعادل حوالي (١٥)^{١٠} لتراً من الوقود من الشمس على شكل موجات كهرومغناطيسية طبيعية لاتحدث أي ضرر الا في حالة تأيّن الهواء نتيجة لتداخل يحدثه الانسان • في أثناء العمليات العسكرية الناجمة عن القصف المكثف تعرض العراق الى كميات أكبر بمئات المرات من هذه الاشعاعات التي تنجت عن القصف بالقنابل والصواريخ والاحتراق والغارات الجوية المكثفة ، ويمكن تقدير الطاقة التي تواجدت في اجواء العراق اثناء الحرب باستخدام الطاقة الناتجة عن انفجار ٩٢ غرام من المادة المعروفة (TNT) كمؤشر حيث يولد انفجار هذه الكمية طاقة حرارية مقدارها (٧ر٨٢٠) كيلو سعرة حرارية • فاذا ما عرفنا بانه استخدم في القصف المعادي على العراق ، ما مجموعه ١٣٥ الف طن من المتفجرات وان هذا الكم يعادل (٦) قنابل ذرية من تلك التي القيت على كل من هيروشيما وناغازاكي والتي تعادل كل واحدة منها (٥٠ الف) طن من مادة الـ TNT ، لذا فاننا نستنتج ان الطاقة الحرارية التي تواجدت في اجواء العراق من جراء القصف تساوي : (٥٠ × ١٠٠ × ١٠^{٦} × ٦ × ٨٢٠٧٠٠) = ٤ر٦ × (١٠)^{١٤} كيلو سعرة حرارية •

ان هذه الطاقة تعادل ٤ر٦ × (١٠)^{٧} كيلو واط / ساعة وهو ما يعادل كمية الطاقة الكافية لانارة الولايات المتحدة الامريكية لمدة سنة كاملة •

ان هذه الطاقـــة الحرارية التي تواجدت في اجـواء العـراق قد انتجت ٨ × (١٠)^٦٠ فوتون (وهو وحدة المجال الكهرومغناطيسي)، مما نتج عنه تأين أجواء العراق بكاملها طوال تلك الفترة • ومن المعروف ان تأيّن الجو يؤدي الى تكون الجذور الحرة للاوكسجين ومن اهمها (O^- ، OH^- ، H_2O_2)

وان هذه الجذور الخطرة تتفاعل بسرعة مع الوسط المائي ولاسيما ذلك الموجود في الجسم الحي سواء أكان انساناً أم حيواناً أم نباتاً ، مؤدية الـى تكون مركبات كيمياوية حاوية على جذور حرة داخل الجسم الحي • انتجمع هذه المركبات الغريبة داخـل الجسم الحي له تأثيرات سمية غاية في الخطورة • لذا يعتقد بأن التأثير البعيد المـدى الناجـم عن هـذا النـوع من التلـوث (الكهرومغناطيسي) والناتـج عن شدة القصف الجوي على العـراق أكثـر خطورة من التلوث الذي نتج عن حادثة مفاعل جرنوبل بأضعاف مضاعفـة ومن الجدير بالذكر ان التلوث الكهرومغناطيسي يختلف عن غيره من انـواع التلوث ، وذلك في كونه غير مرئي او ملموس لكون منتجاته عديمة اللـون والرائحة ، كما ان تأثيراته بعيدة المدى أي انها ليست مباشرة ، وانما تظهر بعد زمن على شكل أمـراض متباينة في خطورتهـا ومنها أنواع مختلفة من السرطان ، وتسمم خلايا القلب ، وموت الخلايا الحية ، وارتفـاع ضغط الدم والتهاب ذات السحايا وغيرها • وبما أن الفوتونات تنتشر حول الكرة الارضية بسرعة (١٨٦٠٠٠ ميل / ثانيا) لـذا فان مشكلة التلـوث هذه هي في الحقيقة مشكلة عالمية وليست عراقيـة فقط وذلك نتيجة لاستمرار دوران الفوتونات حول الكرة الارضية واحداثها التأيّن المستمر في الجو الذي تنتج عنه مختلف أنواع الاشعاعات (التحت الحمراء ، والفوق البنفسجية وغيرها) ذات التأثيرات المميتة المشار اليها فيما سبق •

التلـوث الكيمياوي :ـ

لقد ظهر هذا النوع من التلوث نتيجة للمسببات الآتية :

١ ـ صرف الملوثات الكيمياوية من المصانع خلال العدوان وتسربهـــا اذ تسربت الهايدروكاربونات الآتية الى مختلف جوانب البيئة العراقية : ـ

أ ـ ٢٤ مليون لتر من النفط الاسود .

ب ـ ٣٩ مليون لتر من وقود النفط .

جـ ـ ١ر٧ مليون لتر من زيوت مختلفة .

د ـ ٥٣٠٠ طن من الكبريت السائل .

هـ ـ ٥٦٠٠ طن من حامض الكبريتيك المركز .

و ـ ٥٠٠٠ طن من حامض الفوسفوريك المركز .

ز ـ ٧٠٠ طن من الأمونيـا .

ح ـ أكثر من ١٠٠٠ طن من المبيدات الحشرية ومواد كيمياوية أخرى .

ط ـ احتراق اكثر من ٧٠٠٠ اطار للسيارات .

٢ ـ تراكم الأبخرة الناجمة عن قصف خزانات الوقود والمصافي ، واحتـراق أكثر من ٣٨٠ بئراً نفطياً مما أدى الى انتاج غازات ســامة وتكويـن المطـر الحامضـي .

٣ ـ حرق المشتقات النفطية وتسربها نتيجة لقصف أربعة مصاف نفطية كبيرة.

٤ ـ تلوث الهواء نتيجة لقصف مصانع السمنت وانســداد وحدات تنقية الغازات الناتجة من تلك المصانع .

٥ ـ غلق وحدات معالجة مياه الشرب في عدة منشآت .

٦ ـ طرح المياه الثقيلة الى الانهار مباشرة من غير أية معاملة صحية .

٧ ـ تجمع المياه في المستنقعات نتيجة لتعطيل وسائل الصـرف الصحي مكونة بذلك أوساطاً ملائمة لنمو الحشرات والجراثيـم والقـوارض وغيرها من الاحياء الضارة .

٨ ـ تجمع المعادن الثقيلة السامة في البيئة العراقية مثل الزنك والكادميوم والرصاص والمواد المشعة الناتجة عن انفجار القنابل والصواريخ والمتفجرات الاخرى •

٩ ـ توقف محطات الطاقة الكهربائية •

ويوضع الجدول (١) تركيز الجزيئات العالقة في هواء مدينة بغداد والمكونة للتلوث الجوي ، وذلك على مدى اربع عشرة سنة ابتداء من عام ١٩٧٧ حتى أواخر عام ١٩٩١م • ويبين الجدول ان التركيز مقيساً بالملغرام/م للحدود الدنيا قد بلغ اوطأه (٢٣) وذلك عام ١٩٨٧ في حين بلغ أعلاه وهو (٢٨٥٥) عام ١٩٨٢م • وقد كان المعدل (٣١٠) للمدة من نيسان حتى تشرين الثاني من عام ١٩٩٠م (قبل العدوان) اذ تضاعف هذا المعدل الى أكثر من ١٠٠٪ فقد بلغ (٦٨٣) للمدة من شهر أيار حتى تشرين الاول لعام ١٩٩١م (بعد العدوان مباشرة) اما الحد الاعلى فقد ارتفع الى (٨٨٠٠) للمدة نفسها ويبين الجدول (٢) التلوث الهوائي الناجم عن قصف المنشآت الصناعية ، وهي مصفى بيجي ، ومصنع البتروكيمياويات في البصرة مقيساً بكمية متطلب الاوكسجين الحيوي ومتطلب الاوكسجين والكربون ، ومجموعة الاملاح الذائبة ، ومجموعة المتصلبات ، وفيه يتبين بوضوح ازدياد هذه المؤشرات من (١٠٠٪) لبعضها مثل المتصلبات الى اكثر من (١٠٠٠٪) لبعضها الآخر مثل متطلب الاوكسجين الحيوي الناجم عن قصف مصفى بيجي • وكذلك نجم عن قصف مصنع البتروكيمياويات في البصرة زيادة التلوث بنسبة تزيد على ٣٠٪ •

التلوث الجرثومي وتاثيره على الصحة العامة : ـ

يبين الجدول رقم (٣) النسبة المئوية للتلوث البكتيري لمياه الشرب للشهور الثلاثة عشر التي أعقبت العدوان ابتداءً من شهر شباط حتى شهر كانون الاول عام ١٩٩١م مقارنة بشهر كانون الثاني من العام نفسه وفيه

نلاحظ ازدياد نسبة التلوث حتى بلغت اعلى نسبة في شهر نيسان من العام ١٩٩١م (٤١٫٢٪) بالمقارنة مع النسبة الاعتيادية للتلوث وهي ٩٪ ٠ ان وجود أنواع الملوثات اضافة الى الحصار الاقتصادي وما نجم عنه من نقص في الغذاء والدواء قد أدّى الى حدوث تدهور في الاوضاع الصحية ولاسيما في الاطفال إذ انعكس ذلك على ارتفاع نسب الوفيات في هذه الفئة العمرية ويبين الجدول (٤) عدد حالات وفيات الاطفال الناجمة عن الحصار دون وفوق سن الخمس سنوات للفترة من شهر كانون الثاني حتى شهر آب للعام ١٩٩٠م ومن كانون الثاني حتى كانون الاول من عام ١٩٩١م ومن كانون الثاني حتى آب من العام ١٩٩٢م ٠ وفيه نجد ان العدد قد ارتفع من (١٢٫٧٢٧) حالة وفاة قبل الحصار الى (٨٥٫٩٤٢) عام ١٩٩١م و (٨١٫٣٠٦) عام ١٩٩٢م ٠ هذا اضافة الى ازدياد حالات الاصابة بالامراض المعدية والفتاكة كما يوضحها الجدول (٥) الذي يبين عدد حالات الاصابة المسجلة للعام الذي تلا العدوان (١٩٩١م) مقارنة بالاعوام ١٩٨٩م و ١٩٩٠م ولعدد جم من هذه الامراض ٠ وفيه نلاحظ ان العراق كان قد عُدّ عند كثير من المراجع الدولية بلداً خاليا من بعض الامراض مثل الكوليرا ، والجرب ، التي عادت الى الظهور عام ١٩٩١م حيث سجلت ١٢١٧ حالة اصابة بالكوليرا و١٨٩٢ حالة إصابة بالجرب أما بقية الامراض المُعدية فقد ازدادت بنسب تصل الى ٩٠٠٪ مثل حمى التايفوئيد والحمى السوداء٠ أما التهاب الكبد الفيروسي فقد ارتفعت عدد حالات الاصابة به من ١٨١٦ حالة عام ١٩٨٩م الى (١١٫١٣٥) حالة عام ١٩٩١م ٠ ان تأثير العدوان والحصار قد امتد ليشمل تسجيل حالات صحية اخرى مغايرة لما ذكر من قبلُ تتمثّل في نقص التغذية والضعف الناجم عن سوء التغذية وحالات مرضية أخرى سببها المجاعة وسوء التغذية ٠ويوضح الجدول (٦) عدد الحالات المسجلة للاطفال تحت سن الخمس سنوات للاعوام ١٩٩٠م ، ١٩٩١م ، ١٩٩٣م وفيه نلاحظ أن معدل الاصابة الشهرية لمجموع الحالات قد ازداد (٨٥٤١)

لعام ١٩٩٠م الى (٨٨ر٠٧٩) لعام ١٩٩١م • أما جدول (٧) فيبين تأثير الحصار في الولادات مقيساً بالنسبة المئوية للاطفال حديثي الولادة ضعيفي الوزن (اقل من ٥ر٢ كغم) وفيه نلاحظ ان المعدل الشهري لمثل هذه الولادات قد ازدادت تدريجياً كلما استمر الحصار إذ ارتفع من (٥ر٤٪) الى (٨ر١٧٪) •

التأثير في القطاع الزراعي :ـ

ان التأثيرات الخطيرة لم تشمل القطاع الصحي فقط وانما تعدته لكي تشمل القطاع الزراعي ايضاً فقد انعكس تأثير التلوث واستمرار الحصار على شكل نقصان في المحاصيل الزراعية كما هو موضح في الجدول (٨) الذي يبين كمية الانتاج للمحاصيل الاقتصادية الرئيسة مقيساً بالكيلو غرام / الدونم للعام ١٩٩١م مقارنة بالعام ١٩٨٨م ، وفيه نلاحظ انخفاضا شديداً في محاصيل الشعير والرز والحنطة وغيرها • أما محاصيل البطاطا والرقي والفاصوليا فقد كان الانخفاض فيها معتدلاً • كما ان تأثير العدوان والحصار في القطاع الزراعي لم ينحصر في المحاصيل الزراعية فقط وانما تعداه على نحو شديد الى مساحات الغابات في عموم القطر مؤديا الى حدوث اختلال في التوازن البيئي والتنوع البايولوجي الذي يعتقد أنه سيكون ذا آثار سيئة ستظهر في المستقبل القريب • ويوضح الجدول (٩) التأثير في هذه المساحات الخضرفي عموممحافظات القطرمقيساًبنسبة الضرر التي بلغت أعلاها في المحافظات الشمالية (٨٥٪) تليها محافظتا ذي قار وميسان (٨٠٪) ثم محافظات القادسية والمثنى وبغداد (٧٥٪) •

ومن النتائج الخطيرة للعدوان واستمرار الحصار الاقتصادي على القطاع الزراعي حدوث اختلالات خطيرة في البيئة العراقية أدت الى ظهور بعض الآفات الزراعية لأول مرة في القطر بعد العدوان • وهي الآفات التي تصيب الحمضيات والرز والحنطة والنخيل والذرة والحنطة والشعير وغيرها (جدول ٩) ، وفيه نلاحظ ان هذه الآفات قد انتشرت في ثماني محافظات حتى عام ١٩٩٢م ثم انتشرت الى اكثر من ذلك بعد هذا العام •

الخلاصـــة :ـ

١ ـ ان وقوع العدوان واستمرار الحصار الاقتصادي قد تسبب ويتسبب في حدوث تأثيرات تتباين في نتائجها من نتائج مباشرة متمثلة في ارتفاع نسبة الوفيات ولاسيما في الفئات العمرية الصغيرة الى نتائج بعيدة المدى ناتجة عن اختلال التوازن البيئي وانواع التلوث المختلفة •

٢ ـ ان التأثير المباشر يظهر على شكل مركز لكونه ينجم عن اتحاد عدة عوامل تؤثر بمجموعها في الصحة العامة في آن واحد وهي سوء التغذية ، والتلوث ، ونقص الدواء •

٣ ـ على الرغم من أن التأثير المباشر يظهر في العراق إلاّ ان التأثير البعيد المدى عالمي وغير محصور في هذه المنطقة الجغرافية فقط •

جدول رقم ـ ١ ـ

معدل التركيز الكلي للجزئيات العالقة في مدينة بغداد

الفتـــرة	(معدل تركيز الجزيئات العالقة ملغم /م)		
	الحد الادنى	**الحد الاعلى**	**المعدل**
آب ـ ك١/١٩٧٧	١٧٠	٥٠٠	٣٦٥
ك٢ ـ ك١/١٩٧٨	١٥٠	٥٨٠	٣٦٥
ك٢ ـ ك١/١٩٧٩	١٠٠	٩٣٧	٥١٤
ك٢ ـ شباط / ١٩٨٠	١٠٠	٧٤٢	٢٨٠
ك٢ ـ آب / ١٩٨٢	٤٥	٢٨٥٥	٦٥٧
آب ١٩٨٣ / نيسان ١٩٨٤	٨٩	١٣١٥	٣٧٦
ك٢ ـ حزيران / ١٩٨٥	١٩٢	٩٤٢	٥٥٣
أيار / ١٩٨٦ ـ أيار ١٩٨٧	٢٣	٨٢٠	٥٠٢
ت٢ ١٩٨٧ ـ أيار ١٩٨٨	٤٦	١١٢٢	٢٢٣
شباط ـ حزيران / ١٩٨٩	ـ	ـ	٢٦٤
نيسان ـ ت٢ / ١٩٩٠	١١٥	١٢٤٩	٣١٠
أيار ـ ت١ / ١٩٩١	١٣٩	٨٨٠٠	٦٨٣

جـدول رقـم ـ ٢ ـ

التلوث الناتـج عن قصف المنشاة الصناعية :

التلوث (طن / السنـة)

المنشـاة	BODS ١٩٩٠	BODS ١٩٩١	COD ١٩٩٠	COD ١٩٩١	TSS ١٩٩٠	TSS ١٩٩١	TDS ١٩٩٠	TDS ١٩٩١
مصفاة بيجي	٣٠٢ـ٤	٤٠٠٠	٦٨٨ـ٨	٨٠٠٠	٧١٦ـ٨	٨٠٠٠	٤٧٧٦	٨٠٠٠
المنشأة العامة للبتروكيمياويات البصـرة	ـ	ـ	١٦١٢ـ٨	١٠٦٠	ـ	ـ	٢٧٥٠٠	٢٢٧٣١

(ـ) غـير مقاسة

BOD متطلب الاوكسجين الحيوي Biological—Oxygen—demand

COD متطلب الاوكسجين والكربون Carbon Oxygen demand

TSS مجموع الاملاح الذائبة Total Soluble Substances

COD مجموع المتصلبات Total disolids

جدول رقم - ٣ -

النسبة المئوية للتلوث البكتيري في مياه الشرب عام ١٩٩١م

الشهر	النسبة المئوية
ك٢	٩ر٠
شباط	٣٢ر٨٤
آذار	٣٢ر١
نيسان	٤١ر٢
ايار	٢٧ر٠
حزيران	١٨ر٥
تموز	٢٣ر٨
آب	١٨ر٧
ايلول	١٨ر٧
ت١	١٧ر٩
ت٢	١٥ر١
ك١	١٥ر٩

جدول رقم - ٤ -

عدد حالات الوفاة في الاطفال الناجمة عن الحصار

الفترة	الفئة العمرية		المجموع الكلي
	اقل من ٥سنوات	اكثر من ٥ سنوات	
ك٢ - آب/١٩٩٢م	٣٥٦٠	٩١٦٧	١٢٧٢٧
ك٢ - ك١/١٩٩١م	٢٧٤٧٣	٥٨٤٦٩	٨٥٩٤٢
ك٢ - آب/١٩٩٠م	٣٠٤٠٩	٥٠٨٩٧	٨١٣٠٦

جدول رقم ـ ٥ ـ

تأثير العدوان واستمرار الحصار على الامراض المعدية في العراق

عـدد حـالات الاصابـة

المـــرض	عــام ١٩٨٩م	عام ١٩٩٠م	عام ١٩٩١م
شلل الاطفال	١٠	٥٦	١٨٦
دفتـــريا	٩٦	١٦٨	٥١١
السعال الديكي	٣٦٨	٤٨٩	١٥٣٧
الحصبـة	٥٧١٥	٧٥٢٤	١١٣٥٨
الحصبة الالمانية	٥١٤	٦٩٣	٢٨٤٢
الكزاز الولادي	٤٢	٣٩٣	٩٣٦
الكـــزاز	٣٢	٨٧	٩٣٣
ذات الرئـة	٦٦١٢	١١٧١٤	٢٣٥٢٩
نكـاف	٩٦٣٩	١٥٩٣٦	٢٢٧١٨
الهيضة (الكوليرا)	ـ	ـ	١٢١٧
التيفوئيـد	١٨١٢	٢٢٤٠	١٧٥٢٤
اسهال الجبارديا	٧٣٤١٦	١٣٤٢٢٢	٥٠١٣٩١
الزحار الاميبي	١٩٦١٥	٣٢٩٥٧	٥٨٣١١
التهاب الكبد الفيروسي	١٨١٦	٣٢٢٨	١١١٣٥
سحايـا	٢٥٥٩	١٨١٠	٥٧٩٢
مـلاريا	٣٤٢٨	٣٩٢٤	٧١٠٥
اللشمانيا الجلدية	١٨٢٩	١٨٩٤	٨٢٣٣
الحمى السوداء	٤٩١	٥٧٦	٣٧١٣
الحمى النزفية	٣٨	٤٢	١٩٦
حمى مالطا	٢٤٦٤	٢٨١٦	١٣١٠٦
داء المقوسات	٣٧٢	٥٢١	٢٢٢٣
الاكياس المائية	٣٧٠	٤٠٦	١٧٨٧
الجـرب	ـ	١٩٨	١٨٩٢
داء الكلـب	٢٥	٣٧	٢٥٦

جدول رقم ـ ٦ ـ

عدد الحالات المرضية المسجلة للاطفال تحت سن الخمسة اعوام

الحالة المرضية	عام ١٩٩٠م		عام ١٩٩١م		عام ١٩٩٢م	
	العدد	المعدل الشهري	العدد	المعدل الشهري	العدد	المعدل الشهري
قلة التغذية	٤٨٥٠	٤٠٤	١٢٧٩٦	١٠٦٦	٩٠٥٢	٧٥٤
الضعف الناجم عن سوء التغذية	٥١٣٩	٤٢٨	٩٦١٨٦	٨٠١٥	٧٣٢٠٤	٦١٠٠
حالات اخرى ناجمة عن سوء التغذية	٩٦٨٠٩	٨٠٦٧	٩٤٧٩٤	٧٨٩٩	٧٣٥٨٣٧	٦١٣١٩
المجموع	١٠٦٧٩٨	٨٨٩٩	٢٠٣٧٧٦	١٦٩٨٠	٨١٨٠٩٣	٦٨١٧٣

جـدول رقـم ـ ٧ ـ

النسبة المئويـة للولادات تحت وزن ٥ر٢كغم

السنـة	الشهـر	المعـدل الشهري
١٩٩٠	ـ	٥ر٤
١٩٩١		٨ر١٠
١٩٩١	ك٢	٦ر١٦
=	شباط	٨ر١٦
=	آذار	١ر١٧
=	نيسان	٣ر١٧
١٩٩٢	ايار	٤ر١٧
=	حزيران	٦ر١٧
=	تموز	٥ر١٧
=	آب	٨ر١٧

جـدول رقـم ـ ٨ ـ

تأثير التلوث الناجم عن العدوان والحصار على انتاج المحاصيل الزراعية الرئيسـة فـي العـراق

الانتـاج (كغـم / دونـم)

المحصـول	١٩٨٨	١٩٩١
حنطـة	٢١٢	١٤٦
شعير	٢٤٣	٨٠
رز	٦٣١	٤٩٠
بصـل	٢٢٨٩	١٨١٢
بطاطـا	٤٣٤٤	٤٣١٥
حمـص	٢٠٩	١٩٦
عـدس	١٩٢	١٦٠
طماطـة	٣٩٩٠	٣٠١٨
رقـي	٣٢٦٠	٣٠٩٥
خـس	٣٩٠٣	٢٠٥١
فاصوليـا	١٢٩٥	١١٥٨
باذنجـان	٤٢٢٦	٣٢٢٤

جـدول رقـم ـ ٩ ـ

تأثير العدوان والحصار على مساحات الغابات في محافظات العراق

المحافظـــة	مساحات الغابات (دونم)	نسبة الضرر (١٠٠)
التأميـم	٢٥٥٢	٧٠
نينـوى	١٩٥٤	٣٥
ديالـى	١٣٥٨	٦٥
بغـداد	٥٨٠٠	٧٥
صلاح الديـن	١٠٥٠	٣٠
الانبـار	٤٤١٢	٣٥
كربـلاء	١٦٦٧	٦٥
النجـف	١٦٥٠	٧٠
بابـل	٣٣٤٧	٧٠
المثنـى	٢٨٧٥	٧٥
القادسية	٩٠٦٠	٧٥
واسـط	٢٧٨٠	٧٠
ذي قـار	٢٢٢٠	٨٠
ميسـان	٥٧٠	٨٠
بصـرة	٥٠٠	٦٥
المحافظـات الشـمالية	٧٤٤٠٦	٨٥
المجمـوع	**١١٦١٧٠**	**المعدل ٣ر٦٥٪**

جدول رقم – ١٠ –

ظهور الآفات الزراعية لاول مرة في محافظات العراق بعد عام ١٩٩٠م

المحافظة	الآفـــة	المحصـــول
بغداد	Leaf minor	Cirtous trees
بابل	Spiklate drought disease	رز
بصرة	Cover Smut	حنطـة
الانبار	Sesamta moth	سمسم
	Cover Smut	حنطـة
ميسان	Cover Smut	حنطـة
ذي قار	Cover Smut	حنطـة
	Clados Porium disease	رز
ديالى	Apical bend	نخيـل
صلاح الدين	Yellow rust	Wheat
القادسية	Apical bend	نخيـل
واسط	Cover Smut	Wheat and bandy
المثنى	Cover Smut	Wheat
التأميم	Yellow rust	Wheat
النجف	Apical bend	نخيـل
نينوى	Cover Smut	شعيـر
	Bacterial mold	ذرة
كربلاء	Apical bend	نخيـل

* انتشار الآفات لغاية عام ١٩٩٢ في ٨ محافظات .

** انتشار الآفات بدرجة اكبر في محافظات اخرى بعد عام ١٩٩٣م .

المصــــادر :ـ

١ ـ الحافظ ، وحسين السعدي ، ١٩٩٣م تأثير العدوان والقصف على البيئة والواقع الغذائي في العراق . وزارة الثافة والاعلام ، ص ١٣٥ .

٢ ـ الحافظ ، وحسين السعدي ، ١٩٩٤ ـ التأثيرات البيئية للعدوان والقصف على واقـع الآفـات الزراعيـة في العـراق . النـدوة العلمية الدولية ، المشاكل البيئية بعد الحرب في العراق . بغدد ١٠ـ١٢/كانون الاول/ ١٩٩٤ .

٣ ـ السعدي ، حسين ـ ١٩٩٤ ـ تأثير العدوان والحصار على البيئة والصحة العامة في العراق ـ مجلة كلية التربية ، الجامعة المستنصرية .

٤ ـ الحافـظ ، وحسـين السعدي ـ ١٩٩٤ ـ تأثـير العدوان والحصـار على البيئة الزراعية في العراق . وقائع المؤتمر العلمي الاول لكلية التـربية للبنـات ، جامعة بغداد ١٥ـ١٧/١١/١٩٩٤ .

٥ ـ فريق هارفارد ، ١٩٩٢ ـ العدوان على العراق . وزارة الثقافة والاعلام ـ بغـداد ـ العـراق .

٦ ـ وزارة الصحة ـ ١٩٩٢ ـ تقرير مقدم الى ندوة « البيئـــة والتنميـة » ٤ـ٥ آذار / ١٩٩٢ ، وزارة التخطيط ـ بغداد .

٧ ـ وزارة الداخلية ـ ١٩٩٢ « حماية مصادر المياه » تقرير مقدم الى مؤتمر يوم البيئة العراقي ١٥/ك٢/١٩٩٢ ـ بغـداد .

٨ ـ وزارة الصناعة ـ ١٩٩٢ ـ تقرير مقدم الى مؤتمر يوم البيئة العراقي ١٥/ ك٢/ ١٩٩٢ بغـداد .

٩ ـ وزارة النفط ـ ١٩٩٢ ـ تقرير مقـــدم الى مؤتمر البيئـــة العراقـي ١٥/ ك٢/ ١٩٩٢ بغـداد .

١٠ ـ جمعية رعاية الطفولة ـ ١٩٩٢ ـ واقع الطفولة في العراق خلال الحصار ـ وقائع المؤتمر العلمي لجمعية رعاية الطفولة ـ ١٥/آب/١٩٩٢ ـ بغداد.

١١ ـ حديث للسيد نائب رئيس الـوزراء الاسـتاذ طـارق عزيـز في مجلس الامن ١٩٩٢ ـ جريدة الثورة ـ ٢٣/ت٢/١٩٩٢ .

١٢ ـ تقرير العراق المقـدم الى مؤتمر قمة الارضي ـ ١٩٩٢ ـ ريوديجانيرو ـ ١ـ١٣/ حزيران/ ١٩٩٢ جريدة الثورة ـ ١١/٦/١٩٩٢ .

١٣ ـ مجلس حماية وتحسين البيئة ـ ١٩٩٢ ـ تقرير جمهورية العراق الى مؤتمر الامم المتحدة للبيئة ـ ريوديجانيرو ١٠ـ١٣/٦/١٩٩٢ .

التعريب واختلاق المعوقات

الأستاذ الدكتور جميل الملائكة

للتعريب معانٍ كثيرة ، منها الكلام المهذّب ، ومنها نقيضه : الكلام القبيح ، وله معانٍ أخرى كثيرة غير تلك • غير أنّ له أيضاً معانيَ اصطلاحيّة ، منها معناه القديم ، وهو جعل صيغةِ اللفظة الأجنبية ذاتَ جَرْسٍ عربيّ ، كما في تعريب كلمة philosophia بكلمة فلسفة ، ومنها الحديث ، وهو بدلالته العامة ، جعلُ المجتمع ، بموظفيه ، ولغته ، وتقاليده ، عربيّاً ، وبدلالته الخاصة ، استعمالُ اللغة العربية بدلاً من اللغة الأجنبية ، ومنه تعريب التعليم • وهذا المعنى الأخير هو المقصود في هذا الحديث •

والتعليم العامّ ، كما هو معروف ، معرّب كلّه في العراق • ومثلُ ذلك يقال في تعريب الموضوعات الإنسانية في التعليم العالي • غير أنّ تدريس العلوم ، ولا سيما التطبيقيةَ منها ، كالطبّ والهندسة ، مازال أكثره غير معرّب ، على الرّغم من كثرة ما عُقد لذلك من مؤتمرات وندوات وما انتهت إليه من توصيات ، وما كُتب فيه من بحوثٍ ودراسات ، وما صدر من تشريعاتٍ وقرارات ، على مدى العقود الخمسة الأخيرة ، وكلّها تنادي بوجوب تعريب التعليم ، على مختلِف مستوياته ، بلا استثناء •

فما السبب في عدم تعريب هذا القَدْر الكبير من التعليم الجامعيّ عندنا ؟

لنتذكّرْ أوّلاً ، أنّ اللغة هي من أهمّ مقوّمات الوَحدةِ القوميّة ، وهي عنوان الوَلاء والانتماء ، وأنّ في تساهل أيّ أمّةٍ بترك لغتها الى لغةٍ غيرِها ، معنى المساس بالسيادةِ والهُويّةِ القوميّة •

ولهذه الأسباب ، نجد أنّ أكثرَ الشعوب ، سواء" من هي من الدّوَل العظمى ، أو التي هي أقلّ منها مستوىً ، لاترتضي لها عزّتها وكرامتها ، أن

يكون التعليم عندها بغير لغتها القوميــة • ويكفي أن نَعُدَّ من تلك فرنسا ، وروسيا ، وألمانيا ، واليابان ، وهنگاريا ، ويوگوسلاڤيا ، واليونان ، وتركيا • وغيرُ ذلك كثير • وحتى العبريّة ، التي هي في عــداد اللغــات الميّتة ، بات الصهاينة يستعملونها في التعليم في بعض جامعاتهــم • ولا يمكن لعاقــلٍ أن يقول إن لغات كلٍّ هؤلاء الأقوام ، أكثرُ طواعيةً للتعليم ، من اللغة العربية •

* * *

إنّ مما يؤسَف له حقاً ، أن تستمرَّ هذه الحالُ ، من بقائنا عالةً على لغةٍ أجنبية في تعليمنا الجامعي • وكلّ ذلك بسبب ما يختلقه بعض الأساتذة من صعوبات ومعوّقات ، على درب التعريب ، مما لا وجود له في الواقع •

إن الغالبيّة العظمى من أساتــذة العلــوم في جامعاتنا ، كانت دراستهم باللغة الانگليزية ، والكتبُ التي استعملوها هي أيضاً باللغة الانگليزية ، ومن ثَمّ فهم يجدون أسهلَ عليهــم ان يدرّسوا باللغــة التي درســوا بها ، وأن يستعملوا الكتبَ المكتوبــةَ بتلك اللغة ، مــن أن يبذلــوا الجُهْدَ لتهيئة المحاضرات ، والتدريس ، وإعدادِ الكتب المنهجية ، وكتابةِ الأسئلة الامتحانية، ونحــوِ ذلك ، باللغــة العربيــة ، التــي لم يعتــادوا على استعمالهــا في التعليم الجامعي •

وقــد تَبِع ذلــك ، أنهــم يختلقــون مختلِفَ العقبــات أمــام تعريــب التعليم الجامعيّ •

* * *

يحتجّ بعضهم بأنه ليس في المتيسِّر مــن المصطلحات ، ما يكفي لسدّ حاجة التعريب • إن هذه الحُجّةَ واهية أساساً • فالمفروض أن المصطلحات في أيّ لغة ، توضع وتنمو من خلال استعمال تلك اللغــة • ولم يسمع أحدٌ بأنّ أياً من البلاد التي ذكرنا ، انتظر حتى قُدّمت له المصطلحات كاملــة غير

منقوصة . ومثلَ ذلك لم ينتظر أسلافنـــا من العلماء ، قــراراتٍ من المجامع والهيئات العلمية واللغويــة ، عندما وضعــوا مصطلحاتِ الصفر ، والجبر ، والفلك ، والمنطق ، والجيب ، والظـّل ، والقاطع ، وقطعةِ الدائرة ، وقِطاعها ، ومئاتٍ غيرَها من المصطلحات العلمية ، في العصور التي ترجمــوا فيها علوم اليونان والهند ، ثم طوّروها ، وأضافوا اليها الكثير من عندِهِم .

والمعروف أنّ عشراتِ الدّلالات العلمية الجديدة ، ومصطلحاتها ، تظهر وتضاف يوميّا الى جميع الاختصاصات في العالَم المتَقدم ، في هــذا العصر الذي يتميّز بالسرعة الهائلة للتقدم العلمي . وليس في إمكان أيٍّ من العلماء والباحثــين والمتخصصين ، أن ينتظــر كلما عنّت له فكرة ، أو جابهتــه دلالة علمية جديدة ، ريثما تنظر فيها المجامع والهيئات العلمية المتخصّصَة ، وتُقرِّ مصطلحاً لها . ولو حصل مثل ذلك لتأخرت مسيرة العلم . وإنّما يجتهد العالم والباحث في اختيار مصطلحه ، ويستعمله . ويُمكِنه أن يعود الى ما تيسّر من المعجمات اللغويّة والاصطلاحية ، وقد يشاور بعض أهل اللغة ، كلما دعت الحاجة الى ذلك .

هذا ، وإنّ ما أعدّته المجامع ، ومؤتمرات التعريب ، ومركز التعريب في الرّباط ، والاتّحادات والجمعيّات العلمية ، والهيئــات المتخصصــة ، وبعض الأفراد العلميين ، من مصطلحات علميّة ، مطبوعة بهيئة معجماتٍ ، أو مجاميعَ اصطلاحيّة ، يبلغ مئاتِ الآلاف . وقد أُدخِل منها في حَسّابة في المغرب ، نحوُ ستمائة ألفِ مصطلح . إنّ كلّ هــذه المصطلحات ، وغيرَها ، سيبقى على رفوف المكتبات ، وفي خزائن الكتب ، ما لم تُستعمل في عمليّة التعريب .

* * *

وأغرب من التــذرّع بغياب المصطلحات ، أن يدّعيَ أخـرون بأنّ من الضّروريِّ الانتظارَ ، ريثما توحّد المصطلحات المتعدّدة ، المتّخَذة لدلالةٍ

علمية واحدة . ولكن كيف توحَّدُ هذه المصطلحات ، ومن يوحِّدها ، إن لم تأخذ طريقها الى الاستعمال ؟

لقد ضخّم بعضهم قضيةَ عدم توحيد المصطلحات ، حتى جعل منها العقبةَ الكأداءَ في طريق التعريب . وهذا هو الخطأ بعينه . فليس من الممكن ، ونحن في عصرٍ تتقدم فيه العلوم ، وتَظهر الفِكَرُ والدّلالات والكشوفُ العلميةُ الجديدة ، بسرعةٍ أسيّة ، أن ينتظر العلماءُ كلَّ مرّة ، حتى تجتمعَ هيئة" معيّنة لتوحيد المصطلحات التي تشيع لدلالةٍ علميّةٍ واحدة ، ليتمكنوا من استعمال المصطلح الموحَّدِ المُقَرّ .

ولهذا السبب بعينه ، لايمكن أن تَسلمَ أيّ لغةٍ حيّة ، ينتشر استعمالها على رقعةٍ كبيرةٍ من الأرض ، أو تُستعَملُ في أكثرَ من قطر واحد ، من تعدُّد بعض المصطلحات للدلالة العلمية الواحدة .

ففي اللغة الانكليزيةِ مثلاً ، يُسَمّي بعضهم حوض تجمّع مياه الأمطار ، لتَصُبَّ في نقطةٍ معينةٍ من النهر watershed ، ويصطلح آخرون على تسميته catchment ، وبعضهم يُسمّيه catch basin ويدعوه آخرون drainage area ، ويُطلق عليه غيرهمُ اسمَ gathering ground . ومثلُ هذا كثير . وأكثرُ منه أن يشيعَ للدلالة العلمية الواحدة ، مصطلحانِ أو ثلاثة" فقط ، كما في استعمالهم مصطلحات crown و vertex و soffit ، لدلالةٍ علميةٍ بعينها ، وهي أعلى جزءٍ في الوجه الداخليّ من العَقد المستعمل في المجاري ؛ أو في استعمالهم مصطلحَيْ evapo - transpiration و consumptive use لمعنى الماء الخارج من التربة بفعل التبخر والنتح . وقد يُزيح أحد المصطلحات المستعملة لدلالة علمية معيَّنة ، سواه مما يُستعمل للدلالة نفسها ، كما في إزاحة مصطلح water table لمصطلح

phreatic surface ، وكان كلاهما مستعملاً للدلالة على سطح الماء الجوفيّ . أو كما في إزاحة مصطلح (المياه الجوفية) في العربية ، مصطلحَ (المياه الخفيّة) ، وكان هذا الأخير ، هو المستعملَ قبل نحو عشرة قرون ..

وهكذا .. فإنّ الاستعمالَ وحدَهُ هو الذي ينتخل ، ويغربل ، ويُبقي المصطلحَ الأنسب ، أو الذي هو أكثر حظّاً من سواه . وقد يظَلُّ عدد من المصطلحات شائعاً لدلالةٍ علميةٍ واحدة ، أمداً طويلاً ، ولا يُزيح أيٌ منها سواه ، ولا تتأخر مسيرة العلم ، وإن تكن الحالةُ المُثلَى ، هي أن يُستعمَلَ مصطلح واحد ، للدلالة العلمية الواحدة .

ومن أمثلة تعدُّد المصطلح العلميّ في العربية استعمالُهم مصطلحات (الرقّاص) في العراق ، و (الخطّار) في سوريا ، و (النوّاس) في لبنان ، في لبنان ، و (البندول) في مصر ، وهو لفظ اعجمي ، لشيء واحدٍ بعينه . وقد يستمرّ ذلك زمناً طويلاً . ومثلهُ كثير .

وعلى أية حال ، لا داعيَ للمبالغة في خطورة الأمر . فلن يؤثّر ذلك كثيراً في تقدّم العلم ، وإن يكن الأفضلُ هو التوحيد ، كما سبق بيانه .

* * *

ومن المعوّقات المختلَقة على العربية ظلماً وعدواناً ، إدعاءُ عدمِ طواعيتها للغة العلمية والتعريب ووضع المصطلحات . لقد كان ذلك من آثار عهود الاستعمار وحكم الأجنبيّ ، الذي كان يحاول ، بشتّى الوسائل ، أن يضلّلَ أبناءَ هذه الأمّة ، ليُدخِلَ في رُوعهم أنّ العربية لا تصلُح لدراسة العلوم ، وأنها لغة الأدب والشِّعر حسبُ . ومن المؤسف حقّاً أن ينطليَ مثلُ تلك الافتراءات على بعض الناس ، فيظَلّوا منخدعين بها حتى زمننا هذا.

ويمكن القول بأنّ للعربية من الخصائص ، ما يجعلها من أطوع اللغات للتعليم والعبارة العلميّة . وليس على العالم والباحث الاّ أن يمارسَها ،

ويوظّفَها في أعمالـه العلميّة ، ليتعرّفَ دقائقهـا ، ويطلّعَ على إمكاناتها العظيمة في التوسع والاستيعاب •

* * *

ففي العربية مثـلاً ، من وفرة الأوزان الاشتقاقية ، ومـا قد لانجده في أحسن اللغات ، التي تسمّى في هـذه الأيام اللغاتِ الحيّة • وقـد أحصى بعضهم بضعَ مئاتٍ من هذه الأوزان • ولكلّ وزنٍ منها واحدٌ أو أكثر ، من المعاني والدّلالات ، التي يمكن استعمالُها وتوظيفها للتعبير العلميّ • وليس هذا مجالَ استعراضِ كلّ ذلك • غير أنّ من المفيد الإشارة الى ملامحَ من بعض ما تمتاز به هذه اللغة ، على اللغات الأوربيّة ، من تلك الخصائص •

فإنّ التعديةَ القياسيّة للثلاثيّ اللازم ، بالهمـزة ، من سمات العربية ، التي لانجد ما يماثلها في اللغـاتا لأوربيّة ، التي يلجأُ فيها ، في الأغلب ، الى استعمال اكثرَ من كلمة واحدة لهذا الغـرض ، أو يُستعمَل فيها الفعلُ نفسه للزّوم والتعدّي ، من دون تمييز • وقد تكـون تعدية اللازم العربيّ أيضاً بالتضعيف ، في بعض الأحيان • فيقال في تعدية الفعل (ذهبَ ، أذهَبَ) وفي (جَمَد ، جمّدَ) • وأمثال هذه الأفعال المُعَدّاة ، ومصادرُها ، مثلُ (الإذهاب ، والتجميد ، والإزاحة ، والتبريد) وغيرِها ، ذات فائدة كبيرة في لغـة العلـوم •

أما في الانكليزية مثلاً ، فيقال في (أذهبَ ، ونوّمَ ، وأنسَى) مثلاً
made go ، و put to sleep ، و caused to forget

أو made forget ، أو يُستعمل للمتعدّي ما يستعملَ للاّزم من دون تمييز • فيقال مثلاً في (بَرَد وبرّد) كليهما cooled ، ولايتضح المراد الاّ من سياق الكلام •

وعلى العكس من ذلك ، من خصائص العربية ايضاً : المطاوعة • وبها يصاغ الفعل اللازم المطاوع من المتعدّي ، على غرار (انقطع وانحلّ ، واجتمع وانتشر ، والتصق واختفى ، وتشتّت وتجمّد) من (قطع وحلّ ، وجمع ونشر ، وألصق وأخفى ، وشتّت وجمّد) • وهذه الأفعالُ ، ومصادرها ، هي (الانقطاع والانحلالِ ، والاجتماع والانتشار ، والتصاق والاختفاء ، والتشتّت والتجمّد) ، والكثير من أمثالها ، كلها كبير الفائدة أيضاً في اللغة العلمية ، لدلالتها على التأثّر بفعل خارجي •

ومن خصائص العربية الاشتقاقيّة ، التي تميّزها من اللغات الاوربية أيضاً ، قياسيّة صوغ اسمَي الزمان والمكان ، بلفظ واحد لكل منهما ، على غرار (المَسْبَح ، والمغرب ، والملتقَى) لمكان السباحة ، وزمن الغروب ، ومكان الالتقاء أو زمانه • أما في الانكليزية فهي تصاغ من فعلٍ بعينه بأكثر من كلمة واحدة • فيقال مثلاً swimming pool ، و time of sunset ,
meeting time , أو meeting placc

ومما يميّز العربيةَ أيضاً ، كثرة أوزان مايمكن اشتقاقه من أسماء الآلة ، التي تصاغ من الثلاثيّ قياساً بأوزان (مِفعَل ، ومِفعال ، ومِفعلة) ، وقد تصاغ بوزن اسم الفاعل ومبالغته ، مذكّراً أو مؤنثاً ، ومن المزيد بوزن اسم الفاعل أيضاً • فيقال (مِلقَط ، ومِرفاع ، ومِعزقة ، ونابض ، وقاطرة ، وجرّار ، ودبّابة ، ومكثّف ، ومبرقة ، ومفاعِل ، ومبرّدة) • ومثل ذلك كثير ، وكلّه عظيم النفع في وضع المصطلحات العلمية •

وثمّة أوزان اشتقاقية أخرى كثيرة ، تنفرد بها العربية ، مما يمكن استعماله لمعانٍ علميّةٍ معيّنة ، كما في وزن (التفاعُل) ، للعمليات أو العلائق العلمية المتبادَلة ، مثل (التجاذُب ، والتوازُن ، والتفاعل ، والتعادل ، والتناظر)؛ ووزنِ (التفعيل) ، لمعنى التكثير ، كما في (التقطيع ، والتكسير ، والتجميع)، وغير ذلك كثير •

ويفيد المصدر الصناعيُّ لمعنى الحالة التي يتصف بها الشيء • وهو ذو أهميّة كبيرة في الاصطلاح العلمي • ويمتاز في العربية عنه في الانكليزية مثلاً بقياس صياغته بإلحاق ياء النسبة والهاء بآخر الصفة ، أو الاسم ، أو المصدر ، أو حتى الجملة في بعض الأحيان ؛ في حين أنه لا يمكن صياغته في الانكليزية بطريقة واحدة لكلّ هذه الأشياء • وهكذا يقال (الحسّاسيّة والمطيليّة ، والشعبيّة والداروينيّة ، والاشتراكية والاحتماليّة ، واللاأدريّة والماهيّة) ، من (حسّاس ومَطيل ، وشَعْب وداروين ، واشتراك واحتمال ، ولاأدري وما هُوَ)

وغيرُ كلِّ هذه ، من الأوزان الاشتقاقية المفيدة في الاصطلاح العلميّ ، مما تمتاز به العربية من سواها ، كثيرٌ مما لا يمكن إحصاؤه في هذه العجالة •

* * *

ويُنقَل كثير من الأوصاف الى الاسميّة في أكثر اللغات ، لتسمية أشياءَ بعينها ، كما في استعمال (الهشيم) بالعربية للنبات اليابس المهشّم ، و (الخطّاف) لنوع معيَّنٍ من الطير ، وكلاهما في الأصل من الأوصاف • غير أنّ مجالَ العربية في ذلك أوسع من كثير من اللغات ، ومنها الانكليزية ، لأن الصفة في العربية تأتي بصيغة التذكير والتأنيث • وهكذا يقال ، (الدقيق) لطحين القمح ، و (الدقيقة) لجزء من ستين جزءاً من الساعة ، و (الطائر) لواحد الطير ، و (الطائرة) للمركبة الهوائية المعروفة •

والعربية اختزالية بطبيعتها ، سواء في رسم حروف كلماتها ، أو في تركيب جُملَها • فلو أُريدَ كتابةُ لفظة (كَتَبَ) بالانكليزية ، لاحتيج الى ستة حروف • ولو أُريدَ ترجمةُ (استعنتُكَ) الى الانكليزية لقيل

I asked for your help بخمس كلمات ، أو

I turned to you for your help بسبع كلمات •

* * *

وفي حروف العربية تسعة أصوات ليست في الانكليزية ، وهي الحاء ، والخاء ، والصاد ، والضاد ، والطاء ، والظاء ، والعين ، والغين ، والقاف . في حين أنّ العربيةَ لاينقصها من اصوات الحروف الانكليزية سوى خمسةٍ ، هي صوت ch كما في چمچمال ، و g كالذي في بابا گرگر ، و p كما في قره‌تپّة ، s كالذي في measure ، و v كما في ڤاڤانا .

وقد أقرّ أكثر المجامع كتابتَها ، على التوالي ، جيماً بثلاث نِقاط (چ) ، وكافاً بشرطتين (گ) ، وباءاً بثلاث نقاط (پ) ، وزاياً بثلاث نِقاط (ژ) ، وفاءاً بثلاث نقاط (ڤ) ؛ وهي موجودةٌ في أكثرِ صناديق الطباعة . وغير خافٍ أنّ وفرة أصوات حروف العربية ، مما يجعلها أكثرَ طواعيةً لصياغة الكلمات والمصطلحات من سواها .

* * *

وللمجاز في العربية معنىً أخَصُّ من معنى المصطلَح . فالمصطلَح قد يكون لفظاً استُعمِل لغير معناه اللّغَوي ، بشرط وجود عَلاقةٍ ، من قريبٍ أو من بعيد ، بين المعنى المستعمل فيه ، والمعنى اللّغوي ، كاستعمال كلمة (الضَّرْب) لتكرار العدد بقدرٍ معيَّن ، مع أنّ أصل معناه اللغويّ هو الإصابة باليد وبالعصا أو نحو ذلك ؛ وقد يكون استعمالَ اللفظ بمعناه اللغويّ نفسِه ، كما في (الجريان ، والذوبان) أو يكون لفظاً جديداً مشتقاً ، أو مَقيساً ، أو مولَّداً ، أو حتى مُعَرَّباً من كلمةٍ أجنبيّة . أما المجاز فهو مقصورٌ على المعنى الأول للمصطلح . أي انه لفظ استُعمل لغير معناه اللغوي ، بشرط وجود علاقةٍ بين المعنى المستعمل فيه ، والمعنى اللغويّ .

وفي المجاز غِنىً وموسعةٌ كبيرة في اللغة العربية . فإنّ معنى (الأخذ) مثلاً ، هو التناول . ولكنّ للأخذ عِدّةَ استعمالات مجازيّة غيرَ هذا . فيقال (أخذ يفعل كذا ، أي طفِق) و (أخذَه وأخذ به ، أمسكه) ، (أخَذَ إخْذَهم ، تخلّق بأخلاقهم) ، و (أخذ فلانا ، حبسه) ، و (أخذه بذنبه ،

عاقبه عليه) ، و (أخذ عنه ، نقل) ، و (أخذ في الكلام ، بدأ) ، و (أخذه بالأمر ، ألزمه) ، و (أخذ الله فلاناً ، أهلكه) ، و (أخذ حَذَرَه ، تيقّظ) ، و فيه السير ، أضعفه) ، و (أخذ على فمه ، منعه من الكلام) ، و(أخذ على يده ، منعه عما يريد فعله) . وعلى غرار هذا خرّجوا من (الضرب) ، على المجاز ، نحو أربعين معنىً ودلالة . وكلّ هذه المعاني المجازيّة ، وأمثالها ، ممّا يسهّل ويغني مهمّة اختيار المصطلح العربي .

* * *

أمّا بعدُ فإنّ الاحتجاجَ بصعوبة تعريب التعليم الجامعي ، لعدم تيسُّر الكتب المنهجيّة ، والمجلاتِ العلمية ، والتمسّكَ بأنه لابدّ من الانتظار والتريّث حتى تُعدّ تلك الكتب ، كلّ ذلك من الأعذار المردودة أساساً . فإنّ الذين ينهضون بمهمة التعريب ، هم وليس سواهم ، المعوّل عليهم في إعداد الكتب المنهجية ، ومن بعدها كتب المراجع . إنها نغمة يسمعها الجميع منذ عشرات السنين بلا طائل ، ولا تُعَدّ كتب ، ولا يُسار في التعريب .

وفي الحقيقة إن العمليتين يجب أن تسيرا جنباً الى جنب ، وليس لإحداهما أن تسبِقَ الأخرى . فَتُعَدّ المحاضرات في البدء ، ويُسار في تعريب التعليم ، وتُجَمع مادّة المحاضراتِ لتهيئة الكتاب المنهجيّ . وهذا يُطَوّر بمرور الزمن ، ومع تطوّر المناهج . ثم يأتي من بعد ذلك إصدار المجلات العلمية ، ليُقبِلَ عليها ويَستفيدَ منها قرّاؤها ، بعد أن يكونوا قد ترسّخت لديهم المقدرة على استيعاب اللغة العلمية ، لغةِ التعريب .

* * *

أمّا عن اللغة الأجنبية ، فلن يكون من الصعب تخصيصُ ساعةٍ أوساعتين أسبوعيّاً ، في السنتين الأُولَيَين من الدراسة الجامعية ، لتدريس الحدّ الأدنى من لغةٍ وظيفيّة تُمكّن الطلبةَ من العودة الى بعض المراجع الأجنبية

عند الحاجة ، وتمهّد للنخبة النابهة منهم متابعةَ الدراسةِ العليا والتخصّصَ في الجامعات الأجنبية .

وأخيراً .. إنّ كلَّ المعوّقات المُدَّعاةِ والمختلَقةِ في طريق التعريب تتهاوى وتتهافت .. إنّ المعوّقَ الوحيد هو التخوّفُ من أنّ تعريب التعليم الجامعيّ سيتطلّب من الأساتذة الجامعيين ، من دون شكّ ، بذلَ الكثيرَ من الجهود . ولكن متى كانت قضايا بناء الصرح الحضاريّ ، وتحقيق الأصالةِ العلميّة ، وتدعيمِ رُوحِ الوَلاء والانتماء ، وكلّها متعلّق بمصير الوطن والأمّة ، ممّا لا يستحقّ أن تبذَلَ كلّ الجهود من أجله ؟



الاحوال السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية في العصر الاموي

الاستاذ الدكتور عبدالواحد ذنون طه
كليـة التربية / جامعة الموصل

المقصود بجنوب غرب الجزيرة العربية في هذا البحث هو اليمن بحدوده القديمة التي كانت معروفـة في العهود الاسلامية • وقـد أسهب الهمداني[١]، في وصف هذه الحدود ،والصفة الجغرافية لهذه البلاد ، التيتتكون من عدة مناطق جغرافية ، يأتي في مقدمتها الهضبة الوسطى ، التي تضم مناطق استقرار العديـد من القبائل اليمنية المعروفـة ، أمثال منطقة حمـير ، ومنطقـة همدان ومنطقة خولان ، ومنطقة نجران • أما منطقة حضرموت التي تقـع شـرق هضبة اليمن الوسطى ، فكانت مقرا لاستقرار القبائل المعروفة بنفس الاسم ، وقبائل كندة وبطونها المتعددة ، مثل تجيب ، والسكاسـك ، والسكون • وتمتد منطقة الجوف ومأرب فيما بين حضرموت جنوبا ونجران شمالا ، وهي مناطق همدان المشهورة • كما سكنتها ايضا بعض القبائل التي تنتسـب الى مذحج ، مثل مراد ، وعنس ، وسعد العشيرة • وتشمل منطقة تهامة ، ساحل اليمن على البحر الاحمر من أم جحدم الى باب المندب • وقد سكنتها قبائل عك ، والاشعريين ، بالاضافة الى قبائل حمير التي كان لهـا أراض في هذه المنطقـــة •

ويشير هذا الوصف الجغرافي الى ان معظم المناطق والاماكن الجغرافية فيه قد سميت بأسماء القبائل ، الامر الذي يدل على قوة النظام القبلي وأثره البالغ في جنوب غرب الجزيرة العربية • كما أن بقاءه حتـى زمن الهمـداني (القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي) يدل على مدى تغلغله وعمق جذوره فـي الحيـاة السياسيـة والاقتصاديـة والاجتماعيـة[٢] • ويبـدو هـذا العامل واضحا في مختلف حقب التاريخ اليمني ، سواء قبل الاسلام أم بعده •

وقد ظهر هذا الاثر بشكل ملموس في الحقبة التي اعقبت استشهاد الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) ، وما رافقها من اضطراب سياسي ، ساهمت فيه القبائل اليمنية المختلفة ، سواء في داخل اليمن ، أم في الامصار ، فمنها ما كان مؤيدا لموقف معاوية بن ابي سفيان في مطالبته بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) أو مؤيدا للامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) في جهوده لتعزيز وحدة الخلافة الاسلامية .

وقد ابتدأت الاحداث بالتطور في اليمن منذ وصول خبر استشهاد الخليفة عثمان (رضي الله عنه) وتعيين عمال الامام علي (رضي الله عليه) فخرج والي الخليفة عثمان على الجَنَد[3] ، عبدالله بن ابي ربيعة المخزومي ، وواليه على صنعاء يعلى بن أمية ، باتجاه الحجاز . ولكن عبدالله بن أبي ربيعة لم يفلح بالوصول ، فقد سقط عن راحلته ومات في الطريق[4] . أما يعلى بن أمية فقد خرج ومعه أموالا طائلة ، ووصل الى الحجاز والتحق بمن كان يزمع الخروج لقتال الامام علي في العراق[5]. ومن المتوقع أن عمال الخليفة عثمان لم يخرجوا وحدهم ، ولابد أنهم كانوا على رأس قوة من أهل اليمن ، لاسيما من منطقة حمير ، التي كان يشرف عليها عبدالله بن ابي ربيعة ، ومن منطقة صنعاء ، التي كان يشرف عليها يعلى من أمية . ويتوضح هذا الامر من استعراض موقف اهالي المنطقتين من الاحداث ، ومكاتبتهما لمعاوية بن أبي سفيان لتوجيه العمال اليهم ، بدلا من عمال الامام علي بن أبي طالب[6].

ويبدو أن سياسة عمال الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) لم تأخذ بنظر الاعتبار حراجة الموقف ودقته ، فقد بالغ والي صنعاء ، عبيدالله بن العباس بن عبدالمطلب في ملاحقة من كان يرى المطالبة بدم الخليفة عثمان (رضي الله عنه) ، فحبس بعضهم ، الامر الذي ادى الى استياء قبائلهم الذين هددوا عبيدالله بن العباس بخلع طاعته ، وطاعة الخليفة علي بن أبي طالب . ولما رفض الوالي اخلاء سبيل المسجونين ، اظهر اهل صنعاء العصيان ، ومنعوا زكاة أموالهم[7] . ولا تشير المصادر بالتفصيل الى ما قام به والي

الجَنَد ، سعيد بن سعد بن عبادة الانصاري من اجراءات في منطقته • ولكن من المتوقع أنه لاحق معارضيه ، كما فعل عبيدالله بن العباس[٨] ، حيث تشير رواية ابن أعثم الكوفي[٩] ، الى موقف معارض لبعض أهالي الجَنَد ، الامر الذي تطلب من الخليفة علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) أن يرسل اليهم كتابا يهددهم فيه ، ويدعوهم للكف عن الخلاف ، لكنهم ، مع ذلك ظلوا على موقفهم ، وراسلوا معاوية بن أبي سفيان ليبعث لهم عاملا من عنده ، لانهم ما زالوا على بيعة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) •

وشجعت أحداث اليمن ، ومراسلات أهلها معاوية بن ابي سفيان على ارسال حملة عسكرية الى اليمن ، وذلك بعد انقضاء حرب صفين والتحكيم سنة ٤٠هـ/٦٦٠م[١٠] ، بقيادة بسر بن أرطاة و (ابن ابي ارطاة) ، وهو رجل من بني عامر بن لؤي[١١] • وكانت مهمته تتلخص في التوجه الى المدينة المنورة ، ومكة المكرمة ، والطائف ، ومن ثم الى اليمن للسيطرة عليها ،وتتبع انصار الامام علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) فيها • وعندما وصلت الحملة الى الحجاز ، كتب والي مكة ابو موسى الاشعري الى عبيدالله بن العباس في اليمن يخبره بأمر الحملة[١٢] •فحاول هذا الاخير القيام باجراءات احترازية ، وحث الناس على المقاومة ، فجمع أهل صنعاء وحرضهم على القتال، فقال له فيروز الديلمي (صحابي توفي سنة ٥٣هـ/٦٧٣م) : « ما عندنا قتال فاستر شأنك »[١٣] أو « فاصنع ما تريد »[١٤] أو « احترز في نفسك »[١٥] • وهو موقف يدل على عدم استعداد آهل صنعاء للوقوف الى جانب عبيدالله بن العباس ، فاضطر لترك المدينة والخروج الى الامام علي (رضي الله عنه) بعد ان استخلف على صنعاء عمرو بن اراكة الثقفي[١٦] • وتشير روايات أخرى الى انه استخلف عبدالله بن عبد المدان الحارثي[١٧] • ولكن يبدو ، وكما يفهم من رواية ابن اعثم الكوفي[١٨] ، ان الاخير كان عاملا لعبيدالله بن العباس علي نجران •

وعند وصول بسر بن ارطاة الى اليمن قام بحملة واسعة للبحث عن أنصار الامام علي (رضي الله عنه) ، وقتلهم في معظم مناطق الجنوب الغربي للجزيرة العربية ، مبتدأ بنجران ، حيث قتل فيها عبدالله بن عبدالمدان الحارثي، وتهدد اهلها[١٩] • ثم سار نحو جيشان ، وهي مدينة من مدن اليمن النجدية ، يسكنها خليط من حمير[٢٠] ، فقاتل فيها مؤيدي الامام علي (رضي الله عنه)[٢١] • أما في صنعاء ، فقد قتل بسر عمرو بن اراكة الثقفي ، خليفة عبيدالله بن العباس ، واثنين من أولاد عبيدالله الصغار ، كما قتل عددا من « الابناء »[٢٢] ، الذين كانوا موالين لهمدان ، وتتبع أعدادا كبيرة من رجال هذه القبيلة ، الذين فر معظمهم الى شبام التي تقوم على سفح جبل كوكبان من جهة الشرق الى الشمال الغربي من صنعاء[٢٣] • وأمتدت عمليات بسر بن ارطاة الى انحاء مختلفة من الجنوب الغربي للجزيرة العربية ، فيقال انه بلغ عدن[٢٤] ، والشحر ، وهي ساحل حضرموت[٢٥] •

ويبدو أن الروايات قد بالغت في الحديث عن اجراءات بسر بن ارطاة ، والاماكن التي وصل اليها ، والاعداد التي قتلها من مؤيدي الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[٢٦] • ذلك أنه لم يمكث طويلا في اليمن ، بسبب سماعه بتوجه حملة مضادة من العراق اليه ،بقيادة جارية بن قدامة السعدي• وحين وصول الاخير الى اليمن ، كان بسر قد هرب ، وتفرق أصحابه ، فلم يكن امام جارية سوى تعقب بعض مؤيديه وأصحابه وقتلهم ، ومن ثم الرجوع الى الحجاز[٢٧] •

ويتبين من هذا العرض السريع للاحوال السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية في أواخر عهد الخلفاء الراشدين ، ان الاوضاع لم تكن مستقرة ، ولم يكن هناك موقف ثابت للقبائل من القضايا السياسية التي تلاحقت في قلب الدولة العربية الاسلامية • فبينما طالبت جماعات عديدة من حمير ، ومن أرحب وهم بطن من همدان ، من منطقة الجَنَد ، ومن صنعاء أيضا معاوية بارسال عامل من قبله الى اليمن ، ووقفت معارضة لعمال

الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، نجد أن حملة بسر بن ارطاة ، لم تقابل بترحاب من قبل الكثير من أهل اليمن . فقد تعرضت بطون من همدان للاضطهاد والملاحقة ، وكان منهم أيضا جماعات من بني أرحب ، الامر الذي يدل على انقسام هذه القبائل على نفسها في مواقفها من الاحداث . كذلك يشير موقف فيروز الديلمي ، الذي أسلفنا الاشارة اليه ، من عبيدالله بن العباس الى التذبذب في الولاء ، وخشية العواقب من قبل أهل صنعاء . ووقف أهل الجَنَد الموقف نفسه حين خاطبوا معاوية بارسال والٍ من قبله ، والا فانهم سيكتبون الى الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) معتذرين عما بدر منهم من خلاف[٢٨] .

ويبدو أن المواقف السياسية لبعض زعماء القبائل اليمانية قد تأثرت بعوامل نفسية وشخصية ، لها علاقة بالمصالح الخاصة والتنافس على الزعامة ، والقرب من مصدر القرار السياسي . فقد كان ابو معبد بن حمرة بن يريم (وهو من اللعويين أحد بطون همدان) مع معسكر الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، فلما أعطى الخليفة راية همدان الى سعيد بن قيس الحاشدي الهمداني ، غضب ابو معبد ولحق بمعاوية ، ورافق حملة بسر بن أرطاة « فكان له رِجلاً ويداً في بلد همدان فنال من شيعة علي عليه السلام في بلدهمدان وصنعاء ... »[٢٩] . كذلك فعل وائل بن حجر الضرمي ، حيث غادر معسكر الامام علي (رضي الله عنه) بحجة المحاولة لاصلاح الحال في اليمن ، لكنه مالأ بسراً ، وأعانه على اضطهاد معارضي معاوية في اليمن[٣٠] .

وفي أوائل العصر الاموي ، وعلى الرغم من جهود الخليفة معاوية بن أبي سفيان وانصاره ، ظلت مجموعات كبيرة من القبائل اليمنية مؤيدة لآل الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)[٣١] ، لاسيما همدان التي كانت تمثل قوة كبيرة في جنوب غرب الجزيرة العربية . وقد أشار الهمداني[٣٢] ، الى هذا بقوله : « ... لايقوم لأمير باليمن أمرة الا أن يكون معه ديوان من

همدان » • وكان الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) يقدر مدى أهمية هذه القبيلة وتأييدها ، ويمتدح فرسانها الذين كان لهم مواقف جليلة في نصرته في معظم المناسبات[٣٣] • وقد استمر تواجد أنصار اليمن لقضية الامام علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) ، واولاده من بعده لاسيما الحسين بن علي ، ويدل على ذلك نصيحة عبدالله بن عباس له بعدم الذهاب الى العراق والتوجه الى اليمن بدلا من ذلك « فان بها حصونا وشعابا وهي أرض عريضة طويلة ولأبيك بها شيعة وأنت عن الناس في عزلة فتكتب الى الناس وترسل وتبث دعاتك فاني أرجو أن يأتيك عند ذلك الذي تحب في عافية•• »[٣٤] • ويعتقد أحد المؤرخين المحدثين بصدق هذه النصيحة وصوابها ، وان اليمن كانت فعلا موطنا لكثير من أنصار العلويين ، وليس أدل من ذلك قيام الامامة الزيدية بعد ذلك بنحو قرنين ونصف من الزمن ، وبقائها قائمة هناك أكثر من الف عام[٣٥] •

ولكن المصادر لاتشير الى نشاط ملحوظ لأنصار العلويين فى اليمن في العصر الاموي ، ولم تقم حركات معادية من قبلهم ، كما حدث في الحجاز والعراق وغيرهما من اجزاء الدولة العربية الاسلامية • ومعظم الحركات المعادية التي سجلتها المصادر المتوفرة هي حركات الخوارج،التي تعرضت لها اليمن بتأثير من الأقاليم الشرقية للجزيرة العربية •

وقبل الحديث عن هذه الحركات ، لابد من توضيح الاوضاع العامة لليمن في العصر الاموي ، وعلاقة الولاة بالسكان ،وبالحكومة المركزية في دمشق • ولانتوقع أن تسهب المصادر في هذا الامرنتيجة اهتمامها بالاقاليم التي تقع في قلب الدولة العربية الاسلامية • ولكن مع ذلك فان ما جاء من أخبار متناثرة عن الولاة ، وأعمالهم يمكن أن يساعد في رسم صورة عامة للاوضاع في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية •

ان الامر الاول الذي يمكن ملاحظته ، هو عدم الاستقرار في تعيين الولاة ، لاسيما في الفترات الاولى من العصر الاموي ، والحقبة التي سيطر

[illegible]

خلافته (٤١ــ٦٠هـ / ٦٦١ــ٦٨٠م) ستة ولاة[٣٦] ، كما استعمل ابن الزبير في السنوات (٦٤ــ٧٣هـ / ٦٨٣ــ٦٩٢م) نحو تسعة ولاة ، كان أحدهم لايقيم فى منصبه سنة واحدة أو بضعة أشهر[٣٧] . ويعود هذا الامر الى طبيعة الظروف القلقة التى كانت تمر بها الدولة العربية الاسلامية ، والحرب الاهلية التي انتهت بوفاة ابن الزبير . ولكن بعد الاستقرار الذي تم في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ــ٨٦هـ / ٦٨٥ــ٧٠٥م) وابنائه من بعده ، نلاحظ انعكاس هذا الامر على الولاة في اليمن ، حيث بقي بعضهم في منصبه سنوات عديدة ، أمثال محمد بن يوسف الثقفي الذي تولى اليمن بعدانتهاء حركة ابن الزبير سنة (٧٣هـ / ٦٩٢م) ، واستمر على ولايتها ايام الخليفة عبدالملك بن مروان[٣٨] ، ويوسف بن عمر الثقفي الذي دامت ولايته نحو ثلاثة عشر عاما (رمضان ١٠٦ــ١٢٠هـ / ٧٢٤ــ٧٣٨م)[٣٩] .

وكانت اليمن منذ دخول الاسلام مقسمة الى ثلاث وحدات أو أعمال ادارية ، هي صنعاء ومخاليفها ، والجَنَدْ ومخاليفها ، وحضرموت ومخاليفها[٤٠] . وقد عيّن الولاة على هذه الاقاليم الثلاثة منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم)[٤١] . ولكن المصادر لاتقدم معلومات كافية بالنسبة للحقب التالية ، لاسيما العصر الاموي ، بشأن جميع الولاة والاماكن التي يعينون فيها . فهي تشير الى ان بعضهم قد جُمع له المخلافين ،صنعاء والجَنّدْ، مثل عتبة بن ابي سفيان[٤٢] وفيروز الديلمي[٤٣] ، وبحير بن ريسان[٤٤] ، وان منهم من جمعت له اليمن كلها ، مثل يوسف بن عمر الثقفي[٤٥] ، ومروان بن محمد بن يوسف الثقفي[٤٦] ، في حين تذكر تولي ثلاثة ولاة في آن واحد بعد انتهاء حركة ابن الزبير ، وهم : محمد بن يوسف الثقفي على صنعاء ، وواقد بن سلمة الثقفي على الجَنَدْ ، والحكم بن أيوب الثقفي على حضرموت[٤٧] ، ثم جمعت اليمن بعد سنة لمحمد بن يوسف الثقفي[٤٨] .

ولا تشير المصادر الى علاقة هؤلاء الولاة ببعضهم ، وهل كان كل منهم يتبع السلطة المركزية في دمشق ، أم انهم كانوا مرتبطين بوالي صنعاء ، وهو المسؤول عنهم جميعا أمام الخليفة . ومن المرجح أن الحالة الاخيرة هي التي كانت سائدة ، وان صنعاء كانت تمثل القاعدة الرئيسة في اليمن ، وذلك لان المصادر تشير في كثير من الاحيان الى تعيين الولاة على صنعاء أو اليمن دون تخصيص ، وهي تقصد بذلك ولاية اليمن بشكل عام[٤٩] . وهناك اشارة الى تولي أحد الولاة نيابة عن والي آخر ، فقد عين معاوية بن ابي سفيان اخاه عقبة بن ابي سفيان على اليمن ، فأقام سنتين ثم رجع الى الشام ، وأستخلف مكانه فيروز الديلمي الذي أقام ثماني سنوات نائبا لعتبة[٥٠] كما استخلف يوسف بن عمر الثقفي ابنه الصلت بن يوسف ، حين كلفه الخليفة هشام بن عبدالملك بولاية العراق سنة (١٢٠هـ/٧٣٨م)[٥١] .

وعلى الرغم من وقوع اليمن في ركن بعيد منزو في الدولة العربية الاسلامية ، نجد ان اهتمام الخلفاء الامويين بها كان كبيرا . ويبدو انها كانت مصدرا جيدا للاموال والهدايا التي يحملها الولاة سنويا وفي المناسبات الى مركز الخلافة في دمشق . ويذكر اليعقوبي[٥٢] ، ان معاوية بن أبي سفيان استصفى اراضي الصوافي في اليمن ، كما فعل في الشام والجزيرة والعراق ، وصيّرها خالصة لنفسه ، وأقطعها أهل بيته وخاصته ، وان خراج اليمن في عهده بلغ نحو مليون ومئتي الف دينار ، وقيل تسعمائة الف دينار . وكان يزيد بن معاوية (٦٠-٦٤هـ / ٦٨٠-٦٨٣م) قد استعمل بحير بن ريسان الحميري واليا على اليمن ، على مال يؤديه كل عام ، وسبعين رأسا من الرقيق[٥٣] . وهناك ما يؤيد قيام هذا الوالي بارسال القوافل المحملة بالمنتجات اليمنية ، كالحلل وغيرها ، الى يزيد بن معاوية[٥٤] .

وعلى الرغم من عدم توفر معلومات اخرى تشير الى اشتراط ارسال أموال معلومة الى مركز الخلافة من قبل الولاة في اليمن . ولكن من الواضح

أن معظم الولاة كانوا يتحرون ارضاء ألخلفاء ، وذلك بتقديم الاموال والهدايا اليهم • وكان بعضهم يلجأ الى طرق وأساليب مختلفة للحصول على هذه الاموال منها على سبيل المثال قيام محمد بن يوسف الثقفي بتكليف رجاله بالبحث والتنقيب في الآثار والقبور القديمة للعثور على الذهب والكنوز المخفية[٥٥]• ولم يكن محمد بن يوسف الوحيد الذي لجأ الى هذه الاساليب ، فلدينا اشارات اخرى الى قيام ولاة آخرين بالبحث في الآثار عن الكنوز والذهب ، وارسالها الى الخلافة في دمشق[٥٦] •

ولم تكن السلطة المركزية ترضى دائما عن هذه الاساليب ، فقد نهى الخليفة عبدالملك بن مروان محمد بن يوسف الثقفي عن الاستمرار في عملية البحث في القبور ونبشها طلبا للذهب والكنوز المدفونة • كما شك الخليفة الوليد بن عبدالملك من كثرة الاموال والهدايا المحمولة اليه من قبل الوالي نفسه حينما كان يؤدي فريضة الحج ، فقال له : « بلغني انك أصبتها غصبا » فأنكر محمد بن يوسف ذلك ، الامر الذي دعا الخليفة الى طلب استحلافه بين الركن والمقام ، فحلف محمد « خمسين يمينا بالله ما غصب شيئا منها ، ولا ظلم أحدا وأصابها الا من طيب »[٥٧] •

وتشير تصرفات بعض الولاة وسياستهم الداخلية ، وطرق جمعهم للاموال الى أن شك الخليفة الوليد كان في محله ، لاسيما بالنسبة للوالي محمد بن يوسف الثقفي الذي «أساء السيرة ، وظلم الرعية ، وأخذ أراضي الناس بغير حقها ، فكان مما اغتصبه الحرجة •••»[٥٨] ، وهي أرض عظيمة على نهر سردد[٥٩] • كما فرض على أهل اليمن ضريبة من الخراج جعلها وظيفة عليهم[٦٠] ،وثابتة في أعناقهم « كالجزية يؤدونها على كل حال ، ان أخصبوا أو أجدبوا ، أو حيوا أو ماتوا »[٦١] • وقد ظلت الامور على هذا الحال بالنسبة الى ضريبة الخراج حتى تولى الخليفة عمر بن عبدالعزيز (٩٩–١٠١هـ/ ٧١٧–٧٢٠م) فكتب الى عامله على اليمن عروة بن محمد السعدي بالغائها •

ولكنها لم تلبث أن ردت بعد تولي الخليفة يزيد بن عبدالملك مقاليد السلطة في دمشق (١٠١ـ١٠٥هـ/ ٧٢٠ـ٧٢٤م)[٦٢] .

وتتيجة لهذه الاعمال كان عامة الناس غير راضين عن سياسة الولاة في اليمن وعمالهم في القرى[٦٣] . ولهذا كان بعض الولاة يحاولون التقرب من الناس ، ومن الفقهاء على وجه الخصوص . وتشير المصادر الى بعض هذه المحاولات ، لاسيما موقف محمد بن يوسف من وهب بن منبه (توفي سنة ١١٠هـ/٧٨٢م) ، وقراءته القرآن عليه ،وتعيينه للقضاء والقصص في المسجد الجامع بصنعاء[٦٤] . كما اهتم الولاة والخلفاء ايضا ببناء المساجد وتوسيعها وتزينها[٦٥] ، والاهتمام بالقضاة وحسن اختيارهم[٦٦] وتخصيص أرزاق مجزية لهم ولمساعديهم[٦٧] . وكان محمد بن يوسف الثقفي ، وأيوب بن يحيى الثقفي يحاولان التقرب من طاووس بن كيسان الهمداني (توفي سنة ١٠٦هـ/ ٧٢٤م) بارسال الهدايا والاموال اليه . لكنه كان يرفض أخذها ،أو يتصدق بها على الآخرين [٦٨] ، وذلك اعتقادا منه بجور هؤلاء الولاة ، وعدم جواز التعامل معهم ، أو الصلاة خلفهم . وكان أن اضطر الى الصلاة خلفهم يعيد تلك الصلاة ،لاعتقاده بعدم أهليتهم لامامة الناس[٦٩] . وقد دفعت هذه المواقف المتشددة من قبل هؤلاء العلماء بعض الولاة الى اتخاذ اجراءات قوية بحقهم منها ما قام به الوالي يوسف بن عمر الثقفي من حبس وهب بن منبه ، وضربه ضربا مبرحا ، وذلك قبيل وفاته بقليل سنة (١١٠هـ/٧٨٢م)[٧٠] .

استمرت المعارضة الداخلية في اليمن لسياسة الولاة الامويين على هذا الشكل السلبي ، ولم تتخذ موقفا ايجابيا حتى في الحالات التي كانت تتعرض فيها المنطقة لقوى تعمل من الخارج ، لاسيما الحركات الخارجية . ونظرا للبعد الجغرافي لليمن ،فقد كانت مكانا مناسبا لتجمع القوى المعادية ، لاسيما وان السلطة الاموية نفسها كانت ترسل بعض المنفيين الى اليمن ، مثال ذلك نفي الحجاج بن يوسف الثقفي لوهب بن مانوس ، الذي أصله من البصرة ،

الى اليمن[٧١] . كما نفى الخليفة عمر بن عبدالعزيز ايضا نفرا من بني عقيل ، وطلب من عامله أن ينزلهم في اسوأ مكان من ارض اليمن[٧٢] .

لقد تعرضت منطقة جنوب غرب الجزيرة العربية في الحقبة التي سيطر فيها عبدالله بن الزبير على الحكم في الحجاز لاحدى الحركات الخارجية ، التي كانت بقيادة نجدة بن عامر بن عبدالله ، الذي ثار اولا مع نافع بن الازرق[٧٣] ، ثم فارقه وجعل مركزه في اليمامة ، ثم سار الى البحرين سنة (٦٧هـ/٦٨٦م) ، وحارب بني عبدالقيس في القطيف وهزمهم ، كما هزم أيضا جيشا أرسله مصعب بن الزبير من البصرة ، كما أرسل حملة الى عمان وسيطر عليها[٧٤] . وقد جاءت هذه الانتصارات نتيجة التفكك والتجزئة التي أصابت الدولة العربية الاسلامية ، وغياب السلطة المركزية . ولهذا تشجع نجدة بن عامر ، فقاد مجموعة من أتباعه من عمان الى اليمن ، وقصد صنعاء. وحاول بعض الاعيان ، وعلى رأسهم وهب بن منبه تشجيع أهل المدينة على المقاومة ، لكنهم رفضوا خوفا من قتال الخوارج قائلين : « ليس لنا طاقة بقتالهم وانا لنخشى انهم يستحلون سبي أولادنا ، ثم انهم صالحوهم على مائة ألف دينار واستعانوا بأهل المخاليف على تسليم المال فأعانوهم ...»[٧٥] . وتشير رواية أخرى الى أن هل صنعاء بايعوا نجدة حينما ظنوا أن وراءه جيشا كبير العدد ، ولما تبين لهم عدم وجود مدد لقوته الصغيرة ندموا على بيعته . ولما بلغه ذلك أخبرهم انه يعفيهم من البيعة ان شاءوا ويقاتلهم ، فرفضوا ذلك وظلوا على بيعتهم له وأرسل نجدة رجاله الى مخاليف صنعاء وجبى صدقاتها ، كما بعث أبا فديك عبدالله بن ثور الى حضرموت وجبى صدقات أهلها أيضا[٧٦] .ثم سار في موسم سنة ٦٨هـ او ٦٩هـ / ٦٨٧ او ٦٨٨م الى الحج، وحاول دخول المدينةالمنورة : وهاجم الطائف ، واستعمل عليها أحد رجاله ، وكذلك المناطق التي تلي نجران ، ثم رجع الى البحرين[٧٧] . ولاتشير المصادر الى قيامه بتعيين عامل على اليمن ،ويحتمل أنه اكتفى بجباية صدقاتها فقط .

وتشير أحداث حملة نجدة بن عامر هذه الى انعدام السلطة في اليمن، حيث لم يرد ذكر لعامل ابن الزبير في تلك الفترة ، او اتخاذه اية اجراءات للمقاومة . وقد تصرف أهل صنعاء خاصة ، وبقية مخاليف اليمن عامة بحكمة في مصالحتهم للخوارج ، ودفع أذاهم عن المنطقة . ولكن يبدو ان هذا الاسلوب لم ينفع في رد فرق الخوارج المختلفة عن اليمن ، حيث يشير الجعدي(٧٨) ، الى وثوب مجموعة من هؤلاء على اليمن بقيادة رجل اسمه قدامة بن المنذر ، وذلك في سنة (٧١هـ/ ٦٩٠م) . ويضيف ابو مخرمة(٧٩) ، الى ان هذا الهجوم تم في عهد أحد ولاة ابن الزبير ، يدعى (ابو الجنوب) ، ثم اضطربت احوال اليمن ولم تزل كذلك حتى مقتل ابن الزبير .

وفي الحقبة التي أعقبت انتهاء حركة ابن الزبير واستعادة اليمن مع بقية ولايات الدولة العربية الاسلامية الى الحكم الاموي ، لم تتعرض اليمن الى هجمات الخوارج من شرق الجزيرة العربية . ولكن احدى الروايات تشير الى قيام حركة خارجية محلية بقيادة رجل يدعى عباد الرعيني ، الذي تلقب بمنصور حمير ، وخرج « محكما » في ثلاثمائة من اصحابه سنة (١٠٧هـ / ٧٢٥م) . وقد استطاع الوالي يوسف بن عمر الثقفي القضاء على هذه الحركة وقتل جميع انصارها(٨٠) .

أما الحركة الخارجية المهمة التي قامت في الجنوب الغربي من الجزيرة العربية في العصر الاموي ، فهي حركة « طالب الحق » عبدالله بن يحيى الكندي، الذي ثار بحضرموت سنة (١٢٩هـ/٧٤٦م) على الحكم الاموي . وكان هذا الرجل من الخوارج الاباضية(٨١) ، المعارضين للامويين . وقد دفعه للخروج في اليمن ، حسب قوله: الجور الظاهر ، والعسف الشديد، وسيرة الولاة القبيحة في الناس . ويبدو انه كان على اتصال وثيق بمن يشاركونه الرأي في شرق الجزيرة العربية ، لاسيما في عمان والبصرة ، فكتب الى اصحابه هناك يشاورهم في الخروج ، فكتبوا اليه قائلين : «ان استطعت ان لاتقيم

يوما واحدا فافعل» . وجاء اليه من البصرة ابو حمزة المختار بن عوف الازدي السليمي ، وباج بن عقبة السعدي ، في رجال من الاباضية ، وهم يحملون كتبا من اصحابهم تحث على الخروج ، وعدم الغلول والغدر ، والاقتداء بسيرة الصالحين . فدعا اصحابه ، فبايعوه ولقبوه بـ « طالب الحق » ، وقصدوا دار الامارة في حضرموت ، وقبضوا على عاملها ابراهيم بن جبلة بن مخرمة الكندي ، وحبسوه يوما ثم أطلقوه[٨٢] .

وتشير روايات أخرى الى ان عبدالله بن يحيى الكندي التقى بأبي حمزة المختار بن عوف في موسم عام (١٢٨هـ/٧٤٥م) في مكة ، وكان الاخير يأتي الى الموسم في كل سنة ، ويدعو الناس للخروج على الخليفة مروان بن محمد (١٢٧هـ ــ ١٣٢هـ / ٧٤٤ــ٧٥٠م) . فسمعه عبدالله بن يحيى ، فدعاه الى القدوم معه الى حضرموت ، فخرج معه ابو حمزة الى هناك ، وبايعه على الخلافة ، ودعا الى الثورة على مروان بن محمد[٨٣] . وكان ممن خرج مع أبي حمزة ابن عمه جابر بن جبلة السليمي ، ومسكنه البصرة ايضا ، وخرجت معهما بطون عديدة من نصر بن هوازن وسليمة ، ومالك بن فهم ، وغيرهم[٨٤] . أما في حضرموت ، فبالاضافة الى كندة قبيلة عبدالله بن يحيى، فقد ناصرته قبائل اخرى ، من اشهرها قبيلة همدان التي تزعمها رجل يدعى أبرهة بن الصباح ، الذي أصبح مع باج بن عقبة السعدي ، وأبي حمزة المختار بن عوف ، من اشهر قادة هذه الحركة الذين اعتمد عليهم « طالب الحق» عبدالله بن يحيى[٨٥] . كما ناصرته ايضاً قبائل حمير بقيادة يحيى بن كرب الحميري ، ومن آل ذي الكلاع بقيادة يحيى بن عبدالله بن عمير السباق ، بالاضافة الى بطون اخرى ، لاسيما من منطقة شبام حمير في حضرموت[٨٦] .

ولما وجد عبدالله بن يحيى انه أصبح قادرا على مجابهة السلطة الاموية ، كتب الى اصحابه في صنعاء أنه قادم اليهم ، واستخلف على حضرموت عبدالله

بن سعيد الحضرمي وذلك في سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م ، وسار بجيش يقدر عدده بنحو ألفي رجل[٨٧] • وكان والي اليمن في صنعاء هو القاسم بن عمر الثقفي الذي تهيأ للقاء الخوارج ، فاستخلف على صنعاء الضحاك بن زمل السكسكي وخرج في جيش كبير ، قدر عدده بثلاثين ألف رجل • وربما بالغت الروايات في هذا العدد ، ومع ذلك ، لم يقدر القاسم بن عمر الثقفي على مواجهة قوات عبدالله بن يحيى المتواضعة ، فهرب من المعركة ، وقتل ابن أخيه الصلت بن يوسف بن عمر مع عدد كبير من أنصارهما • وبعدالانتصار دخل عبدالله بن يحيى الى صنعاء ، واستولى على بيت المال والاسلحة فقوى بها ، وكثر جمعه، وجاء المؤيدون من كل جانب ، وأقام في المدينة بضعة أشهر[٨٨] ، حاول فيها توخي السيرة الحسنة واستخدام اللين مع السكان ، ومنع الظلم ، واقامة العدل[٨٩] •

ولما جاء موسم الحج لعام ١٢٩هـ/٧٤٦م ارسل عبدالله بن يحيى الكندي أبا حمزة المختار بن عوف ، ومعه بلج بن عقبة السعدي وأبرهة بن الصباح الى مكة ، وأمره أن يقيم بها اذا صدر الناس ، ويوجه بلجاً الى الشام • وقد اختلفت الروايات في عدد هذه الحملة ، فتشير احداها الى سبعمائة رجل[٩٠] ، بينما ترفع روايات أخرى هذا الرقم الى عدد يتراوح بين التسعمائة والعشرة آلاف رجل[٩١] • ومن المرجح ان العدد كان اكثر من سبعمائة رجل ، لأن المعارك التي جرت بين قوات أبي حمزة ، وأهل المدينة ، والقوات الشامية ، كانت كبيرة اضطرت الخوارج الى تفريق قواتهم بين مكة والمدينة، الامر الذي يتطلب عددا مناسبا لايقل عن بضعة آلاف رجل •

وصل أبو حمزة الى عرفة عن طريق الطائف والناس يتهيأون لاتمام الحج، والامير هو عبدالواحد بن سليمان بن عبدالملك ، والي مكة والمدينة • وقد دعا هذا الامير الخوارج الى المسالمة حتى ينقضي الحج ، فوافقوا على ذلك ، ولما كان يوم النفر الاول نفر عبدالواحد بن سليمان ، وأخلى لهم مكة فدخلوها

بغير قتال[٩٢] . وسار أبو حمزة في بداية سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م الى المدينة ، واستخلف على مكة ابرهة بن الصباح ، وجعل على مقدمته بلج بن عقبة السعدي . وخرج أهل المدينة للقائهم بقيادة عبدالعزيز بن عبدالله بن عمرو بن عثمان ، الذي استعمله عليهم عبدالواحد بن سليمان ، فالتقى الجمعان بقديد ، في الطريق بين مكة والمدينة ، وجرت بينهم معركة ، انهزم على أثرها أهل المدينة ، وقتل عدد كبير منهم ، ودخل أبو حمزة المدينة لثلاث عشرة خلت من صفر سنة ١٣٠هـ/٧٤٧م[٩٣] .

اهتمت الخلافة الاموية كثيرا بتطورات هذه الاحداث في جنوب غرب الجزيرة العربية ، وامتدادها الي الحجاز . لاسيما وان الحركة الخارجية الجديدة لم تكتف بما حققته من انتصارات في اليمن ، بل حاولت التوسع والوصول الى مقر الخلافة ، حيث كانت تعليمات عبدالله بن يحيى الكندي لأبي حمزة تقضي بارسال قائده بلج بن عقبة الى الشام . وبالفعل لم يلبث الخوارج في المدينة أكثر من أربعة أشهر ، توجهوا بعدها يريدون الشام ، حتى وصلوا الى وادي القرى ، وهو بين تيماء وخيبر[٩٤] . فالتقوا هناك بالجيش الذي أرسله الخليفة مروان بن محمد من الشام بقيادة عبدالملك بن محمد بن عطية السعدي . وكانت هذه القوة مؤلفة من أربعة آلاف رجل مجهزين تجهيزا كاملا ، ومدربين على القتال . لهذا لم يكن من الصعب عليهم التغلب على قوة الخوارج ، وقتل بلج بن عقبة الذي كان على رأس تلك القوة . وقد تتبع ابن عطية الناجين الى مكة ، حيث تجمعوا مع أبي حمزة المختار بن عوف ، وكانت نتيجة المعركة التي دارت بين الجانبين بالابطح ، بالقرب من مني ، لصالح القوات الشامية ، فقتل أبو حمزة ، وأبرهة بن الصباح ، وتشتت جمعهم[٩٥] .

ثم قرر ابن عطية السير الى اليمن تنفيذا لتوجيهات الخليفة مروان بن محمد . فلما سمع عبدالله بن يحيى الكندي بمسيره اليه ، وبما حل بقواته في

الحجاز ، خرج من صنعاء لملاقاته في جيش كبير قدر عدده بنحو ثلاثين ألف رجل[٩٦] • ويبدو أن بقاء « طالب الحق » في السلطة نحو ستة عشر شهرا ، وسيرته الحسنة في أهل اليمن ، قد زادت من مؤيديه وأنصاره[٩٧] • وقد رافقه هؤلاء حتى نزل في صعدة[٩٨] بينما عسكر ابن عطية في تبالة[٩٩] ، ثم التقيا ، فانهزم « طالب الحق » الى جرش[١٠٠] ، فيسار اليه ابن عطية وقاتله ، فتشتت جمع « طالب الحق » ، لكنه ثبت في ألف رجل من أهل حضرموت ، وقاتل حتى قتل هو ومن معه • ومضى ابن عطية فدخل صنعاء ، وأرسل برأس عبدالله بن يحيى الى الخليفة مروان بن محمد في دمشق[١٠١] •

لم تهدأ الاحوال في جنوب غرب الجزيرة العربية بمقتل عبدالله بن يحيى الكندي ، فقد ثار على ابن عطية احد أصحاب « طالب الحق » في آل ذي الكلاع ، وهو يحيى بن عبدالله بن عمر السباق ، فاستولى على الجند • فأرسل اليه ابن عطية ابن أخيه عبدالعزيز بن يزيد ، فانهزم ابن السباق ، ومضى حتى أتى عدن أبين[١٠٢] ، حيث جمع نحو ألف رجل لمقاومة السلطة الاموية • لكنه هزم على يد قوات ابن عطية• كذلك ثار رجل آخر بساحل البحر من حمير يقال له يحيى بن حرب ، فأرسل اليه ابن عطية من قضى على حركته • واضطر ابن عطية الى التوجه الى حضرموت لملاحقة خليفة « طالب الحق » الذي يدعى عبدالله بن سعيد أو (معبد الجرمي) وكان في جماعة من أهل حضرموت ، فقاتلهم ، لكنه توقف عن الاستمرار في الملاحقة بعد وصول كتاب الخليفة اليه يامره بالتوجه الى الحجاز لامارة الموسم ، فدعا أهل حضرموت الى الصلح ، فصالحوه على ان يرد عليهم ما أخذ من أموالهم ، ويولي عليهم من يختارونه ، فرضي بذلك[١٠٣] •

خرج ابن عطية مسرعا في عدد قليل من رجاله ليلحق بالحج ، وخلف ابن أخيه على صنعاء • فلما وصل واديا من أودية مراد ، بقرية يقال لها شبام[١٠٤] ،

قتلته جماعة منهم انتقاما لعبدالله بن يحيى الكندي وأصحابه[١٠٥] • وفي رواية ينقلها الاصفهاني عن المدائني[١٠٦] ، ان مقتل ابن عطية كان على يد جماعة مشتركة من همدان ، ومراد ، وكندة • ولما بلغ أبن أخيه الخبر ، أرسل من صنعاء قوة للانتقام من الفاعلين ، فقتلوا كل من وجدوه من الرجال والصبيان والنساء ، وأخذوا الاموال ، وأخربوا القرى الواقعة في المنطقة • حتى لم يبق احدا من قتلة ابن عطية ، ولا من الاباضية الاوقتلوه ، وعادوا وقد تركوا في أراضي حضرموت ذكرى أليمة لاتنسى على مر الزمن[١٠٧] • ومع ذلك فان كل اجراءات القمع هذه لم تستطعأن تنتزع المذهب الاباضيمن منطقة حضرموت ، فقد أصبحت هذه البلاد أحد مراكز هذا المذهب ، حيث ذكر المسعودي هذا الامر[١٠٨] ، وأشار الى وجود الكثير من الاباضية في حضرموت في عصره •

وبعد مقتل ابنعطية ولى الخليفة مروان بن محمد الوليد بن عروة على اليمن[١٠٩] ، وأرسل الى أهل اليمن كتابا طلب من واليه ان يقرأه على الناس، أدان فيه ، بعد مقدمة طويلة ، حركة عبدالله بن يحيى الكندي ، وأشار اليه باسم «عدو الله طالب الذبح أعور الاباضية» ، وأشار الى انتصار قوات الخلافة عليه وعلى أنصاره ، وطالب أهل اليمن أن يتخذوا من هذه الواقعة عبرة للمستقبل ، وأن تكون شوكتهم على أعداء المسلمين أينما وجدوا[١١٠]، ويبدو أن الاوضاع هدأت الى حد ما بعد أحداث حركة « طالب الحق » المأساوية • ولكن لم يجن الخليفة ثمار نصيحته هذه ، ولم يتمتع واليه عروة بن الوليد بالهدوء طويلا ، حيث انتهى العصر الاموي سنة ١٣٢هـ/٧٤٩م ، فكان عروة بن الوليد آخر ولاة الامويين على اليمن •

جدول بأسماء الولاة على اليمن في العصر الاموي[111]

اسم الخليفة	اسم الوالي	الملاحظات
معاوية بن ابي سفيان	عثمان بن عمان الثقفي	تولى بعد قيام الدولة الاموية (سنة ٤١هـ/٦٦١م)
	عتبة بن ابي سفيان	على صنعاء والجند (سنتين)
	فيروز الديلمي	على صنعاء والجند (ثمان سنوات)
	النعمان بن بشير الانصاري	(سنة واحدة)
	بشير بن سعيد الاعرج[112]	(سبعة اشهر)
	الضحاك بن فيروز الديلمي[113]	على صنعاء حتى وفاة معاوية (سنة ٦٠هـ/٦٨٠م)
يزيد بن معاوية	بحير بن ريسان الحميري	على المخلافين (صنعاء والجند) حتى وفاة يزيد سنة ٦٤هـ/٦٨٣م
في عهد سيطرة ابن الزبير على اليمن	الضحاك بن فيروز الديليمي	(اقام سنة)
	عبدالله بن عبدالرحمن بن خالد بن الوليد	(أقام فيها اياما ؟)
	عبدالله بن عبدالمطلب بن ابي وداعة السهمي	(أقام سنة وثمانية اشهر)

الخليفة	الوالي	ملاحظات
عبدالملك بن مروان	عبيدة بن الزبير[١١٤] حنش بن عبدالله الفقيه الصنعاني قيس بن يزيد السعدي[١١٥]	(اقام فيها عشرة اشهر[١١٦])
	محمد بن يوسف الثقفي / على صنعاء وواقد بن سلمة الثقفي / على الجند والحكم بن أيوب الثقفي / على حضرموت	(ثم جمعت اليمن لمحمد بن يوسف الثقفي)
الوليد بن عبدالملك	ايوب بن يحيى الثقفي[١١٧]	ولي صنعاء خمس سنوات في خلافة الوليد بن عبدالملك
سليمان بن عبدالملك وعمر بن عبدالعزيز	عروة بن محمد السعدي	استخلفه سليمان وأقره بعد وفاته عمر بن عبدالعزيز ، مدة ولايته من ٩٦–١٠١هـ/٧١٥–٧٢٠م
يزيد بن عبدالملك	مسعود بن عوف الكلبي	مدة خلافة يزيد وسنة في خلافة هشام ١٠١–١٠٦هـ/٧٢٠–٧٢٤م
هشام بن عبدالملك	يوسف بن عمر الثقفي	على المخاليف كلها من سنة ١٠٦–١٢٠هـ/٧٢٤–٧٣٨م

	الصلت بن يوسف بن عمر	الى نهايــة خلافة هشام ١٢٥هـ / ٧٤٢ـ٧٤٣م
الوليد بن يزيد بن عبدالملك	مروان بن محمد بن يـوسف الثقفي	تولى سنة ١٢٥هـ/٧٤٢ـ٧٤٣م
يزيد بن الوليد بن يزيد	الضحاك بن وائل السكسكي(١١٨)	تولى سنة ١٢٦هـ/٧٤٤م
مروان بن محمد	القاسم بن عمر الثقفي	استعمله مروان سنــة ١٢٧هـ / ٧٤٤م وبقي في اليمن حتى دخول عبدالله بن يحيى الكندي الــى صنعاء سنة ١٢٩هـ/٧٤٦م
	الوليد بن عروة الثقفي	من سنة ١٣٠ـ١٣٢هـ /٧٤٧ ـ ٧٥٠م

الهوامش

(١) ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب ، صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع (بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩) ص ٩٠ فما بعدها .

(٢) يقارن : نزار عبداللطيف الحديثي ، اهل اليمن في صدر الاسلام ، (بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨) ص ٦٥ .

(٢) الجند احدى امهات المدن في اليمن ، تقع على بعد (٥٨) فرسخا جنوب صنعاء اي نحو (٣٤٨) كم ، وهي تكون ، بالاضافة الى صنعاء وحضرموت اعمال اليمن الثلاثة المعروفة في الاسلام . ينظر : ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي ، معجم البلدان (بيروت دار صادر ، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م) : ١٦٩/٢ .

(٤) ابو الحسن عزالدين علي بن محمد بن عبدالكريم ، المعروف بابن الاثير ، الكامل في التاريخ (بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) : ٢٠٠/٣؛ ويقارن : يحيى بن الحسن بن القاسم بن محمد بن علي ، غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور (القاهرة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م) ص ٩٤ ، وسوف نرمز له في الحالات الآتية هكذا : (غاية الاماني) .

(٥) ابو جعفر محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غوية (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٧٩ ــ ١٩٠٣م) : ١ / ٣٠٨٩ ، ٣١٠٠ ، ٣١٠٢، ٣١٨٣ ؛ وينظر ابي الاثير ، الكامل : ٢٠٧/٣ ؛ تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ، تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق : مصطفى حجازي : (القاهرة ، مطبعة منير ، ١٩٦٥م) ص ١٥ ، وسوف نرمز له في الاحالات الآتية هكذا : (بهجة الزمن) .

(٦) ينظر : احمد بن ابي يعقوب بن واضح ، المعروف باليعقوبي ، تاريخ اليعقوبي (بيروت ، دار صادر ، توزيع دار صعب ، دون تاريخ) : ١٩٧/٢ ؛ ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي ، الفتوح (ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٦م) : ٢٢٦/٢ ــ ٢٢٧ ؛ ويقارن : عبدالرحمن عبدالواحد الشجاع ، اليمن في صدر الاسلام (دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) ص ٣٥٦ ، ٣٥٧ــ٣٥٨ .

(٧) ابن اعثم ، المصدر السابق : ٢٢٦/٢ ؛ وينظر : احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، انساب الاشراف ، تحقيق : الشيخ محمد باقر المحمودي (بيروت ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م) : ٤٥٣/٢ .

(٨) يشير البلاذري الى ان والي الجند ، الذي وهم في اسمه فجعله سعيد بن نمران الهمداني ، صنع بأهل الجند مثلما صنع عبيدالله بن العباس بأهل صنعاء ، حيث اشتد عليهم ، وطرد قوما من انصار الخليفة عثمان (رضي الله عنه) : انساب الاشراف : ٢/٤٥٣ .

(٩) الفتوح : ٢/٢٢٦-٢٢٧ ؛ وينظر ايضا : البلاذري ، انساب الاشراف : ٤٥٣/٢ .

(١٠) خليفة بن خياط ، تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : اكرم ضياء العمري (النجف ، مطبعة الآداب ، ١٣٨٦هـ / ١٩٦٧م) : ١٨٢/١ ؛اليعقوبي ، تاريخ : ١٩٧/٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٣٤٥٠/١ ؛ ابن أعثم ، المصدر السابق : ٢١٨/٢ ؛ ابو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد (ط٤ ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م) : ٣٠/٣ ؛ القاضي حسين بن احمد العرشي ، بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، نشر : الاب انستاس ماري الكرملي (القاهرة ، مطبعة البرتيري ، ١٩٣٩م) ص ٨ - ٩ .

(١١) ينظر : ابن المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي ، جمهرة النسب (رواية السكري عن ابن حبيب) ، تحقيق : ناجي حسن (بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م) ص١١٣ ؛ ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب الزبيري ، كتاب نسب قريش ، نشر : ليفي بروفنسال (ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦م) ص٢٦٤ ، ٤٣٩ .

(١٢) الطبري ، المصدر السابق : ٣٤٥١/١ .

(١٣) عمر بن علي بن سمرة الجعدي ، طبقات فقهاء اليمن ،تحقيق : فؤاد سيد (القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٧م)ص٤٨ - ٤٩ ؛ غاية الاماني ، ص ٩٦ .

(١٤) ابو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن احمد بن ابي مخرمة ، تاريخ ثغر عدن (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٦م) ، اعادت مطبعه مكتبة المثنى ببغداد ، ٢٦/٢ .

(١٥) عبدالرحمن بن علي الديبع ، كتاب قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٩١هـ / ١٩٧١م) ص ٨٦ .

(١٦) البلاذري ،انساب الاشراف (برواية الهيثم بن عدي) : ٤٥٦/٢ ؛ وينظر: الجعدي ، المصدر السابق ، ص ٤٩ ؛ غاية الاماني ، ص ٩٦ ؛ ابن الديبع، المصدر السابق ، ص ٨٦ .

(١٧) البلاذري ، انساب الاشراف : ٤٥٦/٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٣٤٥٢/١ .

(١٨) الفتـوح : ٢٣٢/٢ .

(١٩) اليعقوبي ، تاريخ : ١٩٩/٢ ؛ ابن اعثم ، المصدر السابق : ٢٣٢/٢ .

(٢٠) الهمداني ، صفـة ، ص ١٠٠ ، ٢٠٢ .

(٢١) اليعقوبي ،تاريخ : ١٩٩/٢ ؛ ابن اعثم ، المصدر السابق : ٢٣٣/٢ .

(٢٢) الابناء هم بقايا الجيش الفارسي الذي جاء الـى اليمن في عهـد الملـك سيف بن ذي يزن ، ينظر : ابن الديبع ، المصـدر السابـق ، ص ٨٧ ، وتعليق المحقق في هامش رقم (١) .

(٢٣) المصـدر نفسـه ، ص٨٦/٨٧ ؛ غايـة الامانـي ، ص٩٦ـ٩٧ ؛ وينظـر : ياقوت ، المصدر السابق : ٣١٨/٣ .

(٢٤) ابو مخرمة ، المصدر السابـق : ٢٦/٢ .

(٢٥) احمد بن عبدالله الرازي الصنعاني ، كتاب تاريخ مدينة صنعاء ، تحقيق : حسين عبدالله العمري وعبدالجبار زكار (صنعاء ، ١٩٧٤م) ص ١٧٠ ؛ وينظر : ابن أعثم ، المصدر السابق : ٢٣٣/٢ . وعـن الشحر ، ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٣٢٧/٣ .

(٢٦) انظر على سبيل المثال : ابن اعثم ، المصدر السابق :٢٣٦/٢ ، الذي يقدر مجموع ماقتله بسـر في اليمن بنحو ثلاثين الف رجل ، علما ان حملة بسر كانت لاتتعدى اربعة آلاف رجل ، حسبما ذكرته معظم المصادر .

(٢٧) البلاذري ، انساب الاشراف : ٤٥٧/٢ ؛ الطبري ، اصدر السابـق : ٣٤٥٢/١ ؛ ابـن الديبـع ، المصـدر السابـق ، ص٨٨ ؛ ابـو مخرمـة ، المصـدر السابـق : ٢٦/٢ .

(٢٨) ابن أعثم ، المصدر السابق : ٢٢٧/٢ .

(٢٩) أبو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني ، الاكليـل ، تحقيـق : محبالدين الخطيب (القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٦٨هـ) : ٦٦/١٠ ؛ وينظر أيضا : الاكليل : تحقيق نبيه أمين فارس (بيروت ، دار العـودة ــ صنعاء ، دار الكلمة ، دون تاريخ) : ١٠٢/٨ ــ ١٠٣ .

(٣٠) البلاذري ، انساب الاشراف : ٤٥٨/٢ (برواية عوانة بن الحكم) .

(٣١) ينظر : غايـة الاماني ، ص ١١٧ .

(٣٢) الاكليل ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي (بغـداد ، دار الحـرية للطباعـة ، ١٩٨٠م) : ٢١٦/٢ .

(٣٣) المصدر نفسـه : ٨٤/٨ ، ٣٤/١٠ ــ ٣٥ ، ٤٦ ، ٦٣ـ٦٤ .

(٣٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢/٢٧٥ ؛ وينظر : المسعودي ، المصدر السابق : ٣/٦٤ - ٦٥ .

(٣٥) حسن سليمان محمود ، تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي (ط١ ، بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٦٩م) ص ٩١ .

(٣٦)/ينظر : ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٩١-٩٤ ؛ غاية الاماني ،ص٩٨ .

(٣٧) ينظر : الجعدي ، المصدر السابق ، ص ٥١-٥٢ ؛ غاية الاماني ،ص ١٠٤-١٠٥ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٠٠ .

(٣٨) ابن خياط ، المصدر السابق : ١/٢٩٤ ، ٣١٦ .

(٣٩) المصدر نفسه : ١/٣٧٣ ؛الجعدي ، المصدر السابق ، ص ٥٤ ؛ غاية الاماني ، ص ١١٩ ؛ بهجة الزمن ، ص ١٧ .

(٤٠) ابو عبدالله محمد الشافعي المعروف بالمقدسي البشاري ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، نشر : دي غوية (ط٢ ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٦م) ص ١٠٥ ؛ وينظر : ياقوت : المصدر السابق : ٢/١٦٩ . والمخلاف عند اهل اليمن ، كما يقول عمارة اليمني ، عبارة عن قطر واسع ، أو هو كالرستاق ، والكورة ، والمحافظة في الاقطار الاخرى ، ينظر : نجم الدين عمارة بن علي اليمني ، تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها واعيانها وأدبائها ، تحقيق ، محمد بن علي الاكوع الحوالي (ط٣ ، دون مكان ، مطبعة العلم ، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) ص ٤٨ : وانظر : تعليق المحقق في الصفحة ذاتها ، هامش(٥). ولليمن اربعة وثمانين مخلافا ، ينظر : عن اسمائها كاملة : احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي ، كتاب البلدان ، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رستة (ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢ م) ص ٣١٧-٣١٩ .

(٤١) ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٦٧-٦٩ ؛ بهجة الزمن ، ص ١٤ .

(٤٢) الجعدي ، المصدر السابق ، ص ٥٠ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٩١ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٣٠ ؛ غاية الاماني ، ص ٩٨.

(٤٣) ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٣١ .

(٤٤) ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٩٤-٩٥ ؛ بهجة الزمن ، ص ١٦ .

(٤٥) ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ١٠٨ ؛ غاية الاماني ، ص ١١٩ .

(٤٦) الجعدي ، المصدرالسابق ، ص ٥٥ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(٤٧) المصدر نفسه ، ص ١٠٠ ؛ العرشي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٤٨)غاية الاماني ، ص ١١١ .

(٤٩) ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ص ٦٢٩ ؛ ابن خياط ، المصدر السابق :

١/٢٩٤ ، ٣٢٣ ، ٣٧٣ ؛ اليعقوبي ، تاريخ : ٢/٢٣٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٢/١٦٥٢ ؛ الرازي ، المصدر السابق ، ص ٨٨ ، ٢١٤ ، ٣٢٣، ٣٣٢ ؛ ابو محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم ، جمهرة انساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (ط ٤ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م) ص٢٦٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٣/٤٩٦ ، ٥/٢٢٣ ؛ ابن الاثير ، اسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة ، جمعية المعارف المصرية ، ١٢٨٦هـ ، نسخة مصورة بالاوفست ، طهران ـ انتشارات اسماعيليان) : ٤/٤٠١ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ٩١ ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٣٠ .

(٥٠) غاية الاماني ، ص ٩٨ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٣٠ .

(٥١) ابن خياط ، المصدر السابق : ١/٣٧٣ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٢/١٦٥٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٥/٢٢٣ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق، ص١٠٨ ؛ غاية الاماني ، ص١٢١ ، وفيه ان التاريخ هو (سنة ١١٧هـ) وهذا وهم من المؤلف .

(٥٢) التاريخ : ٢/٢٣٤ .

(٥٣) غاية الاماني ، ص ١٠٠ .

(٥٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢/٢٧٧ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٤/٤٠ .

(٥٥) الهمداني ، الاكليل : ٨/١٤٦ .

(٥٦) المصدر نفسه : ٨/١٤٨ ـ ١٤٩ ، ١٨١ ؛ وينظر : ابومحمدعبدالملك بن هشام ، كتاب التيجان في ملوك حمير ، نشر : كرنكو (حيدر اباد الدكن ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م . وقد اعاد طبعه مركز الدراسات والابحاث اليمنية في الجمهورية العربية اليمنية ـ صنعاء ، ١٩٧٩م) ص ٧٣ .

(٥٧) الطبري ، المصدر السابق : ٢/١٢٧٤ (بروايةعمر بن شبة) .

(٥٨) أحمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان (مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩م) ص ٨٤ ؛ وينظر : الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الاسلام الى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي (بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٩م) ص ١٩٩ .

(٥٩) المصدر نفسه، ص٩٩ج ؛ وينظر : الهمداني : صفة جزيرة العرب، ص٥٣ .

(٦٠) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٨٤ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٥/٦٧ـ٦٨ .

(٦١) ابو محمد عبدالله بن عبدالحكم ، سيرة عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق : أحمد عبيد (ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ص ١٢٣ ؛ وينظر : الرازي ، المصدر السابق ، ص ٣٣٢ ، حيث يورد

رواية عن ابن طاووس اليماني الذي يقول : « كان على أبي ضريبة يؤديها في ارضه كل عام اخرجت الارض شيئا او لم تخرجه ... » .

(٦٢) البلاذري ، فتوح البلدان ، ص ٨٤ ؛ وينظر : ابن عبدالحكم ، المصدر السابق ، ص ١٢٣ ؛ اليعقوبي ، التاريخ : ٣٠٦/٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٦٨/٥ ؛ الوثائق السياسية اليمنية ، ص ١٩٦ .

(٦٣) الرازي ، المصدر السابق ، ص ٣٣١ .

(٦٤) المصدر نفسه : ص ٢٩٦–٢٩٧ ، ٣٧٥–٣٧٦ .

(٦٥) المصدر نفسه ، ص ٨٥ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٢١٧ ؛ عمارة اليمني ، المصدر السابق ، ص ٧٢ ، ٧٤ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص ١٠٢ ؛ العرشي ، المصدر السابق ، ص ١٠ .

(٦٦) الرازي ، المصدر السابق ، ص ٣٠١ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢٣٣/٢ — ٢٣٤ .

(٦٧) ينظر : الوثائق السياسية اليمنية ، ص ٢٠٠ التي تنقل نص كتاب عن الخليفة مروان بن محمد الى احد القضاة في اليمن — لم يذكر اسمه — حدد فيه رزقه بثلاثمائة درهم في الشهر ، وخمسين درهما لكل رجل من الذين يعتمد عليهم القاضي في عمله . وفي الكتاب ايضا الزام للوالي بدفع المبلغ دون مراجعة الخليفة ، تحقيقا للعدالة والنزاهة والاستقامة بالنسبة للقضاة . وأصل الكتاب مأخوذ عن مخطوط مجهول المؤلف بحوزة المحقق ، وينظر عن هذا الكتاب ايضا ، ومعلومات عن المخطوط المجهول: محمد بن علي الاكوع ، « دراسة لمخطوطة عن اليمن لمؤلف مجهول » ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الاول ، مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، الجزء الثاني (مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م) ص ٩٥ — ٩٦ .

(٦٨) الرازي ، المصدر السابق ، ص ٣٠٩ ، ٣٠١ ، ٣٢٧ .

(٦٩) المصدر نفسه ، ص ٣٢٢ ، ٣٥٨ .

(٧٠) المصدر نفسه ، ص ٣٩٦ . وينظر هامش التحقيق رقم (٥) .

(٧١) محمد بن حبان البستي ، كتاب مشاهير علماء الامصار ، عني بتصحيحه: فلايشهمر (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩هـ / ١٩٥٩م) ص ١٩٣ .

(٧٢) ابن عبدالحكم ، المصدر السابق ، ص ١٢٤ .

(٧٣) زعيم فرقة الخوارج الازارقة الذين سموا باسمه ، وكانوا من اكثر الفرق عددا واشدهم شوكة : ينظر : لطبري ، لمصدر السابق : ٤٦٥/٢ ، ٥١٤ — ٥١٥ ، ٥١٧ ، ٥١٨ .

(٧٤) ينظر : ابن الاثير : الكامل : ٢٠١/٤-٢٠٢ .

(٧٥) غاية الاماني ، ص ١٠٨ .

(٧٦) ابن الاثير ، الكامل : ٢٠٣/٤ .

(٧٧) المصدر نفسه : ٢٠٤/٤ ؛ وينظر : غاية الاماني ، ص ١٠٨ .

(٧٨) طبقات فقهاء اليمن ، ص ٥٣ .

(٧٩) تاريخ ثغر عدن : ١٠٠/٢ .

(٨٠) الطبري ، المصدر السابق : ١٤٨٧/٢ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ١٤١/٥ (وقد وهم في السنة فجعلها ١٠٨هـ) ؛ غاية الاماني ، ص ١١٩ .

(٨١) ينتسب هؤلاء الخوارج الى عبد اله بن اباض المري التميمي ، وقد ظهر المذهب الاباضي سنة ٦٤هـ/٦٨٣م عندما خالف عبدالله بن ابلض نافع بن الازرق ، واتخذ موقفا اكثر اعتدالا مع الذين يخالونه في المذهب ، ينظر : الطبري ، المصدر السابق: ٥١٨/٢-٥١٩ .

(٨٢) ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني ، الاغاني (بيروت ، نشر صلاح الدين يوسف الخليل ودار الفكر للجميع عن طبعة بولاق الاصلية) : ٩٧/٢٠ ؛ عبدالحميد بن هبةالله المعروف بابن ابي الحديد ، شرح نهج البلاغة (ط١ ، القاهرة ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩هـ) : ١٠٦/٥ - ١٠٧ .

(٨٣) ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم الازدي ، تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة (القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م) ص ٧٧ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ١٩٤٢/٢ - ١٩٤٣ (برواية هارون بن موسى الفروي) ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٩٩/٢ (وهو ينقل عن الطبري برواية هارون بن موسى) ؛ ابن الاثير : الكامل : ٣٥١/٥ .

(٨٤) الازدي ، المصدر السابق ، ص ٧٧-٧٨ .

(٨٥) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٤/٢ (الذي يسمي ابرهة بن الصباح بالحميري) ؛ الطبري ، المصدر السابق : ١٩٨٢/٢ ؛ ابن ابي الحديد ، المصدر السابق : ١٠٨/٥ ؛ وينظر : ابن حزم ، المصدر السابق ، ص٤٢٨.

(٨٦) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٦/٢ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ١١٣/٢٠ ؛ وينظر : صلاح البكري ، تاريخ حضرموت السياسي (ط٢ ، القاهرة ، شركة ومطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي واولاده ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م) : ٧٠/١ .

(٨٧) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤٠٦/٢ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص ١٠١ (وفيه ان عدد رجال طالب الحق هو الف رجل) ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٩٧/٢٠ .

(٨٨) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤٠٦/٢ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١٠١ .

(٨٩) الاصفهاني ، المصدر السابق : ٩٨/٢٠ ؛ غاية الاماني ، ص١٢٤ .

(٩٠) الطبري ، المصدر السابق : ١٩٨١/٢ (برواية هارون بن موسى الفروي) .

(٩١) ينظر : ابن خياط ، المصدر السابق : ٤٠٦/٢ (عشرة آلاف) ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١٠١ (اشار الى سبعمائة ، وعشيرة آلاف) ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٩٨/٢٠ ، ٩٩ (برواية المدائني ، تسعمائة او الفا ومائة) ؛ ابن ابي الحديد ، المصدر السابق : ١٠٨/٥ (الف رجل ؛ غاية الاماني ، ص١٢٥ (الف رجل) .

(٩٢) الزبيري ، المصدر السابق ، ص١٦٦ ؛ ابن خياط ، المصدر السابق : ٤٠٧/٢ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١٠٢ ـ ١٠٣ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ١٩٨١/٢ ـ ١٩٨٣ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٩٩/٢٠ ؛ ابن ابي الحديد ، المصدر السابق : ١٠٨/٥ ـ ١٠٩ .

(٩٣) ينظر عن هذه المعركة : الزبيري ، المصدر السابق ، ص١١٤ ، ٢٥٠ ؛ ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٤/٢ فما بعدها ؛ الإزدي المصدر السابق ، ص١٠٨ ـ ١٠٩ (وهو ينقل رواية خليفة بن خياط) ؛ اليعقوبي، التاريخ : ٣٣٩/٢ ـ ٣٤٠ ؛ الطبري ، المصدر السابق ٢٠٠٦/٢ ـ ٢٠٠٨ ، ٢٠١٢ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ١٠٠/٢٠ ـ ١٠٣ .

(٩٤) الطبري ، المصدر السابق : ٢٠١٢/٢ ، ٢٠١٤ ؛ غاية الاماني ، ص١٢٥ .

(٩٥) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٥/٢ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١١٠ ـ ١١٢ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٢٠١٢/٢ ـ ٢٠١٤ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ١٠٨/٢٠ ـ ١٠٩ ؛ ابن الاثير ، الكامل : ٣٩١/٥ ؛ ابن ابي الحديد ، المصدر السابق : ١٢١/٥ ـ ١٢٣ .

(٩٦) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٦/٢ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١١٣ .

(٩٧) ينظر : غاية الاماني ، ص١٢٤ .

(٩٨) تقع صعدة على بعد ستين فرسخا (اي نحو ٣٦٠كم) الى الشمال من صنعاء ، ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٤٠٦/٣ .

(٩٩) تبالة : بلدة مشهورة على طريق اليمن ، تبعد عن مكة نحو اثنين وخمسين فرسخا (اي حوالي ٣١٢كم) ، ياقوت ، المصدر السابق : ٩/٢ .

(١٠٠) جرش : من مخاليف اليمن من جهة مكة ، ياقوت ، المصدر السابق : ١٢٦/٢ .

(١٠١) ابن خياط ، المصدر السابق : ٤١٦/٢ ؛ الإزدي ، المصدر السابق ، ص١١٣ ـ ١١٤ ؛ الطبري ، المصدر السابق : ٢٠١٤/٢ ؛ المسعودي ،

المصدر السابق : ٣/٢٥٧ ـ ٢٥٨ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٢٠/١١٠ ـ ١١١ ؛ ابن أبي الحديد ، المصدر السابق : ٥/١٢٤ .

(١٠٢) عدن ابين : هي اقدم من عدن ، واليها تنسب عدن ، المقدسي ، المصدر السابق ، ص٨٥ .

(١٠٣) ابن خياط ، المصدر السابق : ٢/٤١٧ ؛ الاصفهاني ، المصدر السابق : ٢٠/١١٣ .

(١٠٤) هناك اربعة اماكن في اليمن تسمى بهذا الاسم ، والمقصود بشبام هنا هو شبام حضرموت ، ينظر : ياقوت ، المصدر السابق : ٣/٣١٨ ؛ الهمداني ، صفة جزيرة العرب ، ص١٦٩ .

(١٠٥) ابن خياط ، المصدر السابق : ٢/٤١٧ ؛ الازدي ، المصدر السابق ، ص١١٤ ؛ وينظر : الطبري ، المصدر السابق : ٢/٢٠١٥ (يقول انه قتل بالجرف) ؛ غاية الاماني ، ص ١٢٦ (قتل بالجوف) .

(١٠٦) الاغاني : ٢٠/١١٤ .

(١٠٧) قارن : البكري ، المرجع السابق : ١/٧١ ـ ٧٢ .

(١٠٨) مروج الذهب : ٣/٢٥٨ .

(١٠٩) ابن خياط ، المصدر السابق : ٢/٤٣٢ ؛ ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص١١٤ ؛ غاية الاماني ، ص١٢٦ .

(١١٠) الوثائق السياسية اليمنية ، ص٢٠١ ـ ٢٠٣ (نقلا عن التاريخ المجهول ، لوحة ١٣٨) .

(١١١) اعتمدت كل من القائمة التي اوردها ابن الديبع في قرة العيون ، ص٨٩ ـ ١١٤ ، ويحيى بن الحسين في غاية الاماني ، ص٩٨ ـ ١٢٦ ، اساسا لهذا الجدول ، واضيف اليهما ماذكر من اسماء في المصادر الاخرى .

(١١٢) يشير ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٣١ ان معاوية عين بعد بشير بن سعيد الاعرج رجلا من اهل الجند اسمه سعيد بن داود ، اقام واليا لمدة تسعة اشهر ، ثم توفي ، فبعث معاوية الضحاك بن فيروز الديلمي .

(١١٣) يذكر ابن الكلبي ، المصدر السابق ، ص٦٢٩ ، ان معاوية بن ابي سفين عين الصحابي معن بن فضالة بن عبيد على اليمن ؛ ولا يوجد ما يشير الى الفترة التي عين فيها ، او ترتيبه بين بقية الولاة ؛ ينظر ايضا : ابن الاثير ، اسد الغابة : ٤/٤٠١ .

(١١٤) ورد ذكر خالد بن الزبير بدلا من عبيدة بن الزبير ، ينظر : الجعدي ، المصدر السابق ، ص٥٢ ؛ ابن حزم ، المصدر السابق ، ص١٢٢ .

(١١٥) اشارت المصادر الى اسماء ولاة آخرين تولوا اليمن في عهد ابن الزبير ، وهم :
خلاد بن السائب الانصاري : الجعدي ، المصدر السابق ، ص٥٢ ؛ ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٠٠ .
عبداله بن مغيث بن ذي الترحم : الهمداني : الاكليل : ٢/٢٣٧-٢٣٨ ؛ وقد ذكر الجعدي ، المصدر السابق ، ص٥٢ من مقرى اسم والده هكذا : مغيث بن ذي (الترخم) ، كما اشار اليه ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٠٠ ب (معتب بن ذي الرحم) .
ابو النجود مولى عثمان : الجعدي ، المصدر السابق ، ص٥٢ ؛ واشار اليه ابو مخرمة ، المصدر السابق : ٢/١٠٠ باسم (ابو الجنوب) .
(١١٦) لاتوجد معلومات ثابتة بشأن مدد اقامة بقية ولاة ابن الزبير في اليمن .
(١١٧) هناك عدم اتفاق بالنسبة لولاية ايوب بن يحيى الثقفي ، فتشير بعض المصادر الى توليه بعد وفاة محمد بن يوسف في أواخر ايام الخليفة عبدالملك بن مروان ، وبقائه على اليمن طيلة أيام الخليفة الوليد : ابن الديبع ، المصدر السابق ، ص١٠١ - ١٠٢ ؛ غاية الاماني ، ص١١١ . في حين اغفل ولايته ابن خياط ، المصدر السابق : ١/٣٠٦ ، واشار الى ان الوليد اقر محمد بن يوسف الى نهاية حكمه . اما الرازي ، المصدر السابق ، ص٨٨ ، ٢١٤ ، ٣٢٣ ، فيشير الى أن ايوب بن الحكم تولى صنعاء خمس سنين في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك .
(١١٨) ورد عند الاماني ، ص١٢٣ باسم : الضحاك بن واصل - السكسكي ، واشار اليه ابا خياط ، المصدر السابق : ١/٣٨٤ باسم : الضحاك بن زمل .

* * *

جريدة المصادر والمراجع

اولا ـ المصادر الاولية :

* ابن الاثير ، ابو الحسن عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم (ت ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .

١ ـ اسد الغابة في معرفة الصحابة ، القاهرة . جمعية المعارف المصرية ، ١٢٨٦هـ ، نسخة مصورة بالاوفست ـ طهران ـ انتشارات اسماعيليان .

٢ ـ الكامل في التاريخ، بيروت، دار صادر، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م.

* الازدي ، ابو زكريا يزيد بن محمد بن اياس بن القاسم (ت٣٣٤هـ/٩٤٥م).

٣ ـ تاريخ الموصل ، تحقيق : علي حبيبة ، القاهرة ، المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* الاصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ/٩٦٦م) .

٤ ـ الاغاني ، بيروت ، نشر صلاح الدين يوسف الخليل ودار الفكر للجميع عن طبعة بولاق الاصلية ، ١٣٩٠هـ/١٩٧٠م.

* بن اعثم ، ابو محمد احمد بن اعثم الكوفي (ت نحو ٣١٤هـ/٩٢٦م) .

٥ ـ الفتوح ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، ١٩٨٦م .

* البلاذري ، احمد بن يحيى بن جابر (ت ٢٧٩هـ/٨٩٢م) .

٦ ـ انساب الاشراف، تحقيق : محمد باقر المحمودي، بيروت مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م ، ج٢ .

٧ ـ فتوح البلدان ، تحقيق : رضوان محمد رضوان ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٥٩ .

* الجعدي ، عمر بن علي بن سمرة (ت بعد ٥٨٦هـ / ١١٩٠م) .

٨ ـ طبقات فقهاء اليمن ، تحقيق : فؤاد سيد ، القاهرة ، مطبعة السنة المحمدية ، ١٩٥٧م .

* ابن حبان ، محمد بن حبان البستي (ت ١٥٤هـ/٩٦٥م) .

٩ ـ مشاهير علماء الامصار ، عنى بتصحيحه م . فلايشهمر ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

* ابن ابي الحديد ، عبدالحميد بن هبةالله بن محمد (ت٦٥٦هـ/١٢٥٨م .

١٠ ـ شرح نهج البلاغة ، ط١ ، دار احياء الكتب العربية ، ١٣٧٩هـ/١٩٥٩م .

* ابن حزم ، ابو محمد علي بن احمد بن سعيد الاندلسي (ت٤٥٦هـ / ١٠٦٣ - ١٠٦٤م) .
١١ - جمهرة انساب العرب ، تحقيق : عبدالسلام محمد هارون ، ط٤ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٧م .

* ابن الحسين ، يحيى بن الحسين بن القاسم بن محمد بن علي (ت ١١٠٠ هـ / ١٦٨٩م) .
١٢ - غاية الاماني في اخبار القطر اليماني ، تحقيق : سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر ، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨ م .

* ابن خياط ، ابو عمر خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ/٨٥٤م) .
١٣ - تاريخ خليفة بن خياط ، تحقيق : أكرم ضياء العمري ، ط٢ ، النجف ، مطبعة الآداب ، ١٣٨٦هـ/١٩٦٧م .

* ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي (ت٩٤٣هـ/١٥٣٦م) .
١٤ - قرة العيون بأخبار اليمن الميمون ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٩٢هـ / ١٩٧١ م .

* الرازي ، احمد بن عبدالله الرازي الصنعاني (ت ٤٦٠هـ/١٠٦٨م) .
١٥ - تاريخ مدينةصنعاء ، تحقيق : حسين عبدالله العمري وعبدالجبار زكار ، ط١ ، صنعاء ، ١٩٧٤م .

* الزبيري ، ابو عبدالله المصعب بن عبدالله بن المصعب (ت ٢٣٦هـ/٨٥٠م) .
١٦ - نسب قريش ، نشر : ليفي بروفنسال ، ط٢ ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٧٦ م .

* الطبري ، ابو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م) .
١٧ - تاريخ الرسل والملوك ، نشر : دي غوية ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٧٩ - ١٩٠٣م .

* ابن عبدالحكم ، ابو محمد عبدالله (ت ٢١٤هـ/٨٢٩م).
١٨ - سيرة عمر بن عبدالعزيز ، تحقيق : احمد عبيد ، ط٥ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٧م .

* العرشي ، القاضي حسين بن أحمد (كان حيا في سنة ١٣١٨هـ/١٩٠٠م).
١٩ - بلوغ المرام في شرح مسك الختام ، نشر : الاب انستانس ماري الكرملي ، القاهرة ، مطبعة البرتيري ، ١٩٣٩ .

* عمارة اليمني ، نجم الدين عمارة بن علي اليمني (ت ٥٦٩هـ/١١٧٣م) .

٢٠ ـ تاريخ اليمن المسمى المفيد في اخبار صنعاء وزبيد وشعراء ملوكها واعيانها وادبائها ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، ط٣ ، دون مكان ، مطبعة العلم ١٩٧٩م .

* ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م) .
٢١ ـ جمهرة النسب (رواية السكري عن ابن حبيب) ، تحقيق : ناجي حسن ، بيروت ، عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية ، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م .

* ابو مخرمة ، ابو محمد عبدالله الطيب بن عبدالله بن ابي احمد (ت ٩٤٧هـ / ١٥٤٠م) .
٢٢ ـ تاريخ ثغر عدن ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٣٦م أعادت طبعة بالاوفست مكتبة المثنى ، بغداد .

* المسعودي ، ابو الحسن علي بن الحسين بن علي (ت٣٤٦هـ/٩٥٧م) .
٢٣ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر ، تحقيق : محمد محي الدين عبدالحميد ، ط٥ ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٩٦٧م .

* المقدسي ، ابو عبدالله محمد الشافعي المقدسي البشاري (ت٣٨٧هـ/٩٩٧م).
٢٤ ـ احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، ط٢ ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٩٠٦م .

* ابن هشام ، ابو محمد عبدالملك (ت٢١٨هـ / ٨٣٣م) .
٢٥ ـ كتاب التيجان في ملوك حمير ، نشر : كرنكو ، حيدر أباد الدكن ، ١٣٤٧هـ / ١٩٢٨م ، اعاد طبعة مركز الدراسات والابحاث اليمنية ، الجمهورية العربية اليمنية ، صنعاء ، ١٩٧٩م .

* الهمداني ، ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب (ت نحو ٣٥٠هـ/٩٦١م).
٢٦ ـ الاكليل ، ج٢ ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠ ، ج٨ ، تحقيق نبيه أمين فارس ، دار العودة ، صنعاء ـ دار الحكمة ، من دون تاريخ ، ج١٠ ، تحقيق : محب الدين الخطيب ، القاهرة ، المطبعة السلفية ، ١٣٦٨هـ .

٢٧ ـ صفة جزيرة العرب ، تحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، بغداد ، دار الشؤون الثقافية العامة ، ١٩٨٩م .
٢٨ ـ الوثائق السياسية اليمنية من قبيل الاسلام الى سنة ٣٣٢هـ ، جمع وتحقيق : محمد بن علي الاكوع الحوالي ، بغداد ، دار الحرية للطباعة ، ١٩٧٦م .

* ياقوت ، ابو عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي (ت ٦٢٦هـ/١٢٢٩م) .
٢٩ ـ معجم البلدان ، بيروت ، دار صادر ، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.
* اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب بن واضح الكاتب (ت٢٨٤هـ/٨٩٧م) .
٣٠ ـ تاريخ اليعقوبي ، بيروت ، دار صادر ، توزيع دار صعب ، من دون تاريخ .
٣١ ـ كتاب البلدان ، منشور مع كتاب الاعلاق النفيسة لابن رستة ، ليدن ، مطبعة بريل ، ١٨٩٢م .
* اليماني ، تاج الدين عبدالباقي بن عبدالمجيد (ت ٧٤٣هـ/١٣٤٣م) .
٣٢ ـ تاريخ اليمن المسمى بهجة الزمن في تاريخ اليمن ، تحقيق: مصطفى حجازي ، القاهرة ، مطبعة مخيمر ، ١٩٦٥م .

ثانيا ـ المراجع الثانوية :

* الاكوع ، محمد بن علي الاكوع الحوالي .
٣٣ ـ « دراسة لمخطوطة عن اليمن لمؤلف مجهول » ، دراسات تاريخ الجزيرة العربية ، الكتاب الاول ـ مصادر تاريخ الجزيرة العربية ، ج٢ ، مطبوعات جامعة الرياض ، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
* البكري ، صلاح .
٣٤ ـ تاريخ حضرموت السياسي ، ط٢ ، القاهرة ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ١٣٧٥هـ / ١٩٥٦م .
* الحديثي ، نزار عبداللطيف .
٣٥ ـ اهل اليمن في صدر الاسلام ، بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٨ م.
* الشجاع ، عبدالواحد عبدالرحمن .
٣٦ ـ اليمن في صدر الاسلام ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.
* محمود ، حسن احمد .
٣٧ ـ تاريخ اليمن السياسي في العصر الاسلامي ، بغداد ، دار الجاحظ ، ١٩٦٩م .

اضـــواء على
انتفاضـة الموصـل المنسيـة
سنـة ١٨٣٩

الاستاذ الدكتور عماد عبدالسلام رؤوف
كليـة التربيـة (ابن رشد)
جامعـة بغـداد

عاش المشرق العربي ، إبّان اعادة الحكم العثماني المباشـر اليه فـي الثلث الاول من القرن التاسع عشر منعطفاً مهماً في تاريخ تطوره السيـاسي والحضاري العام ، تمثّل بزوال حكوماته المحلية شبه المستقلـة عن الادارة العثمانية المركزية ، ومن ثم ضياع آخر أمل له بالاستقلال ، ونتيجة لانفتـاح البلاد على التجارة الرأسمالية الاوربية ، قُضي على امكانات تطورها الاقتصادي المستقل ، ومُهّد الطريق لهيمنة اقتصادية أجنبية متزايدة ، سرعان ما اتّخذت بُعداً سياسياً ملحوظاً واقترنت بجملة من الظواهر الاجتماعية المعقدة .

ومن ناحية أخرى ، شهد المشرق العربي قيام دولة محمد علي فـي مصر، بما تمثله من روح عصرية جديدة ، ووصول الجيش المصري بقيادة ابـراهيم باشا بن محمد علي الى بلاد الشام ، واحرازه الانتصارات السريعة على القوات العثمانية ليضـم هذه البـلاد الى مصر في دولة واحـدة كما كانتا في معظم حقب التاريخ . ومن الطبيعي أن تؤدي تلك المتغيرات الجديدة الـى بعـث الأمل لدى الفئات العراقية المعارضة لاعادة الحكم العثمانـي المباشر ، للتخلص من السيطرة العثمانية . وهكذا فقد شهدت مدن العراق قيـام انتفـاضات شعبية متعددة ، عبّرت في واقع الامر عن رفض السكّان عودة السـيطرة المباشرة على مدنهم ، بما تعنيه من أبعاد سياسية واقتصادية واجتماعية مختلفة،

وقد بلغ من عنف هذه الانتفاضات وامتدادها انها كادت ـ في بعض اللحظات ـ أن تقضي على الوجود العثماني نفسه ، أو أن تحرجه الى حدٍ كبير ، كما تدل مجرياتها على اختصاصها بقيادات ذات تجربة وبأس ، وحسن تقدير للمواقف السياسية عهد ذاك . ففي بغداد شبّت الثورة في الجانب الشرقي في ٢٧ ذي الحجة ١٢٤٧ (آخر أيار ١٨٣٢م) بزعامة مفتي المدينة عبدالغني آل جميل[١] . وتشير التقارير الى ان نصف أهل بغداد كانوا في ثورة على واليها علي رضا باشا اللاظ (١٢٤٧ ـ ١٢٥٨هـ / ١٨٣١ ـ ١٨٤٢م[٢] ولم يتم القضاء على هذه الثورة الا بعد قصف مراكزها بالمدفعية والتنكيل بالثوار وحرق دورهم[٣] ، ولم تكد الثورة تنتهي حتى نشبت ثورة أخرى في الجانب الغربي من بغداد ، قامت بها عشيرة عقيل النجدية التي سبق أن اتفق بعض زعمائها مع القيادة المصرية في الشام ، ونجح علي رضا في القضاء على الثورة بعد استعمال مدفعيته مرة أخرى[٤] . وفي البصرة شكّل الثوار قيادة جديدة تحت زعامة عزيز أغا متسلم المدينة السابق ، وحاول الاخير لازاحة علي رضا باشا عن حكم بغداد بالقوة[٥] ، الا ان محاولته لم تنجح بسبب الاوضاع الدولية[٦] .

تدل الاشاعات التي انتشرت بين الناس في تلك الآونة على مدى ضعف السلطات العثمانية ، وحراجة موقف علي رضا ، فقد أشيع انه اعتصم بقلعة بغداد[٧] ، وانه فرّ من المدينة[٨] وانه لقي مصرعه[٩] ، وان أهل بغداد عزلوا الوالي الذي نصبته الدولة العثمانية عليهم وعينوا مكانه والياً من بينهم ابرازا لميلهم الى مصر[١٠] . ولم تقتصر الثورة على المدن الرئيسية فحسب ، وانما امتدت الى ما سواها من المدن والقصبات ، فأظهر متسلم « عانه » طاعته للحكومة المصرية ، وأعلنت « هيت » انضمامها الى جانب مصر[١١] ، فزاد ذلك من حراجة الموقف العثماني في بغداد ، حتى قيل أن «كل البلاد الواقعة بين بغداد وحلب منتظرون لقدوم العساكر المصرية المنصورين[١٢] ، وأكد ذلك التقرير الذي رفعه قنصل انكلترا في بغداد

وفيه «ان هذه الولاية هي الآن في أشد حالات البؤس والضيق تحت حكم علي باشا ، وأنظار الشعب العربي متجهة في المحبة نحو ابراهيم (يريد : ابراهيم باشا قائد الجيوش المصرية في الشام[١٣] » .

وفي الموصل ، كانت الأسرة الجليلية التي حكمت الموصل مدن قرن تقريبا[١٤] ، تتحين الفرص لاسترجاع حكمها بعد أن أودت السياسة العثمانية المركزية بحكم آخر ولاتها يحيى باشا الجليلي ، وقد أقام الأخير في حلب متابعاً أخبار تقدم الجيش المصري وهزائم العثمانين ازاءه ، ويظهر ان اتفاقاً قد جرى بينه وبين القيادة المصرية ، بوساطة حليفه الشيخ صفوك الفارس شيخ مشايخ قبيلة شمر الجربا ، اذ ما أن قارب ابراهيم باشا دخول حلب ، حتى غادرها يحيى باشا متجها مع حليفه صفوك نحو الموصل ، وكانت المدينة تعيش فترة قلق واضطراب آنذاك بسبب عجز الدولة العثمانية عن حمايتها ازاء الاخطار المجاورة[١٥] ، وتشير بعض الوثائق الى انه «استولى على الموصل بمساعدة بعض سكانها[١٦]» مما دل على وجود كتلة ، أو حزب ، مؤيدة له في الثورة على الدولة العثمانية . وان هذا الحزب كان من القوة بحيث لم يبق في يد المتسلم المنصوب من قبل علي رضا الا "خي" واحد فقط ، وهو قريب من السقوط . وان يحيى باشا أعلن بصراحة انه يحكم الموصل بأمر من دولة ابراهيم باشا لا بأمر من الدولة العثمانية[١٧] . واذ يذكر الوكيل السياسي البريطاني في بغداد الكرلونيل تايلر Taylar انه كان في الموصل حزب قد اخذ جانب مصر ، فمن الراجح أن يكون هذا الحزب هو الذي استند اليه يحيى باشا في فرض سيطرته على المدينة . ولم يستطع العثمانيون القضاء على حكمه الا بعد اتباعهم سياسة اشغال حليفه صفوك في نزاعات قبلية مستمرة[١٩] ، وبعزله تم لهم القضاء على آخر الحكومات المحلية شبه المستقلة في العراق ، وفرضهم الادارة المباشرة عليه .

وكنا لانعم مصير هذا الحزب المؤيد لزعامة الجليليين ، وللادارة المصرية

في الشام ، بعد انتهاء حكم يحيى باشا الجليلي ، حتى وقفنا على وثيقة مهمة تتضمن تقريراً سرياً بعث به أحد ضباط الجيش المصري الى ابراهيم باشا في الشام سنة ١٢٥٥هـ/١٨٣٩م تحدث في بعض فقراته على أنتفاضة كبيرة قام بها الموصليون في تلك السنة . وقد جاء في ذلك التقرير ما يأتي[٢٠] : —

« .. جواب الشيخ الموما اليه (هو حمود جسّار) الاول بخصوص علي باشا (اللاظ) فانه بتاريخ ٢٥ص (صفر) ١٢٥٥ قد وكل بغداد فريق باشا[٢١] وملا علي[٢٣] ، وهو توجه الى الموصل بينه وبين بغداد مقداد اثني عشر يوما ، ومعه من العساكر مقدار سبعة آلاف من الجهادية وغيرهم ، وكان وصوله في ثاني من ربيع الاول ، وحصل بينه وبين أهل الموصل وقعة ، فقتل من أعيانهم اثنان وسبعون شخصاً وسيَّر من العلماء سبعة الى نواحي البصرة ، من دون ذنبٍ غير أنه يخبر على أنهم كاتبوا سعادة أفندينا ابراهيم باشا ومبغضين الينا ... » .

فهذا النص يكشف عن أن (الوقعة) المذكورة لم تكن — في حقيقة الامر — الا انتفاضة شعبية عارمة ، شارك فيها عدد كبير من أعيان المدينة وزعمائها ، لانه ليس مألوفا أن يُعدَم هذا العدد الكبير منهم ما لم تكن قد شملت المدينة بأسرها ، وباتت تهدد الوجود العثماني هناك نفسه .

وتدل معاقبة العلماء بنفيهم الى البصرة ، على مشاركتهم الفعلية في حوادث الانتفاضة ، اذ لولا تلك المشاركة وجدّيتها لما تعرضوا الى النفي والتبعية . ولقد حاول والي الموصل العثماني تطبيق التجنيد الاجباري[٢٣] ، مستهدفاً تحقيق أمرين معا ، أولهما زيادة القوات العثمانية المتجهة لاسناد الجهد العسكري الرئيس في أعالي الفرات ضد الجيش المصري بقيادة ابراهيم باشا ، وثانيهما التخلص من القيادات الموصلية السابقة ، والمؤيدة لحكم الجليليين ، وضرب زعامتها بالقضاء على تشكيلاتها العسكرية ، فكان ذلك كله من الاسباب التي أدت الى سرعة انتشار الانتفاضة وعنف مواقفها من السلطة المذكورة .

كما يكشف التقرير أيضا عن أن زعامة الانتفاضة كانت تتصل سراً ، بواسطة الرسل ، بقيادة ابراهيم باشا بغية تنسيق المواقف بينهما ، وهذا يدل على أنه كان للزعامة المذكورة تقديرها للظروف الخارجية ورغبة في توظيف الظروف لصالحها • وفي الواقع فان توقيت الانتفاضة نفسه يدل على دقة هذا التنسيق ، فهي قد حدثت في أواسط شهر صفر سنة ١٢٥٥هـ الموافق لاوائل آيار من سنة ١٨٣٩م ، وفي هذا التاريخ كان ابراهيم باشا في حلب يهيء قواته العسكرية وحلفاءه من القوى المحلية العربية للقاء العثمانيين في تزيب (في الغرب من بيره جك) حيث دارت ، بعد أقل من شهرين[٢٤] ، المعركة الشهيرة المنسوبة الى هذا المكان (٢٤ حزيران ١٨٣٩م) • وبالنظر لقرب الموصل من حلب ، ووجود قوى حليفة فيها لها تجربة سابقة في الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الاخيرة ، فان من المعقول أن يكون ثمة اتصالات قد جرت بين القيادة المصرية في حلب ، وزعامة الانتفاضة في الموصل لتوقيت القيام بتلك الانتفاضة ، على ما يشير اليه التقرير المذكور ، احراجا للموقف العسكري العثماني بوجه عام •

واذا كان هذا التقرير قد كشف ، على سبيل الاجمال ، عن حدوث الانتفاض على الحكم العثماني أيام ولاية يحيى باشا الجليلي الاخيرة ، فان فان كثيراً من تفاصيلها بقيت غير معروفة ، تحتاج الى مزيد من البحث والتقصي • وكان من حسن التقدير أننا وقفنا ، في أثناء بحثنا عن وثائق بعض الاسر الموصلية القديمة ، على نبذة تاريخية مخطوطة ، ذات سمة أسرية ، بعنوان « تاريخ آل السَّراج في الموصل » نقلها السيدمحمد بن داود السراج في سجل كبير يحتفظ به في داره في مدينة الموصل[٢٤أ] ، فاذا بها تتضمن تفاصيل مهمة لم تعرف من قبل ، عن هذه الانتفاضة الشعبية • وقد عزز السيد محمد بن داود هذه النبذة بتوضيحات مهمة ، مما يحفظه ، بقوة حفظ ملحوظة ، عن أسلافه ، وعند دراسة هذه النبذة والروايات المكملة لها تأكدت لنا أهميتها بوصفها تلقي ضوءاً جديدا على تلك الانتفاضة .

تـدور معطيات النبذة حول شخصية قائد الانتفاضة ، أو أحـد أبـرز قادتها ، وهو عبدالكريم بن سَبْتي بـن مُحسن ، وكان سبتي هذا شيخا على فخذ البـو حَمَد أحد، فرعي قبيلة الخزاعل في القرن التاسع عشـر ، وتشير شجرة نسب الخزاعل الى أنه ابن مُحسن بن محمد بن حمد بن عَبّاس بـن محمد بن مُهنا[٢٥] ، وأكثر آبنائه تولى مشيخة عشيرته ، جيلاً من بعد جيل ، يوم كانت تسيطر على جميع الاراضي الواقعة في الجهـة اليسرى من فـرات الديوانية (صوب الجزيرة) أيام عمرانها ، وقـد تولى هو رئاسة عشيرتـه ، بصورة رسمية ، سنة ١٢١٢هـ (١٧٩٧م)[٢٦] في حياة عمه حمد الحمود شيخ الخزاعل ذائـع الصيت • وبينما تذكر بعض المصـادر الخطية ان لسبتي ولداً اسمه طاهر[٢٧] ، تشير النبذة الخطية الـى ان له ابنـاً آخر هو عبدالكريـم المذكـــور[٢٨] •

وفي الوقت الـذي يشـير فيه مؤلف غير معروف الى « أن سبتي لقـى مصرعه غريقاً في نهر المسرهد (الغرّاف) سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) عندما كـان في حـرب على قبيلة المنتفق[٢٩] ، تصرح النبذة بأنه توفي في الموصل سـنة ١٢٤٣هـ ١٨٢٧م • وسبب هـذا الاختـلاف ، على ما يوضحـه السيد محمد بن دلود راوياً عن أبيه ، أن سبتي توجه بجيشه القبلي في أثناء المعركـة التي حدثت بين المنتفـق والعثمانيين ، الى مساندة المنتفق ، وهناك حوصر من قبل القوات العثمانية النظامية والقوات القبلية المساندة لها ، فاضطـر الى القـاء نفسه بفرسـه الى نهر المسرهد (الغراف) مما أدى الى غرق الفرس ، وعنـد بحث الخزاعل عنه وجدوا فرسه ميتة على شاطىء النهـر ، فظنوا انه غـرق • أما سبتي نفسه فانه نجا من الموت ليقع أسـيراً بأيدي القـوات العثمانيـة ، فأبعدته السلطات العثمانية الى الموصل حيث سُجن هناك نحو أحد عشر عاماً والتحق به ، في تلك الاثناء ، ولده عبدالكريم وأمه ، وكانت الاخيرة من قبيلة العبيد النازلة قرب الموصل آنذاك ، فأقامت وولدها في منازلهم •

وصادف أنه كان في صحبة سَبْتي ، في سجنه ، أحد شيوخ العبيد الثائرين ، وهو حسين آل هندي : زعيم حمولة آل هندي احدى حمائل فخذ البو شاهر من أفخاذ قبيلة العبيد[٣٠] . فتوسط الاخير ، بعد أن أطلق سراحه ، لدى السلطات العثمانية لكي تعفو عن سبتي ، وتم ذلك بالفعل سنة ١٢٣٩هـ (١٨٢٣م) أي بعد أن قضى في السجن نحو أحد عشر عاما . ولم تمض الا أربع سنين حتى توفي ، فدفن في جامع إمام ابراهيم ، أحد جوامع مدينة الموصل القديمة[٣١] .

عاش عبدالكريم في كنف أخواله من ألبو شاهر العبيدين حتى بلغ رشده ، فتزوج من احدى بنات خاله ، فأنجبت له طفلاً واحداً يدعى (جاسم) وسكن هو في مدينة الموصل ، في محلة من محالها تعرف بالمكاوى[٣٢] ، وهناك اشتهر امره ، وذاعت بين الناس أخبار كفاءته وشجاعته ، فاختاره أهل المحلة شيخاً لهم ، على الرغم من أنهم كانوا من عشائر مختلفة ، أهمها الزِّهَيْرات والشَّهْوان والبو حَمْدان والبَدُش وغيرهم .

وكانت محلة المكّاوي تُعد واحدة من المحلات التي أُتخذت ، منذ القرن الثامن عشر موطناً لاحدى أكبر فرقتين انكشاريتين في الموصل ، وهي الفرقة السابعة والعشرون ، المعروفة بالتركية باسم (يگرمي يدي)[٣٣] . وبموجب ما أصاب نظام الانكشارية نفسه من تغير ، وانقطاع امداده بالجند الجديد منذ زمن بعيد ، فقد أصبح منتسبو هذه الفرق هم أهل المحلات التي توجد فيها حصراً ، بمعنى ان الفرق لم تعد تمثل الا مصالح السكان أنفسهم من تجار وحرفيين وأصحاب المهن الاخرى . ومن هنا يفهم سبب ولائها لزعامة الجليليين المحلية طيلة قرن كامل من الزمن ، ولم يؤدي الالغاء الرسمي لنظام الانكشارية سنة ١٢٤١هـ (١٨٢٥م) الى زوال أسماء هذه الفرق ، وانما ظلت لحين تمثل القوى المسلحة لابناء المحال التي كانت تتشكل منها . وهكذا فقد عُدّ عبدالكريم بن سَبْتي بموجب زعامته لأهل محلته ،

زعيما للفرقة (يگزمي يـدي) ايضا ، واذ كان لكل فرقة ، أو محلة ، عَلَمُها الخاص ، أصبح عبدالكريم يسمى (بيرقدارا) فهو زعيمها وحامـل رايتها في أثناء الملمات ، وممثلها لدى القوى الأخرى .

وفي الواقع فان لهذه الفرقة تراثها العسكري الحافل في اسنادها لزعامة الجليليين ، ومن المرجح أن تكـون هي التي أستدت يحيى باشا الجليلي عند استعادته حكـم الموصـل ممثلا ابراهيم باشا بن محمد علي سنة ١٢٤٩هـ / ١٨٣٤م ، وعرفتها الوثائـق البريطانية المعاصرة ، لذلك السبب ، بحزب مصر . فمن الطبيعي أن تكون محلة المكاوي وجوارها من محـلات الميـدان ورأس الكور حيث يستقر زعماء الفرقة المذكورة والفرق المتحالفة معها ، مؤهلـة للقيام بالثورة كلما سنحت لها الفرصة ، فاذا أضفنا الى تلك الاسباب العامة ، الاسباب الشخصية المتمثلـة بموقف عبدالكريم والـده سبتي واخواله من العبيد المناوىء للوجود العثماني ، يكون من المفهوم لِمَ كانت هذه المحلات قاعدة الانتفاضة ومقر قيادتها ومنطلقها في الوقت نفسه .

وتعد محلات المكـاوي وراس الكور والميدان وإمـام ابراهيم الجزء الاكثر كثافة وأهمية من محلات الموصل في القرن التاسع عشر[٣٤] ، ويتميـز موقعها بأنه يحتل معظم شاطىء دجلـة ، وهو ما يعني توفر طـرق مواصلات جيدة لها ، كمـا أنها تقـع قرب سـراي المدينة حيث لاتفصـل بـين هذه المؤسسة والنهر سـوى محلة الميـدان ، وتكتظ هذه المحـلات بالأزقـة (العَوْجات) الضيقة ، التي تسهل السيطرة على مداخلها عند الملمات ، واذا أضفنا الى ذلك كله ، ارتفاعهـا النسبي عن مستوى سطح المدينة ، ومـن ثم اشرافها على أكثر المحلات الأخـرى ، تبين لنا أهميـة ان تكون هذه المحلات منطلقا لانتفاضية شعبية مسلحة عنيفة تشارك فيها فئات عديدة من السكان .

واذ سكت التقرير السري المنوه به آنفا عن أسماء قادة الانتفاضة فـان النبذة الخطية تنوه بوجود زعامات اخرى ، اضافة الى عبدالكريم بن سبتي ،

منها وجال من آل فوح ، وهم فرع من حمولة آل الهندي من أليو شاهر العبيديين الذين كانوا يسكنون محلة رأس الكور الواقعة الى الجنوب من المكاوي وتربطهم بعبدالكريم صلة المصاهرة • ونحن نعلم أن حسين الهندي كان ثائرا في وجه العثمانيين منذ وقت سابق ، وانه كان مسجوناً في سجن الموصل يوم جيء بعبدالكريم اليه سنة ١٢٢٨هـ (١٨١٣م) ولكننا لانعلم تاريخ ثورته وماهية أسبابها • ومن المحتمل انه اعتقل في أثناء الاضطرابات المسلحة التي صاحبت السنين الاخيرة من حكم الجليليين ، والتي كان من أسبابها محاولة السلطة العثمانية القضاء على هذا الحكم وضرب القوى المساندة له[٣٥] •

ولما كنا نعلم بوجود عشائر أخرى كانت تقيم في هذه المحلات منها الشكهوان والبو حمدان والبدش ، سبق لها أن أيدت زعامة عبدالكريم بن سبتي ، فان من المنطقي أن زعماء هذه العشائر كانوا يعدون زعماء لهذه الانتفاضة أيضاً • ويدل قيام السلطة العثمانية باعدام (٧٢) وقهي (٧) من زعمائها على سعة الانتفاضة وضخامة عدد المشاركين فيها •

وليس من المحدد الاسباب التي ادت الى فشل هذه الانتفاضة الكبيرة ، غير القسوة الشديدة التي واجهتها بها السلطة العثمانية ، وهي قسوة بلغت حد استخدام المدفعية والجيش النظامي نفسه ، وفي ذلك يقول القس (المطران) سليمان الصائغ :

« انه لما ثارت أهالي الموصل وأبوا قبول القانون العسكري وتنفيذه أرسل اليهم أحد أعوانه يدعى قاسم أفندي ليدعوهم الى الطاعة ويقنعهم في الاذعان الى القانون العسكري ، فلما أقبل رسوله الى الاهالي ثاروا عليه وقتلوه ، فأحضر محمد باشا (اينجه بيرقدار والي الموصل آنذاك) عشرين مدفعاً صوبها على المدينة ، ثم ارسل عليها بعض الكتائب النظامية فدخلوها ونهبوا أسواقها وسفكوا دماء أبرياء كثيرين ، ثم امسك بعضاً

من وجوهها وأرسلهم نفياً الى البصـرة[٣٦] » والـذي نراه أن مسألة رفض القانون العسكري لم تكن الا غطاء أرادت به السلطة تغطيـة الاسبـاب الحقيقية للانتفاضة ودوافعها الكامنـة في المجتمـع الموصلي ، وفي الظروف الدولية على حد سواء • ولقد أدرك محمد باشا اينجه بيرقدار هذه الحقيقة ، وهو ما يفسر قسوته وبطشه بالابرياء ، من غير المؤهلين لأداء الخدمة العسكرية أصلاً ، ومن المؤسف أننا لانملك معلومات عن الاشخاص الذين قتلـوا أو نفوا ، باستثناء واحد منهم ،هوعبدالكريم بن سبتي نفسه ، لأن النبذة الخطية تشير صراحة الى أنه « اعتقـل في تلك المعركة وأصبح في قبضة الأتراك ولم نعرف ما جـرى له بعدها ، لأنهم أخذوه الى اسطنبول » وفي هـذه المدينة ، تضيع أخبار عبدالكريم وينسى أمره فلا نعلم ما اذا كان قد سُجن ، أو أُعدم، وعلى أية حال فانه لم يعد الى الموصل مرة أخرى •

وعلى الرغم مما كان يبدو من توقف الانتفاضة ، والقضاء على زعمائها، فان جمرها لبث متقدا في النفوس جيلاً آخر • من ذلك ان حفيداً لعبدالكريم بن سبتي ، هو أسعد بن جاسم[٣٧] ، ورث زعامة محلتـه وتأييـد أهلها ، فاختاروه بيرقدارا ، أي حاملاً للوائها ، واتفق الاخير مع رفاق له ، منهـم محمد آل الياس الزهيري ، من عشيرة الزهيرات التي تسكن الموصل ، وكان هذا (بيرقداراً) هو أيضاً لمحلته ، فعرف الثوار ، من ثم ، بالبيرقدارية نسبة اليهما ، بيد أن خبر التكتل الجديـد تسرب الى أسماع السلطـة العثمانية ، فأرسلت قوة عسكرية حاصرت مساكن الثوار ، وتم القاء القبض على أسعد « وجماعة البيرقدارية » وألقوا بهم في السجن ، وكان منهم محمـد آل الياس الزهيري ، فتمكن الاخير من الفرار بنفسه من السجن • بينمـا بقي أسعد وجماعته في سجنهم ، وحكم على أسعد بالاعدام ، فنفذ شنقاً ، أما رفاقه فقد حكم عليهم بالسجن • وبهذا انتهت آخر الانتفاضات التي قـام بها الموصليون ابان العصـر العثماني •

الهـــوامش

(١) عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ١٤/٧ .

(٢) دار الوثائق القومية والتاريخية بالقاهرة ، محفظة ٢٣٨ عابدين ، وثيقة رقم ٦٨ تقرير لوحيد افندي عن يوم ٨ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ / ٤ تشرين الاول ١٨٣٢م .

(٣) العزاوي : المصدر السابق ١٥/٧ وعبدالعزيز سليمان نوار : تاريخ العراق الحديث (القاهرة ١٩٦٨) ٤٥٢ .

(٤) الوثائق القومية ، محفظة ٢٤٦ عابدين ، وثيقة ٦٥ بتاريخ غرة شعبان ١٢٤٨هـ/٢٤ كانون الثاني ١٨٣٢م والعزاوي : المصدر السابق ٢٩/٧ . وانظر عبدالرحمن حلمي السهروردي : تاريخ بيوتات بغداد في القرن الثالث عشر للهجرة ، بتحقيقنا (بغداد ١٩٩٦) ص ٧١ .

(٥) الوثائق القومية ، محفظة ٢٣٥ وثيقة رقم ١٩٨ في محرم ١٢٤٨هـ / ايار ١٨٣٢ .

(٦) العزاوي : المصدر السابق ٢٥/٧ .

(٧) الوثائق القومية ، محفظة ٢٣٥ الوثيقة السابقة .

(٨) الوثائق القومية ، محفظة ٢٥٠ الوثيقة رقم ٤٨٠ في ٢ ذي الحجة ١٢٥٠هـ / ٢ ايار ١٨٣٥ .

(٩) الوثائق القومية ، محفظة ٢٣٥ رثيقة رقم ١٩٨ محرم ١٢٤٨هـ / ايار ١٨٣٢م .

(١٠) الوثائق القومية . دفتر سمية تركي ، وثيقة ٨٢٣ .

(١١) الوثائق القومية ، محفظة ٣٣٨ عابدين، الوثيقة العربية رقم ٢٦٢ مراسيم الى شيوخ القبائل العراقية في ٢٤ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ / ايلول ١٨٣٢م .

(١٢) الوثائق القومية ، محفظة ٢٣٨ عابدين ، وثيقة رقم ٦٨ تقرير وحيد افندي في ٨ ربيع الآخر ١٢٤٨هـ / ٤ تشرين الاول ١٨٣٢م .

(١٣) من تايلر القنصل الانكليزي في بغداد الى كامبل القنصل الانكليزي في الاسكندرية بتاريخ ٦ تشرين الثاني ١٨٣٣ (داود بركات : البطل الفاتح ابراهيم ٩٤).

(١٤) انظر عن حكم هذه الاسرة لولاية الموصل كتابنا : الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي (النجف ١٩٧٥)

(١٥) المصدر نفسه ٢٠٢ ــ ٢٠٣ .

(١٦) الوثائق القومية ، من ابراهيم باشا يكن الى ابراهيم باشا بن محمد علي في ٩ جمادي الاولى ١٢٤٨هـ / ٤ تشرين الثاني ١٨٣٢ ، محفظة ٢٣٩ وثيقة رقم ٧٣ .

(١٧) الوثيقة نفسها .

(١٨) عبدالعزيز نوار : تاريخ العراق الحديث ١٩٤ .

(١٩) الموصل في العهد العثماني ٢٠٦ .

(٢٠) الوثائق القومية، محفظة ٢٦٧ عابدين ، وثيقة ٤ حمراء من خورشيد الى الباشمعاون في غرة جمادى الآخرة ١٢٥٥هـ/١٢ آب ١٨٣٩ .

(٢١) لم نقف على هوية فريق هذا في مصادر الحقبة .

(٢٢) هو المعروف بالملا علي الخصي ، وكان يتولى وظيفة (كتخدا الحرم) فقدمه علي رضا باشا وجعله بمنزلة قائد الجيش ، ومسؤولا عن ضرائب العشائر ، واشتهر بظلمه . العزاوي المصدر السابق ٤٩/٧ .

(٢٣) انظر سليمان الصائغ: تاريخ الموصل ج١ (القاهرة ١٩٢٣) ٣١٣ وكان قانون التجنيد قد صدر خلال حكم السلطان محمود الثاني في ١٨٣٨ ، محاولة محمد باشا اينجه بير قدار ، في السنة التالية ، أسبق محاولات تطبيقه في الدولة العثمانية . انظر موسوعة الجيش والسلاح (بغداد ١٩٨٨) ج٥ ص٢٠٨ مبحث القوات المسلحة في العراق بين ١٨٣١ – ١٩١٤ للدكتور ياسين عبدالكريم .

(٢٤) انظر : عبدالرحمن الرافعي : عصر محمد علي (القاهرة ط٣ ، ١٩٥١) ٣١٠ – ٣٢٣ وبيير كربتيس : ابراهيم باشا ، ترجمة محمد بدران القاهرة ١٩٣٧) ٢٢٩–٢٤٨ .

(٢٤ أ) ان نسبة كاملا هو : محمد بن داود بن محمد بن احمد بن عبدالكريم بن جاسم بن عبدالكريم بن سبتي ، وتقع النبذة في صفحتين نقلها من اوراق خطية كانت لدى اسرته .

(٢٥) كتابنا : الاسر الحاكمة ورجال الادارة والقضاء في العراق في القرون المتاخرة (بغداد ١٩٩٢)شجرة الخزاعل ص٢٠٨.

(٢٦) حمود الساعدي : دراسات عن عشائر العراق ، الخزاعل (النجف ١٩٧٤) ١١٥ .

(٢٧) المصدر نفسه ٦٥ عن كتاب مخطوط غير معروف المؤلف .

(٢٨) شجرة عبدالكريم آل سبتي من عشيرة آل حمد المعروفين بآل السراج . (مخطوطة) .

(٢٩) حمود الساعدي : المصدر السابق ٦٤ .

(٣٠) يذكر عباس العزاوي (عشائر العراق ١٤٣/٣) ان رئيس آل هندي كان يقيم في عهده في منطقة الحويجة .

(٣١) يقع هذا الجامع في محلة تنسب اليه ، فيقال لها محلة الامام ابراهيم ، وابراهيم هذا هو الامير ابراهيم السهراني الجراحي . وكان معاصرا للشيخ عدي بن مسافر ، وهو الذي عمره . وفي الجامع مقبرة فيها بعض قبور متاخرة لآل الصابونجي وغيرهم ، ولم اعثر بينها على قبر سبتي الخزعلي فالظاهر انه اندرس منذ عهد سابق ، انظر نيقولا سيو في : مجموع الكتابات المحررة في ابنية مدينة الموصل ، تحقيق سعيد الديوهجي (بغداد ١٩٥٦) ٧٠-٧٢ .

(٣٢) لما تزل داره موجودة حتى اليوم ، الا انها قسمت ، بحسب الارث ، الى عدة دور ، وقد ظل احفاده من آل السراج يقيمون فيها حتى السنين الاخيرة .

(٣٣) وكان والي بغداد اسماعيل باشا قد نفاهم الى الموصل سنة ١١٤٨هـ / ١٧٣٥م اما الفرقة الاخرى ، المكافئة لها في العدد والاهمية ، فهي المسماة اوطوزبير ، اي الفرقة رقم ٣١ ، هذا بينما يقل مجموع منتسبي الفرق الثلاث المتبقية : او نتجي (الفرقة ١٠) واللي ايكي (الفرقة ٥٢) واللي سكز (الفرقة ٥٨) عن مجموع منتسبي الفرقتين المذكورتين .

(٣٤) تعد محلة المكاوي من المحلات الكبيرة ، يحدها من الشمال محلة عبدو خوب ، ومن الغرب محلة جامع جمشيد ومن الجنوب محلة راس الكور ومن الشرق نهر دجلة ، ومثلها مساحة محلة راس الكور التي تقع الى الجنوب منها ، وتمتد هذه المحلة من نهر دجلة شرقا الى محلة جامع جمشيد غربا وتمر اجزاؤها الغربية بشارع النبي جرجيس وشارع عارف السماك ، وتعد اعلى المحلات في المدينة القديمة ، حيث يبلغ ارتفاعها ٣٤م فوق سطح البحر تليها محلة المكاوي ، اما محلة الميدان فتقع الى الجنوب من محلة راس الكور والى الشرق من محلة باب النبي والى الشمال من باب الطوب والى الشرق من نهر دجلة ، وتعد من اشهر محلات المدينة القديمة واكثرها اهمية من حيث طبيعة موقعها والمنشات التي كانت موجودة فيها . ويقرب من هذه المحلات محلة امام ابراهيم ، وهي صغيرة تحيطها محلات باب النبي وجامع جمشيد والمكاوي وراس الكور . انظر د. هاشم خضير الجنابي : التركيب الداخلي لمدينة الموصل القديمة (الموصل ١٩٨٢) ٩٥ - ٩٦ .

(٣٥) كتابنا : الموصل في العهد العثماني ، فترة الحكم المحلي ٢٤٢-٢٤٥ .

(٣٦) تاريخ الموصل ٢١٣-٢١٤ .

(٣٧) كان عبدالكريم قد انجب ولداً واحداً هو (جاسم) وعند نفيه ، عاش جاسم مع امه واخواله العبيد حتى بلغ سن الرشد فتزوج من احدى كريمات أخواله العبيد ، واشتغل بالتجارة ، ولم يصبح شيخا ، وكان له ثلاثة اولاد هم عبدالكريم (الثاني) واسعد وقدو ، وتوفي بعد مقتل اسعد بمدة يسيرة ، ولم يعقب اسعد ، اما عبدالكريم الثاني فقد انجب ولداً واحداً يدعى أحمد ، وانجب قدو ولداً واحداً ايضاً يدعى يونس ، ومن هؤلاء تفرع آل السراج كما في شجرة عبدالكريم آل سبتي (مخطوطة).
ومن الجدير بالذكر انه توجد في الموصل ، محلة راس الكور ، أسرة خزعلية اخرى من البو داود بن سلمان الخزعلي ، هاجرت من ديرتها الى الموصل في حدود سنة ١٩٠٠م .



الملحق (١)



المحلات التي انطلقت منها انتفاضة سنة ١٨٣٩



مهنا (١)

محمد (٢)

عباس (٣) — اسماعيل

سلمان (٤) — حمد (٥) (أبناء عباس)

مهنا (ابن اسماعيل)

حمود (٧) — محمد — سعدون — حسين — محمد (٦) — عبدالله — سويد — جفال

سلطان — محسن — حسين — مغامس — دلود — عبيد (أبناء محمد (٦))

حمد (٨) (ابن حمود (٧))

حسين — خلجو (١٠) (أبناء حمد (٨))

سبتي (٩)

عبد الكريم (ثائر) — ظاهر

جاسم

قدو — عبد الكريم — اسعد

يونس — احمد — (ثائر)

محمود — محمد — مصطفى — علي — قاسم — يحي (أبناء يونس)

جاسم — رحلوي — محمد — محمود (أبناء ثائر)

شجرة آل حمد من الخزاعل
ويظهر فيها بيت عبدالكريم بن سبتي الذين
استوطنوا الموصل في اوائل القرن ١٣هـ/١٩م
❋ الارقام تشير الى تسلسل المشيخة

التضخم النقـدي في العـراق
العامل النفسي والاختلال الهيكلي (دراسة تحليلية)

الدكتورة طليعة كوركيس توما
كلية الادارة والاقتصاد / جامعة بغداد

يعد التضخم من أعقد الامور تحليلا ومعالجة في الفكر الاقتصادي ، ولذلك تباينت وجهات نظر المدارس والنظريات المختلفة المفسرة له • يتسم التضخم في العـراق بالتعقد والتنوع والخصوصية ، اذ تتداخـل جملـة من العوامل فيـه •

فالتضخم في الاقتصاد العراقي لايعبر عن اختلال نقدي فحسب بـل يمثل كذلك مجموعة من الاختلالات الهيكلية الموجودة في الاقتصاد • كما أسهمت العوامل النفسية والدوافع السلوكية للافراد وعنصر التوقعات فـي تعميقه • فضلاً عن شموله انواعا عديدة من التضخم ، ويعكس الظـروف الاستثنائية التي واجهت الاقتصاد العراقي فبعد قادسية صدام المجيـدة جاءت المنازلة الكبرى في أم المعـارك والحصار المفـروض على العراق والتي تشكل سلسلة اعاقة تقدم العراق •

ان نتائج المقاييس التي اعتمدت في هذا البحث محكومة بمـدى دقة البيانات التي اعتمد عليها • اذ تم الاعتماد على البيانات الرسمية الصـادرة من الجهاز المركزي للاحصاء ومن البنك المركزي العراقي •

وانطلق البحث من فرضية مفادها :

« ان تعقد وتشابك المتغيرات والعوامل الاقتصاديـة والاجتماعيـة والنفسية والسياسية التي تعرض لها الاقتصاد العراقي أدت الى تعدد أسباب التضخم وتشعبه في مختلف مراحـل تطـوره والى تعميـق آثاره وتعقيد معالجاتـه » •

ويهدف البحث الى رصد العوامل الرئيسة والعلاقات الجوهرية التي أحدثت التضخم وتبيان آثاره الاقتصادية والاجتماعية والنفسية وتقديم اسهام متواضع في طرح بعض المعالجات •

وتوخيا للوصول الى الهدف تم القسيم البحث الى أربعة فصول تتناول مختلف جوانب الموضوع •

الفصل الاول

مدى ملاءمة النظريات الاقتصادية لتفسير التضخم في الاقتصاد العراقي

من الصعوبة ان نجد في التراث الفكري للنظرية النقدية تحليلا شاملا يفسر التضخم في الاقتصاد العراقي • لذا توجب في ضوء الادوات التحليلية والمنطلقات الفكرية للنظرية النقدية توضيح قرب أو بعد هذه الادوات التي توصل اليها الفكر الاقتصادي من التضخم في الاقتصاد العراقي ومدى امكانية الاعتماد على هذه الادوات وأهم الافكار التي ظهرت في الفكر الاقتصادي ومدى ملاءمتها للاقتصاد العراقي •

تعد نظرية كمية النقود التي ظهرت في الفكر الاقتصادي الكلاسيكي أول محاولة لتفسير التضخم وذلك من خلال معادلة التبادل[١] $MV = PT$ التي صاغها فشر والتي تعتبر المستوى العام للاسعار دالة لكمية النقود بفرض ثبات العوامل الاخرى المتمثلة بسرعة تداول النقود وحجم المعاملات مع مراعاة الافتراضات الرئيسة التي قامت عليها النظرية • أي ان هذه النظرية ترى أن سبب التضخم هو الزيادة المحسوسة في عرض النقود •

ومع ظهور معادلة كمبردج[٢] او معادلة الارصدة النقدية ادخلت فكرة جديدة هي حجم الارصدة النقدية التي يرغب الافراد الاحتفاظ بها لاغراض المعاملات ولذلك فان الطلب على النقود في الاقتصاد يمثل نسبة معينة (K)

من اجمالي الدخل النقدي[٣] وكما في المعادلة $M = K. PT$

واستنادا الى معادلة كمبردج وهي ما توصل اليه فشر فانه بفرض ثبات سرعة تداول النقود (V) ومن ثم مقلوبها ($K \frac{1}{V}$) ، وحجم المعاملات (T) ، فان التغير في قيمة النقـود أي في المستوى العام للاسعار يتناسب عكسيا مع التغير في حجم الرصيد النقدي . أي ان معادلة كمبردج ترى ان التضخم ليس الا نتيجة فائض في الطلب الذي يحدث نتيجة لقلة طلب الافراد على النقـود وبعبارة أدق أن للافـراد القدرة الشرائيـة والرغبـة في طلب كمية من السلع والخدمات تزيد على العرض الحقيقي لها وذلك عند مستوى الاسعار السائدة في لحظة معينة وهذا ما يؤدي الى اتجاه الاسعار نحـو الارتفاع . أما عن مدى ملاءمة النظرية الكمية في صورتها الكلاسيكيـة والكلاسيكية الجديدة ، فعلى الرغم من الانتقادات العديدة التـي وجهـت اليها بخصوص التبسيط الذي افترضته لتأثير التغير في كمية النقـود على مستوى الاسعار بالاضافة الى انه قد ترتفع الاسعار لاسباب لا دخل لتغـير كمية النقود فيها وكذلك عدم استقلال المتغيرات التي تضمنتهـا ، الا ان النظرية أوضحت الدور الخطيرالذي تؤديه زيادة كمية النقود ، ونلاحظ هنا بدء التفكير بتدخل العوامل النفسية والسلوك الاجتماعي فـي العـوامل المحددة للطلب على النقود ، وبالتالي تأثيرها على التضخم ، أي دخول الدوافع السلوكية للفرد وكذلك عنصر التوقعات . وبخصـوص ما عرفته المدرسة الكلاسيكية الجديدة من ان الطلب على النقـود متغير أساس يفسر التغير في المستوى العام للاسعار . فالاكتناز هو نوع من الطلب على النقود . ونلاحظ لجوء الافراد فعلا في الاقتصاد العراقي الى مدخراتهم السابقة المتمثلة بالسلع المخزونة والذهب وذلك يمثل اضافة حقيقية لكمية النقود المتداولة ويمثـل أيضا ضغطاً على الحجم الحقيقي للمعروض من السلع خاصة وانه لم يقابل هذا الطلب عرض مساوٍ له من السلع . أما بخصوص افتراض التشغيـل

الكامل فعلى الرغم من تعارض هذه الفرضية مع الحالة التي يعيشها العـراق بحكم الحصار المفروض وعوامل اخرى الا انه في الوقت ذاته تجدر الاشارة الى صحة فرضية جمود دوال الانتاج وعدم امكانية زيادة الحجم الحقيقي المعروض من السلع في الامد القصير والمتوسط نتيجة الاختـــلال الهيكلي الموجود ولذا نلاحظ اختلال بين نمو الانفاق النقـدي وبـين نمو العرض الحقيقي من السلع وهذا ما يدفع بالمستوى العام للاسعار الى الارتفاع .

وأشـار كينز في دراسته عام ١٩٣٠ الى واحدة من أهم وظائف النقود وهي كونها مستودع قيمة . وجاء تركيز كيـنز على الفـرق بـين الاستثمار والادخار كعامل مهم لتفسير عدم الاستقرار السعري وذلـك ما تطابـق مع أفكار فيكسل بخصوص أثر تغير سعر الفائدة على العلاقـة بـين الاستثمار والادخار والمستوى العام للاسعار ، ومع ظهور النظرية العامة للاستخـدام والفائدة والنقود عام ١٩٣٦ استند كينز في تحليل التضخم الى التقلبات فـي الانفاق القومي كمحدد رئيس لمستوى الاسعار والتشغيل ، مستعينا بأدوات تحليلية جديدة هي المضاعف والمعجل بدلا من التقلبات التي تحدث في كمية النقود . وتتبلور هذه الوسائل في التفاعل بين قوى الطلب الكلي والعـرض الكلي وأثر ذلك على المستوى العام للاسعار . وميز كينز بين حالة ما قبـل وصول الاقتصاد الى التشغيل الكامل وحالة مابعد الوصـول الى التشغيل الكامل[٤] . كما أكد فيكسل على أثر التغيرات في الطلـب الفعـال علـى مستوى النشاط الاقتصادي وذلك على أساس تجميعي لفائض الطلب فـي أسواق عوامل الانتاج وفائض الطلب في أسواق السلع . ولا نسـى ان كينز أدخل ولأول مرة مفهوم تفضيل السيولة النقدية في التحليـل الاقتصادي . وقدم ثلاثة دوافع لطلب الافراد للنقود[٥] تتمثل بالطلب على النقـود لغرض المعاملات ، ولغرض الحيطة والحذر ، ولغرض المضاربة . وبخصوص ملاءمـة النظرية العامة لكينز لتفسير الاختلال في الاقتصـاد العراقـي نجد ان هذه النظرية وضعت أساسا لتفسير الازمات التي تحدث في الدول المتقدمة وعلاجها

وبالتحديد الدول التي تعتمد على ثروات المستعمرات وتوفرظروف تتصل بآلية الانتاج أي التقلبات التي تحدث في مستوى الطلب الفعال في مواجهة الطاقات الانتاجية القائمة ، في حين ان مشكلة الاقتصاد العراقي تتمثل في قصور حجم الطاقة الانتاجية بسبب ولوجه الحديث في عملية التنمية ووضع العراقيل أمامه وأبرزها الحصار ومن ثم تفوق الطلب الكلي على العرض الكلي • ويلاحظ ايضا عدم ملاءمة ادوات التحليل التي استخدمها كينز في تحليل الفجوة التضخمية •

وبدأت اتجاهات أخرى بالظهور ، ابرزها كتابات فريدمان حول معدل تغير الاسعار المتوقع كعامل مهم محدد لسرعة تداول النقود وكتابات باتنكن حول تأثير التغيرات الحقيقية في الارصدة النقدية وكذلك التجديدات التي أدخلتها المدرسة السويدية الحديثة واعطاء عنصر التوقعات أهمية اكبر في التحليل النقدي[٦] وادخال تحليل السوقين النقدية والمالية كعنصر مهم للربط بين قرارات المدخرين والمستثمرين[٧] • ونشير هنا الى انه كان لعنصر التوقعات في الاقتصاد العراقي (توقعات تفاؤل بالنسبة للمنتجين بخصوص ارتفاع المستوى العام للاسعار ، وتوقعات تشاؤم بالنسبة للمستهلكين) ، فضلا عن دور الاشاعة وذلك مادفع الافراد الى شراء السلع بهدف التخزين والاستعمال مستقبلا ، ودفع المنتجين الى حجب السلع عن السوق وانتاجها لأغراض التخزين وليس لغرض البيع العاجل • وتؤكد هنا انه كان للعوامل النفسية فعلا دور مهم في تفسير جزء مهم من التضخم في الاقتصاد العراقي ، اذ أن العامل النفسي لعب دورا مهما في زيادة الطلب وبالتالي في ارتفاع الاسعار • وهذا الارتفاع خلق توقعا لدى الافراد بأن الاسعار سوف ترتفع أكثر وهذا ما دفعهم الى انفاق ما لديهم من دخول وبالتالي زيادة الطلب على السلع ومن ثم ارتفاع جديد في المستوى العام للاسعار •

وترى مدرسة شيكاغو ان التضخم ظاهرة نقدية بحتة ، وان المصدر الرئيس هو نمو عرض النقد بسرعة أكبر من نمو كمية الانتاج • ولم يعتمد الانصار المحدثون لنظرية كمية النقود المعاصرة على العلاقة القائمة بين كمية النقود وحجم المعروض من السلع ، وانما على كمية النقود بالنسبة لوحدة الانتاج • وركز فريدمان على عدم فهم هذه العلاقة على نحو جامد وفي اتجاه واحد فقط وانما أكد عاملين هما : التغير في حجم الانتاج وكمية النقود التي يرغب الافراد الاحتفاظ بها • وميز بين كمية النقود والاسعار في الامد القصير عنها في الامد الطويل[٨] •

وبخصوص ملاءمة النظرية المعاصرة لكمية النقود لتفسير التضخم في العراق ، فان هذه النظرية تفترض اقتصادا على درجة من التقدم والاستقرار ، وفاعلية جهاز السوق ، وسيادة قوانين الطلب والعرض ، وارتباط الطلب على النقود بقواعد السلوك الرشيد في حين نلاحظ ضيق السوق النقدية والمالية في العراق ، وضعف الوعي المصرفي ، ووجود ظاهرة التفضيل السلعي مقابل التفضيل النقدي فضلاً عما ولدته ظروف الحصار من حالات استثنائية ، ومع كل ذلك فهنالك علاقة واضحة بين كمية النقود وحجم الناتج .•

يؤكد النقديون ان سبب التضخم هو الافراط في اصدار النقد ويقولون[٩] : « ان الزيادة في عرض النقود والودائع لدى البنوك والتبادل متأتية من خلال فساد وانحراف سلطة الاصدار ، وسوء استخدام الاعتمادات التي تمنحها البنوك » فان الهيكليين يؤكدون ان الخلل موجود في البنيان الاقتصادي والاجتماعي • ونشيرهنا الى الاختلالات الهيكلية الموجودة في الاقتصاد العراقي :

- الطبيعة الهيكلية للتخصص في انتاج المواد الاولية وضآلة مرونة الجهاز الانتاجي •
- تخلف وجمود الجهاز المالي والضريبي والاداري وضآلة مرونة الحصيلة الضريبية وقصور الادارة الضريبية •

- الاختلال الهيكلي الناجم عن تفاقم مشكلة الغذاء وضآلة مرونة عرض المنتجات الغذائية •
- الاختلال الهيكلي الذي تولده عملية التنمية •
- هجرة السكان من الريف الى المدينة •

وفي ظل هذه الخلفية النظرية التاريخية نشير الى خطورة التضخم النقدية وأهمية التضخم الهيكلي وفي الوقت نفسه تؤكد النظرية النفسية للنقود [10] ودخول عنصر التوقعات بشأن اسعار المستقبل كعامل أثر في قيمة النقود وبالتالي في المستوى العام للاسعار في الاقتصاد العراقي •

الفصل الثاني

بعض مقاييس التضخم في الاقتصاد العراقي

سيعالج البحث نوعين رئيسين من مقاييس التضخم •
أولا : الارقام القياسية للاسعار •
ثانيا : المقاييس الكمية •

أولا : الرقم القياسي للاسعار هو ملخص لما يحدث من تغيرات في الاسعار عبر فترة زمنية • أي انه متوسط مرجح للاسعار ويعكس وزن كل سلعة الاهمية الاقتصادية لتلك السلعة في ميزانية المستهلك[11] •

أ - الرقم القياسي لاسعار المستهلك : وهو مقياس احصائي للتغيرات عبر الزمن في أسعار السلع والخدمات المشتراة من قبل المستهلكين • أي انه يعكس التغيرات في القوة الشرائية للمستهلك من خلال تعقب التغيرات في تكاليف سلة السوق عبر الزمن • وهناك بعض المشاكل التي ترافق استخدام هذا المقياس منها اختيار الفترة المستخدمة كسنة اساس • كما يستخدم أوزاناً ثابتة لكل سلعة ، في حين ان المستهلك يتجه الى توسيع مشترياته من السلع التي ترتفع أسعارها ببطء اكثر وتقليصها من السلع التي ترتفع أسعارها بسرعة

أكثر ، وهذا يسبب مغالاة في التقدير • كما انه لايوضح بدقـة التغـيرات فـي نوعيـة السلع •

ب ــ الرقم القياسي لاسعار المنتج: ويعرف أيضا بالرقم القياسي لاسعار الجملة ، وهـو يقيس أسعار عـدد من السلـع (ولايتضمن الخدمـات) عند مستوى تداولهـا التجـاري الاول • وهذا الرقـم كسابقـه له أوزان ثابتة هي عبارة عن المبيعات الصافية للسلعة • ومن السلع المشمولة بـه المنتجـات المصنعة ، منتجات التعديـن •

جـ ــ الرقم القياسي الضمني : يستند عدد من الاقتصاديين[١٢] والمنظمات الدولية ، الى هذا الرقم كدليل على وجود التضخم في الاقتصاد • ولايستند هذا الرقم الى سلة سوق ثابتة أو مجموعة من السلع فهو يضم أسعار جميع السلع والخدمات المتاحة في الاقتصاد القومي الاستهلاكية والوسيطة والانتاجية ويضم اسعار الجملة وأسعار التجزئة • ويمكن اعتباره رقما قياسيا شاملا لانـه يشمل جميع عناصر الناتج المحلي الاجمالـي (الاستهلاك ، الاستثمـار ، مشتريات الحكومة ، الصادرات الصافية) ، كما انه لايثير مشكلة الاوزان التي تعطى للارقام القياسية واخطاء التحيز التي غالبا ما تقع فيها •

ويوضح الجدول رقم (١) ارتفاع الرقم القياسي لاسعار المستهلك وكان ذلك نتيجة الارتفاع السعري الحاصل في اسعار المجاميع السلعية الداخلة في سلة استهلاك الفرد العراقي • ويوضح الجدول رقم(١) ان الارتفاع اتخذ مسارا تدريجيا بالارتفاع للفترة ١٩٨٠ــ١٩٩٠ وتفاقم شدة هـذا الارتفاع للفترة ما بعد عام ١٩٩٠ ، ودون الخوض في التفاصيل الرقميـة ، كان الارتفـاع على وفـق التسلسل الآتي[١٣] :

ارتفاع أسعار المواد الغذائية ، ارتفاع اجور النقل والمواصلات ، ارتفاع أسعار الملابس والاقمشة ، ارتفاع اسعار السكائر والكحوليات ، وجاءة بقيـة المجاميـع بنسـب متباينـة •

ويوضح الجدول رقم (١) ايضا ارتفاع الرقم القياسي لاسعار المنتج والرقم القياسي الضمني أيضا ٠ الا ان الفارق واضح للفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٩٠ عن الفترة ما بعد عام ١٩٩٠ ، وهذا يدل على الاختلال بين العرض الكلي والطلب الكلي وبين سلوك الطلب وتشكيلة العــرض ، ويعني ان هنالك قصورا في التخطيط المسبق لكل من الانتاج والانفاق والاستيراد ، لذا يجب ان يخضع لاعتبارات جدية في السيطرة عليه ٠

جــدول رقــم (١)

الارقــام القياسية للاسعــــار للفترة ١٩٨٠ ــ ١٩٩٢

(١٩٨٠ = ١٠٠)

السنة	الرقم القياسي لاسعار المستهلك	الرقم القياسي لاسعار المنتج	الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الجارية مليون دينار	الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة مليون دينار	الرقم القياسي الضمني
١٩٨٠	١٠٠	١٠٠	١٥٩١٨ر٣	١٥٩١٨ر٣	١٠٠
١٩٨١	١١٩ر٨	١١٨ر٧	١١٤٨١ر٤	١٠٣٢٤ر١	١١١ر٢١
١٩٨٢	١٣٥ر٩	١٤٨ر٣	١٢٩٣٢ر٠	١٠٤٩٢ر٥	١٢٣ر٢٥٥
١٩٨٣	١٥٢ر٤	١٧١ر٢	١٣٠٥٤ر٨	١٠١٣٥ر٣	١٢٨ر٨٠٥
١٩٨٤	١٦٤ر٣	١٨٤ر٩	١٥٧٢١ر٨	١٠٩٥٨	١٤٣ر٤٧٣
١٩٨٥	١٧١ر٣	١٩٣ر٧	١٥٥٨٢ر٩	١٠٩٢٠ر٤	١٤٢ر٦٩٥
١٩٨٦	١٧٣ر٥٦	١٩٥ر٢	١٥٤١٩	١٢٢٢٣ر٣	١٢٦ر١٤٤
١٩٨٧	١٩٧ر٨١	٢٣٠ر٤	١٨٥٨٣ر٧	١٥٦٨٠	١١٨ر٥١٨
١٩٨٨	٢٤٠	٢٥٤ر٥	٢٠٠٥٥ر٦	١٥٨٨٩ر٩	١٢٩ر٣٦٢
١٩٨٩	٢٥٥ر١١	٢٧٦ر٩	٢١٨٢٠ر٥	١٤١٧٨ر٢	١٥٣ر٩٠١
١٩٩٠	٣٨٧	٣٨٠ر٦	٢٤٣٩٨ر٨	١٣٨٦٢ر٩	١٧٥ر٩٩٨
١٩٩١	١١٠٨ر٨٢	٣٦٨ر٦٩٣	٢٣١٨٥ر١	٣٥٤٨ر١	٦٥٣ر٤٥
١٩٩٢	٢٠٣٧ر٥	٧٣٢ر٦٣٥	٦٢١٧١ر٨	٤١١٥ر٩	١٥١٠ر٥٣

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ــ الحسابات القومية

الجهاز المركزي للاحصاء ــ المجموعة الاحصائية السنويــة ، ١٩٩٣

العمود رقــم (٥) من عمل الباحثة .

الفصل الثالث

الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية للتضخم في الاقتصاد العراقي

تداخل الآثار الاقتصادية والاجتماعية والنفسية بحيث يصعب الفصل بينها ، وتأتي الصعوبات التي تكتنف المعلومات والبيانات بهذا الصدد لتضيف صعوبة أخرى ، الا انه سيتم الاعتماد على بعض المؤشرات في هذا الخصوص مع رؤية واقعية ومتابعة شخصية لبيان هذه الآثار •

أولا ــ عمل التضخم على انخفاض مستوى معيشة الفرد[١٧] ، وكانت النتائج اكثر سلبية بسبب انخفاض متوسط دخل الفرد في الوقت الذي ارتفع فيه الرقم القياسي لاسعار المستهلك والمنتج والضمني لاسيما بعد فرض الحصار الجائر على العراق ، وانقطاع تصدير النفط ، والتوقف عن انتاج الكثير من السلع التي يدخل في انتاجها مواد اولية ووسيطة ومستوردة ، بالاضافة الى الشحة السلعية الكبيرة التي عانى منها الاقتصاد العراقي بسبب عدم كفاية الانتاج ، وتوقف الاستيرادات بسبب الحصار • وتوضح بيانات الجدول رقم (٦) الانخفاض الكبير في مستوى معيشة الفرد اذ انخفض بنسبة ــ ٩٩٫٤٪ عما كان عليه في عام ١٩٨٠ • ان مستوى معيشة الفرد هي انعكاس لقدرة الشخص الشرائية ، التي تتحدد بالقوة الشرائية للنقود والتي يعبر عنها بالرقم القياسي لقيمة النقود والتي ترتبط بعلاقة عكسية مع الرقم القياسي لاسعار المستهلك[١٨] • وتوضح بيانات الجدول رقم (٧) التدهور الذي حصل في الرقم القياسي لقيمة النقود للفترة من ١٩٨٠ــ١٩٩٢، اذ انخفض من ١٠٠٪ لعام ١٩٨٠ الى ٥٠٫٦ عام ١٩٨٧ ثم الى ٤٫٩٪ عام ١٩٩٢ • ومن ملاحظة نسبة التغير السنوي في الرقم القياسي لقيمة النقود ، يتبين ان النقود قد تعرضت لأكبر انخاض لها في عقد التسعينات وهي فترة الحصار • وتجدر الاشارة الى ان الانخفاض في مستوى المعيشة كان سيكون اكبر وأشد ولاسيما بالنسبة لاصحاب الدخول الثابتة لولا تدخل الدولة بوساطة نظام البطاقة التموينية •

جدول رقم (٦)
التطورات الحاصلة في مستوى المعيشة في العراق
للفترة ١٩٨٠ – ١٩٩٢

السنة	الدخل القومي بالاسعار الثابتة لعام ٨٠ / مليون دينار	عدد السكان بالالف	متوسط دخل الفرد دينار	الرقم القياسي لاسعار المستهلك %	مستوى المعيشة دينار	نسبة الانخفاض في مستوى المعيشة بالنسبة لسنة ١٩٨٠ %
١٩٨٠	١٥٣٢٣	١٣٢٣٨	١١٥٧ر٥	١٠٠	١١٥٧ر٥	–
١٩٨١	١٠٠٤ر٨	١٣٦٦٩	٧٣١ر٩	١١٩ر٨	٦١٠ر٩	–٤٧ر٢
١٩٨٢	٧٥٨٩ر١	١٤١١٠	٥٣٧ر٩	١٣٥ر٩	٣٩٥ر٨	–٦٥ر٨
١٩٨٣	٦٩٦٦ر٤	١٤٥٨٦	٤٧٧ر٦	١٥٢ر٤	٣١٣ر٤	–٧٢ر٩
١٩٨٤	٧٤٥٢ر١	١٥٠٧٧	٤٩٤ر٣	١٦٤ر٣	٣٠٠ر٩	–٧٤ر٠
١٩٨٥	٧٤٠٦ر٧	١٥٥٨٥	٤٧٥ر٢	١٧١ر٣	٢٧٧ر٤	–٧٦ر٠
١٩٨٦	٧٠٩٨ر٩	١٦١١٠	٤٤٠ر٧	١٧٣ر٥٦	٢٥٣ر٩	–٧٨ر١
١٩٨٧	٧٧٤٠ر٤	١٦٣٣٥	٤٧٣ر٩	١٩٧ر٨١	٢٣٩ر٦	–٧٩ر٣
١٩٨٨	٧٠٧٦ر٢	١٦٨٨٢	٤١٩ر٢	٢٤٠	١٧٤ر٧	–٨٤ر٩
١٩٨٩	٧٠٠٣ر٦	١٧٤٢٨	٤٠١ر٩	٢٥٥ر١١	١٥٧ر٥	–٨٦ر٤
١٩٩٠	٥١٧٣ر٦	١٧٨٩٠	٢٨٩ر٢	٣٨٧	٧٤ر٧	–٩٣ر٥
١٩٩١	١٦٩٠	١٨٤١٩	٩١ر٨	١١٠٨ر٢	٨ر٣	–٩٩ر٣
١٩٩٢	٢٥٥٠ر٩	١٨٩٤٩	١٣٤ر٦	٢٠٣٧ر٥	٦ر٦	–٩٩ر٤

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الحسابات القومية .

الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .

العمود رقم (٣) ، (٥) ، (٦) من عمل الباحثة .

جدول رقم (٧)

الانخفاض الحاصل في قيمة النقود

للفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٩٢

١٩٨٠=١٠٠

السنة	الرقم القياسي لاسعار المستهلك	الرقم القياسي لقيمة النقود %	الانخفاض في قيمة النقود (١٠٠ـ الرقم القياسي)	نسبة التغير السنوي في الرقم القياسي لقيمة النقود %
١٩٨٠	١٠٠	١٠٠	—	
١٩٨١	١١٩ر٨	٨٣ر٥	١٦ر٥	— ١٦ر٥
١٩٨٢	١٣٥ر٩	٧٣ر٦	٢٦ر٤	— ١١ر٩
١٩٨٣	١٥٢ر٤	٦٥ر٦	٣٤ر٤	— ١٠ر٩
١٩٨٤	١٦٤ر٣	٦٠ر٩	٣٩ر١	— ٧ر٢
١٩٨٥	١٧١ر٣	٥٨ر٤	٤١ر٦	— ٤ر١
١٩٨٦	١٧٣ر٥٦	٥٧ر٦	٤٢ر٤	— ١ر٤
١٩٨٧	١٩٧ر٨١	٥٠ر٦	٤٩ر٤	— ١٢ر٢
١٩٨٨	٢٤٠	٤١ر٧	٥٨ر٣	— ١٧ر٦
١٩٨٩	٢٥٥ر١١	٣٩ر٢	٦٠ر٨	— ٦ر٠
١٩٩٠	٣٨٧	٢٥ر٨	٧٤ر٢	— ٣٤ر٢
١٩٩١	١١٠٨ر٨٢	٩ر٠	٩١ر٠	— ٦٥ر١
١٩٩٢	٢٠٣٧ر٥	٤ر٩	٩٥ر١	— ٤٥ر٦

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الحسابات القومية .

الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .

العمود رقم (٢) ، (٣) ، (٤) من عمل الباحثة .

ثانيا ــ لعل من أسوأ آثار التضخم هو تعميقه التمايز الاجتماعي للتركيب الطبقي للمجتمع . اذ ان هناك فئات اجتماعية تزداد ثراءً في حين يتدهور الوضع النسبي لفئات اخرى،[١٩] ،والفئات التي تحسنت ثروتها تتمثل في الطبقة الرأسمالية الزراعية والعقارية والصناعية وذلك لان الاصول العينية هي العناصر الفعالة في ميزانية ثروتها ، ولذلك فان دخولهم تتغير بسرعة باتجاه طردي مع التغير في المستوى العام للاسعار ، وتميل أسعار منتجاتهم الى الارتفاع وتزداد دخولهم النقدية ويرتفع نصيبهم النسبي في اجمالي الدخل القومي الحقيقي . أما الفئات الاخرى التي تتسم دخولهم، بالثبات فهي تمثل قوة شرائية متناقصة وهم : الموظفون في الجهاز الحكومي وشركات القطاع الاشتراكي ، والمتقاعدون واصحاب ودائع التوفير ، وحملة الاسهم والسندات . اذ أن دخولهم محددة بشكل مسبق ، ويصعب تغييرها بسرعة لملاحقة التغير في الاسعار حيث ان الجزء الغالب من ثروتهم يتمثل في الاصول المالية .

ثالثا ــ عمل التضخم الى اتجاه الاستثمارات الجديدة نحو المجالات التي تتميز بسرعة دوران رأس المال وبمعدلات ربح عالية وهذه المجالات هي قطاع الخدمات وقطاع التوزيع . اما القطاعات السلعية التي تشمل الزراعة والصناعة التحويلية والتي تنتج انتاجا ماديا فان المستثمرين الجدد لايدخلونها لارتفاع التكاليف الاستثمارية وارتفاع اجور العمال وارتفاع أسعار المواد الاولية . أي ان التضخم عمل على تشويه نمط الاستثمار .

وتشير البيانات[٢٠] الى انخفاض الحصة النسبية للقطاعات السلعية من اجمالي تكوين رأس المال الثابت ، اذ انخفضت الحصة النسبية للقطاعات السلعية من اجمالي تكوين رأس المال الثابت من ٤٠٪ عام ١٩٨٠ الى ٣٤ر٩٪ عام ١٩٨٥ ثم الى ٢٢٪ عام ١٩٩٠ وانخفست ايضا حصة القطاعات التوزيعية من ٢١ر٥٪ عام ١٩٨٠ الى ١٩ر٩٪ عام ١٩٨٥ ثم الى ٧ر٣٪ عام ١٩٩٠ وهذا الانخفاض كان في صالح قطاع الخدمات الذي ارتفعت حصته في

اجمالي تكوين رأس المـال الثابت بشكل كبـير أذ ازدادت من ٣٨ر٥٪ عام ١٩٨٠ الى ٤٥ر٢٪ عام ١٩٨٥ لتصل الى ٧٠ر٧٪ عام ١٩٩٠ • وسجلـت حصة القطاعات السلعية والتوزيعية انخفاضا آخر في الفتـرة ما بعد عـام ١٩٩٠ وذلك لصالح قطاع الخدمات •

رابعا ــ اثـر التضخم على حجم الادخال العـام المتاح للحكومة ومن ثم انخفاض الاستثمار وكذلك اضطرار الحكومة الى استنزاف جوانب مهمـة لسد عجز الميزانية العامة للدولة ، وكان من الطبيعي أن تتغير العلاقة النسبية بين قدرة كل من القطاعين الاشتراكي والخاص على الاستثمار حيث قلت قدرة القطاع الاشتراكي وزادت قدرة القطاع الخاص ، وكان اتجاه القطاع الخاص نحو قطاعات الانتاج غير المادي • وتشير البيانات[٢١] الى ان حصة القطـاع الخاص من اجمالي تكوين رأس المال الثابت كانت ١٩ر٨٪ مقابـل ٨٠ر٢٪ للقطاع الاشتراكي عـام ١٩٨٠ ، وازدادت الى ٢٣ر٤٪ للقطاع الخاص مقابل ٧٦ر٦٪ للقطاع الاشتراكي عـام ١٩٨٥ ، ثم لترتفع حصـة القطـاع الخاص الى ٥٤٪ من اجمالي تكوين رأس المال الثابت مقابل ٤٦٪ للقطاع الاشتراكي عام ١٩٩٠ • وتطورت حصة القطاع الخاص بشكل أكبر للفترة ما بعد عـام ١٩٩٠ نتيجة دخـول القطاع الخاص في كل مفاصـل الحياة الاقتصاديـة في ظل مناخ عام سائد هو التخصيصية ، وتشير البيـانات[٢٢] الى ان مجموع مشروعات القطاع الصناعي التي باعتها الدولة الى القطاع الخاص بلغـت ٦٧ مشروعاً خلال الفترة ١٩٨٧ ــ ١٩٩٤ . ومجموع شركات القطاع الزراعي التي باعتها الدولة الى القطاع الخاص بلغت ٥٨ مشروعا للفترة ١٩٨٧ــ١٩٩٤ • وباعت الدولة من الافران والمطاحن ٢٩ مشروعا من قطاع التجارة الى القطاع الخاص خلال الفتـرة ١٩٨٧ ــ ١٩٩٤ • وباعت الدولـة من قطاع الخدمات السياحية ١٩ مشروعا الى القطاع الخاص • كما استخـدمت الدولة اسلوب تأجير المشروعات العامة الى القطاع الخاص لمدة محددة وبلغ عـدد المرافق

السياحية على وفق التأجير ٦٩ مرفقا سياحيا للفترة ١٩٨٧ـ١٩٩٤ ، وفي القطاع الزراعي ٢٣ مزرعة عائدة للدولة ، كما تم اعتماد اسلوب آخر وهو تحويل مشروعات القطاع الاشتراكي الى شركات مساهمة مختلطة خلال الفترة ٨٧ـ١٩٩٤ شملت القطاعات الصناعية والزراعية والتجارية والسياحية والخدمية .

خامسا ـ نتيجة لانخفاض الدخل الحقيقي لخريجي الجامعات وحملة الشهادات العليا نلاحظ تسرب الكفاءات البشرية للعمل خارج القطر سواء في الاقطار العربية ام الاجنبية حيث ترتفع معدلات الاجور النقدية والحقيقية، وان هؤلاء الافراد هم من أكفأ العناصر من حيث الخبرة ودرجة التأهيل المهني والتعليمي ونشير تحديدا الى الاساتذة الجامعيين العاملين في الجامعات والمعاهد والفنيين من ذوي الخبرات العالية ويشير هذا الواقع الى خطورة استمراره نظرا لما يمثله هؤلاء من عنصر نادر للغاية وذي تكلفة عالية جدا من حيث الاعداد والتعويض ويميل الاساتذة الآخرون او الغير الى محاولة تقليد هذه الفئة أي اثر المحاكاة وذلك بالبحث عن فرصة عمل بالخارج لتحسين مستوى المعيشة ولا يخفي ذلك ما يشيعه من شعور عدم الرضا في مواقع العمل التي يعملون بها . وهو أمر ينعكس بلا شك سلبيا على انتاجيتهم . ويرافق ظاهرة الهجرة والعمل بالخارج مشكلة التفكك الاسري وانحلال الروابط العائلية .

سادسا ـ ونتيجة لانخفاض القوة الشرائية للنقود الوطنية بسبب الحصار كعامل أساس ، فقد الافراد ثقتهم بها ، ونتيجة لذلك فقدت النقود واحدة من أهم وظائفها وهي مخزن للقيمة ولذلك بادر الافراد الى الاحتفاظ بمدخراتهم بموجودات مادية أي نشأ مايمكن تسميته التفضيل السلعي مقابل التفضيل النقدي وهذا أدى الى نمو الاكتناز وضعف في قوى الادخار وبالتالي الحد من زيادة الاستثمار والحد من نمو الناتج المحلي الحقيقي ومن ثم ازدياد حدة ارتفاع المستوى العام للاسعار .

سابعاً ـ وجد سعر صرف الدينار العراقي ما يعادله في عملة رئيسة واحدة هي الدولار الامريكي ، وانعكس ذلك في دولرة الاقتصاد وفي تغير سلوك العديد من الفئات الاجتماعية التي أصبحت ترى في المضاربة سلوكا تجاريا للكسب وتحقيق الربح المضمون من خلال التنبؤ المستقبلي وعنصر التوقعات ، وتهسية الافراد القائمة على افتراض ديمومة بقاء المعطيات القائمة والتي تغذيها قوى ذات غرض سياسي وبالتالي استمرار ارتفاع المستوى العام للاسعار . واستنادا الى ذلك فبعد أن كان سعر صرف الدولار عام ١٩٧٩ في السوق السوداء يعادل ٣٨٦ر٠ دينار وصل معدل سعر صرف الدولار في شهر آب ١٩٩٠ الى ٨ر٣ اي بزيادة قدرها حوالي عشر مرات ، ووصل معدل سعر صرف الدولار في آب ١٩٩٥ الى ٢٦٦٢ دينار[٢٣] وتراجع في كانون الاول عام ١٩٩٥ بعد رسالة السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه الى مجلس الوزراء يوم ١٩٩٥/١٢/٢ وكذلك بعد اعلان القيادة السياسية الموافقة على بدء الحوار حول صيغة النفط مقابل الغذاء والدواء .

الفصل الرابع

بعض المعالجات المقترحة للحد من التضخم في الاقتصاد العراقي

ان السياسات الواجب اتباعها للحد من التضخم يجب أن تعمل في اطار جميع عناصر الاقتصاد الكلي ، اي أن يكون للسياسة المالية دور مهم الى جانب السياسة النقدية ، والسياسة التجارية وسياسة الاجور ، اي العمل في ظل سياسة اقتصادية متكاملة . وتشكل رسالة السيد الرئيس القائد صدام حسين حفظه الله ورعاه الى مجلس الوزراء بتاريخ ١٩٩٥/١٢/٢ اساساً فاعلاً لتحقيق المعالجات الشمولية ذات الاثر المستقبلي

معالجات الامد القصير :

أولا ـ جانب الطلب ، والهدف منه كبح نمو الطلب الكلي في الاقتصاد القومي ، وذلك عن طريق :

١ ـ ضغط الاتفاق الحكومي في المجالات غير الضرورية ، ليس على سبيل الحصر بل على سبيل المثال ضغط الاسراف في المستلزمات السلعية والخدمية كالاقتصاد في استخدام البنزين ، ومواد الطاقة ، والكهرباء ، والسيارات ، والاثاث المكتبي ، ولاقتصاد في اقامة الحفلات والمآدب ، وعدد أعضاء الوفود الذين يسافرون ،وعلى أن يقابل ذلك برنامج يهدف الى زيادة الانتاجية في القطاع الحكومي الخدمي والاداري ، أي أهمية برامج الاداء والادارة بالاهداف ورفع مستوى الاداء .

٢ ـ زيادة الحوافز على الادخار ، اذ أن أسعار الفائدة مهمة في تحقيق وضع مناسب لميزان المدفوعات ، ويمكن القول أن سعر الفائدة الحقيقي السلبي ادى الى عدم اقبال الافراد على وضع مدخراتهم لدى البنوك التجارية[٢٤] وتعرض أصحاب المدخرات ومعظمهم من الطبقة الوسطى الى تآكل حقيقي في القيمة الحقيقية لارصدتهم النقدية والمالية المدخرة ، ولما كان سعر الفائدة يعد أداة مهمة من أدوات السياسة النقدية وعنصراً رئيساً في تحديد الطلب على الموجودات المالية ومستوى الاسعار والادخار وحساب رأس المال في ميزان المدفوعات لذا يفترض اتباع سياسة مرنة في تحديد سعر الفائدة النقدي الاسمي والحفاظ على المدخرات المتولدة في الداخل من الهروب الى الخارج ، ويمكن تشجيع الادخار عن طريق التوسع في نظام الجوائز وبطاقات اليانصيب ، واستخدام وسائل تشجيعية كالتأمين على الحياة ، وتطوير نظام الخدمة في الاوعية الادخارية وفي الاخص صناديق توفير البريد .

ثانيا : أما المقاييس الكمية فان كل مقياس منها يعتمد على نظرية معينة[١٤] ، ومع التحفظات التي ترد على استخدام هذه المقاييس في الفكر الاقتصادي فسيتناول البحث أهم هذه المقاييس :

أ ـ مقياس معامل الاستقرار النقدي ، ويركز على الاختلال الحاصل بين كمية النقود والناتج المحلي الحقيقي ويعتمد هذا المقياس أساسا على نظرية كمية النقود ، وعلى وفق الصيغة الآتية :

$$B = \frac{\Delta M}{M} - \frac{\Delta Y}{Y}$$

B = معامل الاستقرار النقدي

$\frac{\Delta M}{M}$ = معدل التغير في كمية وسائل الدفع

$\frac{\Delta Y}{Y}$ = معدل التغير في اجمالي الناتج القومي الحقيقي •

فاذا تساوى معدل التغير في كمية وسائل الدفع مع معدل التغير في اجمالي الناتج القومي الحقيقي فان الاسعار مستقرة ، أما اذا ازداد معدل تغير وسائل الدفع عن معدل التغير في اجمالي الناتج القومي أي أن B موجبة فان ذلك يعني اتجاه الاسعار نحو الاعلى ، والعكس صحيح •

ويشير الجدول رقم (٢) الى ان الاقتصاد العراقي شهد زيادة في كمية وسائل الدفع بالمقارنة مع الزيادة البسيطة في الناتج الحقيقي ، ويتوضح من الجدول أن عرض النقد بالمفهوم الضيق ارتفع من ٢٦٥٠ر٢ مليون دينار عام ١٩٨٠ الى ٤٢٧٦٠ر٢ مليون دينار عام ١٩٩٢ غير أن الناتج الحقيقي كان يتدهور ، وهذا يشير الى فجوة كبيرة بين عرض النقد والناتج الحقيقي ولاسيما للفترة بعد عام ١٩٩٠ أي بعد العدوان الثلاثيني على العراق وتدمير

المنشآت الانتاجية ، لذلك كان معامل الاستقرار النقدي طوال الفترة موجب باستثناء بعض السنوات ، وهذا يشير الى وجود فائض طلب كبير في الاقتصاد العراق انعكس بشكل واضح على ارتفاع الاسعار .

جدول رقم (٢)

تطور معدل النمو السنوي في الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة مقارنة بمعدل النمو السنوي لكمية النقود للفترة ١٩٨٠ ـ ١٩٩٢

السنة	الناتج المحلي الاجمالي / مليون دينار بالاسعار الثابتة لعام ٨٠	معدل النمو السنوي ٪	كمية النقود / مليون دينار Ms1	معدل النمو السنوي ٪	معامل الاستقرار النقدي (B)
١٩٨٠	١٥٩١٨ر٣	—	٢٦٥٠ر٢	—	—
١٩٨١	١٠٣٢٤ر١	ـ٣٥ر١٤	٣٦٤٥ر٥	٣٧ر٥٥	٧٢ر٦٩
١٩٨٢	١٠٤٩٢ر٥	١ر٦٣	٤٩٨٠ر٧	٣٦ر٦٣	٣٥
١٩٨٣	١٠١٣٥ر٣	ـ٣ر٤٠	٥٥٢٧ر٤	١٠ر٩٨	١٤ر٣٨
١٩٨٤	١٠٩٥٨	٨ر١٢	٥٤٩٩ر٢	ـ٠ر٥١	ـ٨ر٦٣
١٩٨٥	١٠٩٢٠ر٤	ـ٠ر٣٤	٥٧٧٧	٥ر٠٥	٥ر٣٩
١٩٨٦	١٢٢٢٣ر٣	١١ر٩٣	٦٧٢٦ر٦	١٦ر٤٤	٤ر٥١
١٩٨٧	١٥٦٨٠	٢٨ر٢٨	٨٣٣٢ر٣	٢٣ر٨٧	ـ٤ر٤١
١٩٨٨	١٥٨٨٩ر٩	١ر٣٤	٩٥٦١ر٩	١٤ر٧٦	١٣ر٤٢
١٩٨٩	١٤١٧٨ر٢	ـ١٠ر٧٧	١١٣٠١ر٦	١٨ر١٩	٢٨ر٩٦
١٩٩٠	١٣٨٦٢ر٩	ـ٢ر٢٢	١٥٨٥٥ر٣	٤٠ر٢٩	٤٢ر٥١
١٩٩١	٣٥٤٨ر١	ـ٧٤ر٤١	٢٤٥٤٠	٥٤ر٧٧	١٢٩ر١٨
١٩٩٢	٤١١٥ر٩	١٦ر٠٠	٤٢٧٦٠ر٢	٧٤ر٢٥	٥٨ر٢٥

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ـ دائرة الحسابات القومية .
البنك المركزي العراقي ـ دائرة الاحصاء والابحاث .
الجهاز المركزي للاحصاء ـ المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .
العمود رقم (٢) ، (٤) ، (٥) من عمل الباحثة .

ولابد من الاشارة الى أن العوامل المحددة لعرض النقد ، اذ أن العامل الرئيس المؤثر للفترة ٨٠ــ٩٠ كان صافي الموجودات الاجنبية ، لان الاقتصاد العراقي اقتصاد مفتوح وكان يعتمد بدرجة كبيرة على صادرات النفط ، أما للفترة ما بعد عام ١٩٩٠ وبسبب الحصار فان العامل الرئيس المؤثر في عرض النقد هو صافي مركز القطاع الحكومي ، أي تحديدا الائتمـان المحلي المقـدم من الجهاز المصرفي للحكومة ، حيث تم الاعتماد على سياسة التمـويل بالعجز بسبب توقف صادرات النفط وتجميد أرصدة العراق الاجنبية ، وكـان لابد من تمويل النفقات الجارية ودفع الرواتب والاجور ، ونفقات الاعمار والنفقـات الاخرى عن طريق اللجوء الى الاصدار النقدي • ان سياسة التمويل بالعجز سيئة وضارة في ظل اقتصاد كالاقتصاد العراقي لاتتوفر فيه طاقات انتـاجية كبيرة بالاضافة الى عد موجود مستلزمات انتاج كافية لـزيادة النشـاط الاقتصادي كما وحجبت عنه امكانية التطور بسبب الحصار ، وكان ضروريا في مرحلة اعادة الاعمار الاستمرار في هذه السياسة مما ادى الى أن تفقـد النقود واحدة من أهم وظائفها وهي مخزن للقيمة ، وبالتالـي التخلي عنهـا الى عمـلات أخـرى •

ب ــ مقياس فائض الطلب ، ان الاساس النظري الذي يعتمـد عليـه هذا المقياس هو نظريـة كينز في الطلب الفعـال ذلك انـه اذا لم يترتـب على زيادة حجم الطلب الكلي الفعال زيادة مقابلة في حجم الانتاج وانصب الاثر كله على زيادة الانفاق زيادة تتناسب مع الزيادة في الطلـب الفعـال ادى ذلك الى اختلاف حقيقي ، ويمكن قياس فائض الطلب على وفق الصيغة الآتية :

$$Dxn = (Dx - F)$$

حيـث أن :

Dx = اجمالي الانفاق القومي

F = الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة •

ولذلك فعند زيادة اجمالي الانفاق القومي عن الناتج المحلي الاجمالي الحقيقي بالاسعار الثابتة ، والذي يمثل المقدرة الفعلية للطاقات الانتاجية المحلية فان قسما من فائض الطلب سيشبع عن طريق التوسع في الاستيراد مما يخلق عجزاً في ميزان العمليات الجارية أما القسم الآخر من فائض الطلب الذي لم يقابله عجز في ميزان العمليات الجارية فهويمثل صافي فائض الطلب وسيخلق ضغطا تضخميا تدفع الاسعار نحو الارتفاع .

جدول رقم (٣)

تطور فائض الطلب المحلي

للفترة ١٩٨٠ - ١٩٩٢

مليون دينار

السنة	مليون دينار الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة لعام ٨٠	اجمالي الانفاق القومي	فائض الطلب المحلي
١٩٨٠	١٥٩١٨ر٣	١٥٩٤٨ر٤	٣٠ر١
١٩٨١	١٠٣٢٤ر١	١١١٤٣ر٦	٨١٩ر٥
١٩٨٢	١٠٤٩٢ر٥	١٢٧٧٧	٢٢٨٤ر٥
١٩٨٣	١٠١٣٥ر٣	١٣٢٥٥ر٧	٣١٢٠ر٤
١٩٨٤	١٠٩٥٨	١٤٩٢٢ر٤	٣٩٦٤ر٤
١٩٨٥	١٠٩٢٠ر٤	١٥٤٩٣ر٨	٤٥٧٣ر٤
١٩٨٦	١٢٢٢٣ر٣	١٥٠٦٣	٢٨٣٩ر٧
١٩٨٧	١٥٦٨٠	١٧٩٠٠ر٦	٢٢٢٠ر٦
١٩٨٨	١٥٨٨٩ر٩	١٩٦٢٦ر٣	٣٧٣٦ر٤
١٩٨٩	١٤١٧٨ر٢	٢١٠٢٥ر٨	٦٨٤٧ر٦
١٩٩٠	١٣٨٦٢ر٩	٢٣٨٩٧ر٢	١٠٠٣٤ر٣
١٩٩١	٣٥٤٨ر١	غ٠م	
١٩٩٢	٤١١٥ر٩	غ٠م	

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الحسابات القومية .
الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .
العمود رقم (٣) من عمل الباحثة .

ويشير الجـدول رقم (٣) الى النمـو الواضح في فائض الطلب وذلك تيجة لزيادة الاستهلاك العائلي ، وزيادة دخول بعض شرائح المجتمع ومنهم التجار ورجال الاعمال والمضاربين ،وارتفاع الميل الحدي للاستهلاك ، وشيوع أنماط استهلاكية بذخية ، بالاضافة الى عنصر المحاكاة وفـي الوقت ذاتـه ارتفاع أسعار السلع الاستهلاكية وبالذات أسعار المـواد الغذائيـة منها ؛ وبدا التصاعد في الاسعار واضحا للفترة ٨٨ــ٩٠ بعـد الحرب العراقية الايرانية ومن ثم ازداد ارتفاعا للفترة ما بعد عام ٩٠ •

حـ ـ مقياس الافراط النقدي ، ان الاساس النظري الذي يعتمد عليه هذا المقياس هو الاتجاهات المعاصرة لنظرية كمية النقود ، وبذلك يتم قياس التضخم عن طريق حجم الافراط النقدي في الاقتصاد ونسبته أي تقدير كمية النقود الفائضة التي يتم اصدارها فوق المستوى الامثل الذي كـان لابد أن يسود في التداول لكي يتم المحافظة على مستوى الاسعار السائدة ومن ثم مقارنة هذ ه الزيادة في كمية النقود مع صافي فائض الطلب • ويمكن قيـاس حجم الافراط النقدي ونسبته على وفق الصيغة الآتية :

$$M = Qo.\ Yt - MS$$

حيـث أن :

M = حجم الافراط النقدي الذي يزيد على المستوى الامثل لكمية النقود في الاقتصاد القومي

Qo = متوسط نصيب الوحدة من الناتـج المحلي الحقيقـي من كميـة النقـود المتداولة

Yt = حجم الناتج المحلي الحقيقي بالاسعار الثابتة

Ms = كمية النقـود المتداولة •

إن قياس التضخم عن طريق حجم الافراط النقدي ونسبته يدلل علـى وجود علاقة احصائية بين التغير في حجم كمية النقود والتغير في المستـوى العام للاسعار ، الا ان هذه العلاقة لايجوز فهمها على نحو جامد اذ أن هناك

عاملا جوهريا يؤثر في هذه العلاقة وهو التغير في حجم الانتاج • ومن ثم كمية النقود بالنسبة لوحدة الانتاج • ويوضح الجدول رقم (٤) ان متوسط نصيب الوحدة من الناتج المحلي الحقيقي من كمية النقود المتداولة وحسب مختلف مفاهيم عرض النقد وقد شهد نموا خلال الفترة ١٩٨٠-١٩٩٢ وارتفع بشكل صارخ مابعد عام ٩٠ وهذا يدل على ان عدد وحدات النقود المتداولة المقابلة للوحدة الواحدة الحقيقية من الناتج المحلي الاجمالي قد زادت بشكل واضح • ويتوضح من الجدول رقم (٥) ، انه افترضنا جدلا بأن متوسط نصيب الوحدة من الناتج المحلي الحقيقي من كمية النقود المتداولة في عام ١٩٨٠ سيظل ثابتا لكل الفترة حتى عام ١٩٩٢ • وعند تحديدنا لهذا المتوسط فضلنا ان نختار المتوسط Q3 ، وهو المتوسط المحسوب على أساس قسمة عرض النقود بالمفهوم الاوسع Ms3 على الناتج المحلي الاجمالي وهو يساوي بالدقة ٦٩٧ر٠ في عام ١٩٨٠ • ويتوضح من حساب حجم الافراط النقدي الارتفاع الذي حصل في الاسعار ونلاحظ على الفور من بيانات الجدول رقم (٥) القفزات السريعة التي نما بها الافراط النقدي ، ففي عام ١٩٨١ لم تتعد نسبة الافراط النقدي ٤ر٩٪ ، وصلت الى ٢ر١٣٤٪ عام ١٩٨٩ ، واستمرت في الارتفاع فبلغت ٤ر١٧٣٩٪ عام ١٩٩٢ • ان حجم الافراط النقدي ونسبته تزايدت بشكل واضح في الاقتصاد العراقي ، وهذا يعني قوى شرائية في السوق دون أن يقابلها عرض حقيقي من السلع والخدمات ، ويشكل الحصار الاقتصادي أحد اهم الاسباب • وعلى حد تعبير الاقتصادي M. Friedman [١٥] انه «لايوجد سوى سبب واحد وأساس للتضخم ، وهو ارتفاع عالٍ لكمية النقود •• أي كمية كبيرة من النقود تفوق كمية السلع والخدمات المعروضة » ، ويؤكد فريدمان انه[١٦] « لايوجد سوى علاج واحد للتضخم ، وهو ابطاء النمو النقدي » • وسواء اتفقت الباحثة مع وجهة النظر هذه ، أم وجدتها ناقصة فان النتيجة الجوهرية على وفق كل المقاييس السابقة ، ان هناك علاقة ارتباط واضحة جدا بين الافراط النقدي وفائض الطلب وارتفاع المستوى العام للاسعار •

جدول رقم (٤)
تطور نصيب الوحدة المنتجة من الناتج المحلي الحقيقي من كمية النقود المتداولة بحسب مفهوم MS1 ، MS2 ، MS3 للفترة ١٩٨٠ – ١٩٩٢

مليون دينار

السنة	الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة لعام ١٩٨٠	عرض النقد بالمفهوم الضيق	عرض النقد بالمفهوم الواسع	عرض النقد بالمفهوم الاوسع	$Q1 = \frac{MS1}{G.N.P}$ %	$Q2 = \frac{MS2}{G.N.P}$ %	$Q3 = \frac{MS3}{G.N.P}$ %
١٩٨٠	١٥٩١٨ر٣	٢٦٥٠ر٢	٣٣٤٧ر٣	١١٠٩٨ر٩	٠ر١٧	٠ر٢١	٠ر٧٠
١٩٨١	١٠٣٢٤ر١	٣٦٤٥ر٥	٤٧٠٩ر٣	٨١٦٦ر١	٠ر٣٥	٠ر٤٦	٠ر٧٩
١٩٨٢	١٠٤٩٢ر٥	٤٩٨٠ر٧	٦٢٢٥ر٩	٩٤٧٠ر٦	٠ر٤٧	٠ر٥٩	٠ر٩٠
١٩٨٣	١٠١٣٥ر٣	٥٥٢٧ر٤	٧١٠٢ر٦	١١٥١٣ر٤	٠ر٥٥	٠ر٧٠	١ر١٤
١٩٨٤	١٠٩٥٨	٥٤٩٩ر٢	٧٧٣٥	١٢٧٨٩ر٦	٠ر٥٠	٠ر٧١	١ر١٧
١٩٨٥	١٠٩٢٠ر٤	٥٧٧٧	٨٥٣٢ر٣	١٣٨٩٣	٠ر٥٣	٠ر٧٨	١ر٢٧
١٩٨٦	١٢٢٢٣ر٣	٦٧٢٦ر٦	١٠٠٧١ر٦	١٦١٩٧ر٨	٠ر٥٥	٠ر٨٢	١ر٣٣
١٩٨٧	١٥٦٨٠	٨٣٣٢ر٣	١٢٤٦٠ر٧	١٩٤٤٨ر٧	٠ر٥٣	٠ر٧٩	١ر٢٤
١٩٨٨	١٥٨٨٩ر٩	٩٥٦١ر٩	١٤٩٣٨ر١	٢٢١٣٥ر١	٠ر٦٠	٠ر٩٤	١ر٣٩
١٩٨٩	١٤١٧٨ر٢	١١٣٠١ر٦	١٨٦٣٠ر٨	٢٨٩٠٦ر٨	٠ر٨٠	١ر٣١	٢ر٠٤
١٩٩٠	١٣٨٦٢ر٩	١٥٨٥٥ر٣	٢٤٨٧٤ر٨	٣٤٦٧٢ر٣	١ر١٤	١ر٧٩	٢ر٥٠
١٩٩١	٣٥٤٨ر١	٢٤٥٤٠	٣٤٧٤٨ر١	٤٥١٠٦ر١	٦ر٩٢	٩ر٧٩	١٢ر٧١
١٩٩٢	٤١١٥ر٩	٤٢٧٦٠ر٢	٥٩٥٢٣ر٤	٧٤٤٦٢ر٤	١٠ر٣٩	١٤ر٥٠	١٨ر٠٩

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الحسابات القومية .

الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .

البنك المركزي العراقي ، دائرة الاحصاء والابحاث .

العمود رقم (٥) ، (٦) ، (٧) من عمل الباحثة .

جـدول رقـم (٥)
تطور حجم ونسبة الافراط النقدي في الاقتصاد العراقـي
للفتـــرة ١٩٨٠ ـ ١٩٩٢

السنة	الناتج المحلي الاجمالي بالاسعار الثابتة لعام ٨٠	كمية النقود المثلى المقابلة للناتج المحلي الاجمالي الحقيقي بافتراض Q = ٦٩٧ر٠	كمية النقود المتداولة MS3	حجم الافراط النقدي	نسبة الافراط النقدي ٪
١٩٨٠	١٥٩١٨ر٣	١١٠٩٨ر٩	١١٠٩٨ر٩	صفر	—
١٩٨١	١٠٣٢٤ر١	٧١٩٥ر٩	٨١٦٦ر١	٩٧٠ر٢	٩ر٤
١٩٨٢	١٠٤٩٢ر٥	٧٣١٣ر٣	٩٤٧٠ر٦	٢١٥٧ر٣	٢٠ر٦
١٩٨٣	١٠١٣٥ر٣	٧٠٦٤ر٣	١١٥١٣ر٤	٤٤٤٩ر١	٤٣ر٩
١٩٨٤	١٠٩٥٨	٧٦٣٧ر٧	١٢٧٨٩ر٦	٥١٥١ر٩	٤٧ر٠
١٩٨٥	١٠٩٢٠ر٤	٧٦١١ر٥	١٣٨٩٣	٦٢٨١ر٥	٥٧ر٥
١٩٨٦	١٢٢٢٣ر٣	٨٥١٩ر٦	١٦١٩٧ر٨	٧٦٧٨ر٢	٦٢ر٨
١٩٨٧	١٥٦٨٠	١٠٩٢٨ر٩	١٩٤٤٨ر٧	٨٥١٩ر٨	٥٤ر٣
١٩٨٨	١٥٨٨٩ر٩	١١٠٧٥ر٢	٢٢١٣٥ر١	١١٠٥٩ر٩	٦٩ر٦
١٩٨٩	١٤١٧٨ر٢	٩٨٨٢ر٢	٢٨٩٠٦ر٨	١٩٠٢٤ر٦	١٣٤ر٢
١٩٩٠	١٣٨٦٢ر٩	٩٦٦٢ر٤	٣٤٦٧٢ر٣	٢٥٠٠٩ر٩	١٨٠ر٤
١٩٩١	٣٥٤٨ر١	٢٤٧٣ر٠	٤٥١٠٦ر١	٤٢٦٣٣ر١	١٢٠١ر٦
١٩٩٢	٤١١٥ر٩	٢٨٦٨ر٨	٧٤٤٦٢ر٤	٧١٥٩٣ر٦	١٧٣٩ر٤

المصدر : الجهاز المركزي للاحصاء ، دائرة الحسابات القومية .
الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية السنوية ، ١٩٩٣ .
البنك المركزي العراقي ، دائرة الاحصاء والابحاث .
العمود رقم (٢) ،(٤) ، (٥) من عمل الباحثة .

٣ ـ تأكيد اهمية الاسهم واثرها على مجمل فعاليات الاقتصاد ، اذ ان الاستثمار في الاسهم يساعد على سحب العملة من التداول • وفي هذا الخصوص من المناسب ان يتم فتح الطريق امام سوق بغداد للاوراق المالية لتؤدي دورها في سحب الفائض من الاموال عن طريق الاستهلاك الى طريق الاستثمار لذلك يجب أن لايتم التضييق على هذه التجربة بقرارات ذات طابع جامد أي تحديد الارتفاع والانخفاض بنسب صغير جدا بين ٥٪ـ١٠٪ لان هذا التحديديعرقل عمل السوق الذي وجد من اجله وهدفه •

٤ ـ الاستمرار في طرح السندات ، ونشير هنا الى تجربة يمكن الاقتداء بها هي سندات قادسية صدام التي لاقت في حينها قبولا واسعاً لدى الافراد حيث ان السندات تؤدي الى تحجيم الطلب على ان ترافق عملية بيع هذه السندات حملة وطنية كبيرة تشارك فيها الجمعيات والاتحادات والمنظمات الجماهيرية •

ثانيا ـ جانب العرض ، والهدف منه أحداث زيادة في العرض الكلي للسلع والخدمات ، وذلك عن طريق :

١ ـ القضاء على الطاقات العاطلة في القطاعات السلعية في الصناعة والزراعة والخدمات •

٢ ـ رفع مستوى الانتاجية في القطاعات الانتاجية القائمة ، ولا نقصد هنا انتاجية عنصر العمل البشري فقط ، وانما انتاجية سائر وسائل الانتاج كالارض والاصول الثابتة والمواد الخام ومواد الطاقة•

٣ ـ الاستمرار في نظام البطاقة التموينية ، وربما التوسع فيها كلما اقتضت الضرورة لذلك عن طريق اضافة مواد اخرى أساسية كاللحوم والبيض والالبان والبقوليات وغيرها كلما أمكن ذلك •

٤ ــ الابقاء على نظام الاسواق المركزية والتوسع فيه ، وتوفير السلع الضرورية منها للموظفين .

ثالثا ــ جانب السياسات الاقتصادية المختلفة ، التي تتمثل بالسياسة النقدية والسياسة المالية وسياسة سعر الصرف والتجارة الخارجية والسياسة الأجرية .

١ ــ أدت السياسة النقدية والائتمانية التي طبقت في الفترة ١٩٨٠ــ١٩٩٦ الى حدوث اختلال خطير بين الانفاق النقدي والعرض الحقيقي للسلع والخدمات مما خلق انفجاراً نقدياً لذا يتوجب التخفيض المباشر في معدل نمو عرض النقد الى المستوى الذي يتساوى فيه مع معدل نمو الناتج الحقيقي .

٢ ــ من أجل تقليل العجز في الموازنة العامة للدولة يتوجب أن تتخذ السياسة المالية دورها في زيادة الجهد الضريبي ولاسيما الضرائب المباشرة ، التي تتسم بالعدالة الضريبية لان معدلاتها المتصاعدة تسمح بالتفرقة بين شرائح الدخول المختلفة ، وكذلك فهي تراعي مبدأ القدرة التكليفية للممول . وتجدر الاشارة الى ضرورة تطوير نظام المعلومات الضريبي وتحديثه .

٣ ــ ضرورة محاربة السوق السوداء للنقد الاجنبي التي أصبحت سوقا منظمة، لها قواعدها وزبائنها ، وتتسم بالنمو المستمر ، اذ أن هذ السوق لعبت دورا سلبياً وأدت الى تدهور قيمة النقد المحلي وأدت الى امتصاص الجانب الاكبر من مدخرات الافراد وحولتها عن مسارها المطلوب وهو النظام المصرفي ، وأدت الى تعدد كبير في أسعار الصرف ، أي أن هذه السوق تمثل مصدراً من مصادر عدم الاستقرار النقدي والسعري في العراق ، لذا يتطلب الامر اعتماد معايير جديدة تحكم سياسة النقد الاجنبي في العراق ، ومحاربة السوق السوداء ، وتضييق الخناق عليها.

٤ ـ تعديل الهيكل السائد للاجور في القطاع الحكومي ، الخدمي والاداري، وعلى الرغم من ان هنالك علاقة ترابط أمامية (أي تأثير الاجور على التضخم) وعلاقة ترابط خلفية (أي تأثير التضخم على الاجور) ولكن لاعتبار العدالة الاجتماعية يتوجب اجراء دراسات اقتصادية واجتماعية وطبية دقيقة تتعلق بحساب الضرورات الاساسية والتكاليف الفعلية لمعيشة الموظف وأسرته التي تكفل لهم تحقيق مستوى معيشي انساني معقول . إذ ان مستوى الاجور في الظروف الراهنة لم يعد كافيا للوفاء بمستوى الحد الادنى للمعيشة اللائقة . فضلا عن تأثيراته الاجتماعية والنفسية .

ستراتيجية الامد الطويل :

إن الهدف من ستراتيجية الامد القصير كان هو السيطرة على التضخم، أما الهدف الرئيس من ستراتيجية الامد الطويل فهو القضاء على مسبباته ، لذلك فان ستراتيجية الامد الطويل ترتبط بتحقيق الآتي :

أولا ـ تخفيض معدل نمو عرض النقد وبشكل بطيء وطويل الاجل ، من خلال اتباع سياسة انفاقية مقيدة وكذلك اتباع سياسة نقدية تقييدية فتؤدي هاتان السياستان معاً الى انخفاض مستوى الطلب الكلي وبشكل بطيء حتى يصل الاقتصاد الى الدرجة التي يبدأ فيها الادخار بالتحرك ثم ترتفع الطاقة الاستثمارية تدريجيا ويرتفع مستوى الانتاج الحقيقي ليزيد عرض السلع مما يحد من التضخم .

ثانيا ـ ترشيد سياسة الاقراض المصرفي والحد من الائتمان المصرفي (قروض وسلف) الممنوح للقطاع الخاص واتباع سياسة رشيدة في منح القروض للحد من التضخم .

ثالثا ــ تحقيق النمو المتوازن للاقتصاد القومي عن طريق القضاء على الاختلالات القائمة بين القطاعات المختلفة ونشير تحديداً الى :

١ ــ الاختلال القائم بين نمو القطاعات السلعية والقطاعات التوزيعية والخدمية.

٢ ــ الاختلال القائم بين القطاع الزراعي والقطاع الصناعي .

٣ ــ الاختلال القائم بين القطاع المنتج للسلع الاستهلاكية والقطاع المنتج للسلع الاستثمارية .

٤ ــ الاختلال القائم بين قطاع الانتاج المادي والقطاعات المنتجة للسلع الوسيطة .

رابعا ــ علاج الاختلال الهيكلي في ميزان المدفوعات ، إذ انه اختلال بين حجم الطلب الكلي وبنيانه من جهة ، وحجم الانتاج القومي ونوعيته من جهة اخرى ، وما يرتبط بذلك من علاقات اقتصادية خارجية . ومن الناحية المادية يعكس الاختلال بميزان المدفوعات تخلف في الطاقة الانتاجية عن الايفاء باحتياجات السكان ، ومن الناحية النقدية يعكس قصور موارد النقد الاجنبي عن الايفاء بالاحتياجات من الخارج . ولذا للقضاء على هذه الاختلالات يلزم :

١ ــ تغيير التركيب السلعي للصادرات والاستيرادات ، وتغيير معدل نمو الصادرات بحيث تزيد عن معدل نموالاستيرادات .

٢ ــ تغيير أنماط الاستثمار وسياسات التجارة الخارجية .

٣ ــ ضرورة تنمية القطاع المنتج للسلع الوسيطة .

٤ ــ اتباع سياسة كمركية ملائمة بحيث تقيد نمو البنود الكمالية وشبه الكمالية .

٥ ــ تدعيم جهاز الرقابة على جودة الصادرات الصناعية ، ودراسة الاسواق الخارجية ، واتجاهات الطلب على منتجاتنا .

خامسا ــ توفير الأمن الغذائي ، وما يرتبط به من سيلسات تتعلق بالانتاج والاستهلاك والاستيراد والتصدير ، وتؤكد هنا ضرورة زيادة الناتج المحلي الاجمالي من السلع الغذائية من جهة ومن جهة اخرى العمل على تنظيم الاسرة .

سادسا ــ حل مشكلة السكن في العراق ، عبر الامد الطويل عن طريق سياسة التشييد في قطاع الاسكان وعن طريق سياسة رشيدة تنظم نمو الأسر الجديدة بين العاصمة والمحافظات ، وبين الحضر والريف .

ان ستراتيجية الأمد القصير لايمكن ان تكون العلاج الشافي ولذا يجب الاعتماد على ستراتيجية الامد الطويل التي تهدف الى ارساء اقتصاد متين ووضع نقدي وهيكلي ونفسي مستقر لايتعرض للازمات التي تعمل على الاخلال بالقوى الشرائية وتؤثر بالمستوى العام للاسعار .

ان ذلك يحتاج الى تفهم من قبل الشعب واقتناعه ، وجهد ومثابرة للوصول الى الهدف ، وسيتم الوصول حتماً .



الهـــــوامش :

(١) Irving Fisher, The Purchasing Power of Money, Published in "The Controversey Over the Quantity Theory of Money", edited by Edwin Dean, D.C., Heath and Co., 1965, pp. 9—28.

(٢) باري سيجل ، النقود والبنوك والاقتصاد ، وجهة نظر النقديـــين ، ترجمـــة : د. طـــه عبدالله ، (الـرياض ، دار المريخ ، ١٩٨٧) ، ص٣٦٥ ــ ٣٦٧ .

(٣) فؤاد هاشم ، اقتصاديات النقود والتوازن النقدي ، (القاهرة ، مطبعة التقدم ، ١٩٧٥) ص ٩٠ .

(٤) سامي خليل ، النظريات والسياسات النقدية والماليـة ، (الكويت ، شركة كاظمة للنشر ، ١٩٨٢) ص١٥٧ ــ ١٦٣ .

(٥) E. Shapiro, Macro Economic Analysis, Harcourt Brace Jovanovich, Inc., 1982, p. 212.

(٦) طاهر فاضل حسون ، مصادر التضخم النقدي في العراق ــ أسبابه ومعالجاته ، (العراق ، وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٨) ، ص ١٣٦ .

(٧) رمزي زكي ، علاقة التضخم بالتراكم الراسمالي في البلاد الآخذة في النمو ، (القاهرة ، مطبوعات معهـد التخطيط القومـي ، ١٩٦٦) ، ص٢٨ ــ ٣٤ .

(٨) رمزي زكي ، مشكلة التضخم في مصر ، اسبابها ونتائجها مع برنامـج مقترح لمكافحة الغلاء (القاهرة ، الهيئـة المصريـة العامة للكتـاب ، ١٩٨٠) ، ص٧١ ــ ٨٠ .

(٩) ميلتون فريدمان ، دراسات وقضايا اقتصادية ، ترجمة : الياس اسكندر، (القاهرة ، مؤسسة دار التعاون للطبع والنشر ، ١٩٧٥) ، ص ١٠٦ .
Mrityanjoy Banerjee, "Inflation Causes and Cures" first Edition, New-York. 1974. p. 6.

(١٠) فوزي القيسي ، النظرية النقدية ، (بغداد ، مطابــع دار التضـــامن ، ١٩٦٤) ص٨٠ ــ ٨٧ .

(١١) صبحي حسون عباس ، مسار التضخم في الدول الصناعية الرئيســة وانعكاساته الاقتصادية خلال عقد الثمانينات ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٠ ، ص٦ ــ ٩ .

(١٢) P.A. Samuelson and W.D. Nordhaus, Economics, McGraw Hill International Editions, NewYork, 13 Edition, 1989, p. 308.

(١٣) قيس علي عبدالحسين ، تطور أسعار المستهلك للفترة من ١٩٧٨–١٩٨٨ وعلاقتها بالانفاق الاستهلاكي للفرد في العراق ، وزارة التخطيط ، دراسة رقم ٦٨٨ ، ١٩٨٩ ، ص ١٦ .

(١٤) رمزي زكي ، مشكلة التضخم في مصر ، مصدر سابق ، ص ١٣٤ .

(١٥) Financial Times, 16. 3. 1978.

(١٦) Milton Friedman, News Week, 3.10.1977.

(١٧) يعرف مستوى المعيشة بأنه كمية السلع والخدمات المشتراة لاشباع حاجة الفرد في ظل السعر السائد ، ولذلك فان مستوى المعيشة مرادف للدخل الحقيقي .

عبدالكريم حنش حسين ، العوامل المحددة للاستهلاك في الاقتصاد العراقي للفترة ١٩٧٠–١٩٨٣ ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص ٧٨ .

(١٨) وزارة التخطيط ، هيئة تخطيط القوى العاملة ، الآثار الاجتماعية للتضخم ، بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ٨٥ .

(١٩) انظر جدولا عن تطور القدرة الشرائية للشرائح الاجتماعية في :
محمود خالد المسافر ، التضخم في الاقتصاد العراقي للفترة ١٩٨٠–١٩٩٢، الآثار والمعالجات ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٢ ، ص ١٣١.

(٢٠) حسين عجلان ، تحليل التغيرات البنوية في الاقتصاد العراقي خلال الثمانينات ، خطة بحوث وزارة التخطيط ، بغداد ، ١٩٩١ ، ص ٢١.

(٢١) وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية لعام ١٩٨٦ ، ص ١٢٤

- وزارة التخطيط ، الجهاز المركزي للاحصاء ، المجموعة الاحصائية لعام ١٩٩٠ ، ص ١٨٧ .

(٢٢) طاهر الجنابي ، تحويل القطاع العام الى القطاع الخاص وعلاقته ببعض المتغيرات الاقتصادية الكلية في العراق ، بحث مقدم الى الندوة الاقتصادية في مجال التخصيصية نظمتها جمعية الاقتصاديين العراقيين ، تشرين الاول ١٩٩٤ ، ص ١٩ .

* تجدر الاشارة الى ان سعر الصرف الرسمي بقي ثابتا طيلة الفترة وهي ٣١١ر. أما سعر الصرف المعلن لدى المصارف التجارية فكان ٤٤٠ عام ١٩٩٤ ، و ٥٥٠ عام ١٩٩٥ حيث تم السماح بتعليمات صادرة من البنك المركزي العراقي بتأسيس عدد من شركات التوسط لبيع وشراء العملات الاجنبية بموجب قانون الشركات ، وقد مارست هذه الشركات فعالياتها في ١٩٩٤/١/١ اضافة الى تخويل مصرفي الرافدين والرشيد ممارسة النشاط نفسه استنادا الى موافقة البنك المركزي .
عمر عبدالكريم ، واقع سوق بغداد للاوراق المالية وامكانيات تطويره. منظور اقتصادي ، رسالة ماجستير مقدمة الى كليةالادارة والاقتصاد ـ جامعة بغداد ، ١٩٩٦ ، ص ١٤٢.

(٢٣) علي حسن فخرالدين ، تطور حركة اسعار المواد التموينية ، قسم التدريب التجاري ، وزارة التجارة ، ايلول ١٩٩٦ ، ص ٢ .

(٢٤) عوض فاضل اسماعيل ، اتجاهاتالودائع الادخارية المصرفية الخاصة وفاعلية سياسة الرفع التدريجي لاسعار الفائدة في ضوء الحصار الاقتصادي ومستجداته ، بحث مقدم الى المؤتمر العلمي الخامس لكلية الادارة والاقتصاد ، ١٩٩٢ ، ص ٢٥ .

طه الراوي اللغوي النحوي

د . نعمة رحيم العزاوي

المقدمة :

طه الراوي علم من أعلام الأدب واللغة في العراق ، في النصف الأول من هذا القرن ، وقد اقترن اسمه بأسماء الكرملي ومصطفى جواد والأثري وعبدالقادر المغربي ، ومن في طبقتهم من جهابذة اللغة في العصر الحديث .

ولد المترجم في (عانة) سنة ١٨٨٦م على مايرجح ولده الأستاذ حارث طه الراوي ، وتوفي في بغداد في الحادي والعشرين من تشرين الأول سنة ١٩٤٦ي[١] .

نشأ طه الراوي — الذي ذهب الجدري بعينه اليمنى — في كنف أبيه ، وقد كان مصليا ، قارئا للقرآن ، فتعلق منذ صغره بكتاب الله العزيز ، وشغف بقراءته وتفسيره . وحين اشتد ساعد الفتى ، يمم شطر بغداد ، ليغترف العلم اللغوي والديني من شيوخها ، وأئمة اللغة والدين فيها ، وحين بلغها عام ١٩٠٥ دخل مدرسة (خضر الياس) في جانب الكرخ ، فتلقى فيها علوم الدين[٢] ، ثم دخل كلية آل البيت عام ١٩١٠ ، وبقي فيها حتى إعلان الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤[٣] .

ولم يكن نهم الراوي للعلم ليشبعه ما كان يُلقى في المدرستين المشار اليهما من دروس ، بل قصد الى حلقات الدرس في بعض جوامع بغداد ، وأخذ العلم فيها عن علماء كبار ، في مقدمتهم علامة العراق محمود شكري الآلوسي وسعيد النقشبندي ومحمد سعيد الراوي وعبدالوهاب النائب وعبدالجليل

---

(١) طه الراوي : ١٢

(٢) نفسه .

(٣) نفسه : ١٥ .

آل جميل ويوسف العطار . وكان الراوي يشيد بهؤلاء طوال حياته ، ويذكر فضلهم عليه[4] .

وبعد أن أتم الراوي تعليمه ، تقلد وظائف حكومية كثيرة ، تراوحت بين التعليم والمناصب الادارية ، وكان آخر منصب شغله هو تعيينه أستاذا في دار المعلمين العالية عام ١٩٣٩ ، ومكث في هذا المنصب حتى وفاته .

لم يكن الراوي علماً في اللغة حسب ، بل كان شاعراً ولكنه مقل ، وكان باحثا في الأدب العربي وتاريخه ، وله فيه دراسات رصينة وعميقة ، تناول فيها أبا نواس والمتنبي والمعري من الشعراء القدامى ، والزهاوي والرصافي وفهمي المدرس وابراهيم صالح شكر من الادباء المحدثين . وقد سجل لنا الاستاذ حارث طه الراوي بعض شعر أبيه وبعض دراساته في الكتاب الذي ألفه عنه ، والذي تقدمت الاشارة اليه . ولا تزال للمترجم اشعار ودراسات ومقالات مخطوطة ، أو مبثوثة في الصحف والمجلات ، لم يكتب لها أن تجمع وتنشر .

وأما المطبوع من كتبه فأربعة ،هي (أبو العلاء في بغداد) وهو كتاب صغير الحجم ، طبع في بغداد عام ١٩٤٤ ، وكان في أصله محاضرة ألقاها الراوي في بغداد إبان المهرجان الألفي الذي أقيم للمعري في سوريا سنة ١٩٤٤ ، وكان الراوي ومحمد مهدي البصير والجواهري اعضاء الوفد العراقي الى المهرجان المذكور . وقد ارتجل الراوي في هذا المهرجان محاضرة قيمة عن المعري ، عنوانها (سر الخلود في شعر أبي العلاء) ، يجدها القارىء في الكتاب الذي نشره المجمع العلمي العربي في دمشق ، والذي ضم البحوث التي ألقيت في المهرجان[5] .

وكتاب (بغداد مدينة السلام) الذي نشرته دار المعارف بمصر في سلسلة اقرأ عام ١٩٤٥ .

---

(٤) نفسه : ١٨ .
(٥) المهرجان الألفي لأبي العلا المعري ، مطبعة الترقي في دمشق ، ١٩٤٥ .

وكتاب (تاريخ علوم اللغة العربية) الذي طبعته وزارة المعارف العراقية بعد وفاة الراويّ ، وقد كان مقرراً على طلبة دار المعلمين العالية سنوات عدة .

وكتاب (نظرات في اللغة والنحو) الذي طبع في بيروت عام ١٩٦٢ ، وضم بحوثه اللغوية والنحوية التي نشرها في بعض المجلات العلمية في عصره مثل (مجلة المجمع العلميّ العربيّ) بدمشق ، ومجلة (الثقافة) القاهرية ، ومجلة (الكاتب المصريّ) ومجلة (اللسان) البغدادية وغيرها .

وكانت تجمع الراويّ صداقة حميمة ببعض أعلام الفكر في عصره ، ومن هؤلاء محمد كرد علي وعزالدين علم‌الدين وعبدالقادر المغربيّ ومحمد البيطار وخليل مردم في سوريا ، وعلي الجارم وزكي مبارك وابراهيم المازنيّ وعبدالوهاب عزام وأحمد حسن الزيات في مصر . كما كانت بين الراويّ وهؤلاء مراسلات تكشف عن علو منزلته في نفوسهم ، وتشير الى اكبارهم إياه ، لوفور علمه ، ورسوخ قدمه في مضماري اللغة والأدب ، وقد جمع ولده حارث كثيراً من هذه الرسائل في الكتاب الذي نوهت به .

(١)

قضايا لغوية

عرض الراويّ لكثير من القضايا اللغوية ، ولكني سأقتصر هنا على ما كان للراويّ رأي فيه ، أو موقف منه .

الاشتقاق « هو عملية استخراج لفظ من لفظ ، أو صيغة من أخرى »[٦] وقد تكلم الراويّ عليه بوصفه وسيلة من وسائل نمو اللغة واثرائها ، وعدّه « من أكبر الابواب التي تنهض باللغة ، وتمدها بمعين لاينضب »[٧] ، كما دعا الى الاستفادة منه في عصرنا الحاضر « لأن المعاني الجديدة المتدفقة والمبدعات العصرية المتكاثرة ، تتطلب من الالفاظ ماتعيا به مفردات اللغة ، اذا لم تفزع

---

(٦) من اسرار اللغة : ٤٦ .

(٧) تاريخ علوم اللغة العربية : ٢٤ .

الى هذا الباب ، فتوسع منه ما ضيقه بعض المتشددين ، ثم تستمد منه العون ، فتجد فيه خير معين ، وأقوى نصير »[٨] .

وهذا الذي جهر به الراويّ في الاربعينيات من هذا القرن يعد رأيا جريئا ، ودعوة طالما تنكر لها المتشددون ، الذين ابوا أن تستفيد العربية من أهم خصيصة فيها ، وهي الاشتقاق ، لأنهم كانوا يرفضون ما لم تتكلم به العرب ، وما لم تأت به المعجمات . ولم يكن الراويّ وحده في الجرأة بل شاركه فيها لغويون آخرون عاصروه ، لم يقلوا عنه غيرة على اللغة ، وحماسة في تنميتها . من هؤلاء الرصافيّ الذي قال : « الاشتقاق ضرورة لابد منه ، ولايجوز أن يكون عدم السماع حجة في منع قياسه واطراده » ، وقال : « ان سلمنا في كلمة من المشتقات أنها غير مسموعة ، وغير واقعة أيضا اكتفينا في جواز استعمالها بسماع نظائرها المطردة المقيسة . فان العرب ان لم تقل : (حابّ) من (حبّ) فقد قالت (سابّ) من (سبّ) و (عادّ) من (عدّ) و (رادّ) من (ردّ) الى غير ذلك من الكلمات التي جرت في كلامهم على وجه الاطراد ، فمنعنا استعمال (حابّ) بحجة عدم السماع تحكم في اللسان وتهكم بسماع نظائرها المطردة ، ورمي للغة بالجمود »[٩] .

ومنهم جبر ضومط الذي وصف الاشتقاق بأنه عماد حياة اللغة ، « وأقوم مقوم من مقوماتها ، أو بعبارة أخرى هو حياتها ، وعليه يتوقف ارتقاؤها أو انحطاطها ، تقدمها ، أو تأخرها »[١٠] . وقال : « فان كان الاشتقاق مرتقيا نشيطا كثرت مواليد اللغة وعاشت ، وإلا قلت وماتت»[١١] .

وعرض الراويّ لضرب من الاشتقاق أولع به ابن جني ، وسماه (الاشتقاق الاكبر) ، وهو أن المعنى في بعض الكلمات يقرره الحرفان الأول

---

(٨) نفسه : ٢٦ .

(٩) الدراسات اللغوية في العراق : ٢٤٥ ، ٢٤٦ ، وينظر مصدره .

(١٠) فلسفة اللغة العربية وتطورها : ١١٨ .

(١١) نفسه .

والثاني ، وأما الحرف الثالث فينوع ذلك المعنى ويحدده ، من ذلك مادة (ف ل) وما يثلثها تدور حول الشق والفتح مثل (فلح) و (فلج)و (فلع) و (فلق) و (فلذ) و (فلى) ، ومثل ذلك مادة (ق ط) وما يثلثها ، نقول (قطّ) و (قدّ) و (قطع) و (قطف) و (قطر) و (قطن) ، وكلها بمعنى الانفصال .

وقد علق الراويّ على هذا الضرب من الاشتقاق بقوله : « ويذهب بعض اللغويين الى أن هذا الأصل جار في كل تراكيب المواد اللغوية ، ولو بضرب من التأويل ولو قليلا ، وهذا مذهب لايخلو من المبالغة ، اذ أن كثيراً من مفردات اللغة دخل عليها من لغات أخرى ، ثم صار مع الزمان كأنه منها في الصميم ، ولايمكن في حال من الأحوال أن يرد الى أصل من أصولها ، وللغفلة عن هذه الناحية نجد الكثير من اللغويين يتمحلون لبعض الكلمات اشتقاقات أقل ما يقال فيها إنها من المضحكات . حكي عن بعضهم أنه سئل عن اشتقاق (الجرجير) ــ نوع من النبات ــ فقال : سمي كذلك لأن الريح تجرجره ، أي تجره ، وسئل عن اشتقاق (الجرة) ، فقال : لأنها تجر على الأرض ، ويقول انما سمي الثور ثوراً لأنه يثير الأرض للحرث ، إلى أمثال هذا الهذيان .

والأعجب أن بعضهم يتكلف للأعلام الأعجمية ضرباً من الاشتقاق تتقاطر السخافة من أطرافه ، ولا تعدم في هذا العصر أناساً من هذا القبيل »[١٢] .

وقد عرفه طه الراويّ بأنه أن « يعمد الشخص الى كلمتين فأكثر فيقطع منهما حرفا ويؤلف منهما كلمة جديدة ، يدل على مجموع المركب الذي اقتطعت منه ، أو على معنى آخر قريب من معنى ما اقتطعت منه ، فيقول في النسبة الى عبد شمس (عبشميّ) كما يقول، : بسمل فلان يريد أنه قال بسم الله الرحمن الرحيم ، ويسمون العجوز الصخابة : صهصلق ، أخذاً من (صهل) و (صلق) بمعنى صات صوتا شديداً »[١٣] .

---

(١٢) تاريخ علوم اللغة العربية : ٢٤ ، ٢٥ .
(١٣) نفسه : ٢٦ .

والفرق بين النحت والاشتقاق هو « أن الاشتقاق في أغلب صوره عملية إطالة لبنية الكلمات ، في حين أن النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات»[١٤] • فقولنا (بسمل) أخصر من قولنا : قال بسم الله الرحمن الرحيم •

والذي يعنينا من أمر النحت هنا هو موقف طه الراوي من الاعتماد عليه، والاستفادة منه في اغناء العربية ، وزيادة ثروتها ، وتمكينها من التعبير عن معطيات الحضارة ، ومتطلبات العلم في هذا العصر •

لقد اختلف اللغويون القدماء في (قياسية) النحت أو (سماعيته) ، فهو « سماعي عند معظم علماء اللغة القدامى ، وقد عده ابن فارس قياسياً وذهب الى أن كثيراً من الكلمات الرباعية والخماسية تألفت منه »[١٥] •

وكما اختلف القدماء في قياسية النحت وسماعيته ، كذلك اختلف اللغويون المحدثون ، فمنهم من أبى الاخذ به في المصطلحات العلمية ، لقلة ما ورد منه في اللغة ، ولأن « كل لفظة منحوتة وضعت في العلم لم تعش طويلا »[١٦] • ومن هؤلاء الكرملي ومصطفى جواد[١٧] الذي قال : « وعلى ذكر النحت أود أن أشير الى أني لا أركن اليه في المصطلحات الجديدة إلا نادراً لأنه نادر في العربية ، ويشوه كلمها ، وماذكره ابن فارس في مقاييس اللغة وفقه اللغة لايعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد ، وكل ما ثبت عندي منه عدة رموز جميلة مثل (سبحل) فلان أي قال : سبحان الله ، و (حوقل) قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، و (طلبق) قال : أطال الله بقاءه، و (دمعز) قال : أدام الله عزك ، ولولا أن هذه الجمل كانت من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم ما استجازوا لها هذا الاختصار ، ثم ان النحت للأفعال

---

(١٤) من أسرار اللغة : ٨٦ .

(١٥) الدراسات اللغوية في العراق :٢٥٤ وينظر الصاحبي :٢٧١ .

(١٦) نفسه : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(١٧) نفسه .

لا للأسماء ، أعني أنهم كانوا يقولون : (سبحل فلان) و (حوقل) ولم يقولوا في العادة : اعتاد فلان السبحلة والحوقلة ، فالمصدر لم يكن مراداً في استعمالهم النحت ، مع أن وضعنا للمصطلحات يعني الأسماء قبل غيرها ، فاذا احتجنا الى الأفعال اشتققناها من المصطلح نفسه »[١٨].

ومن اللغويين المحدثين من دعا الى الأخذ بالنحت في اغناء العربية بالمصطلحات ، ومن هؤلاء طه الراوي ّ ومحمد بهجة الاثري ّ وابراهيم السامرائي ّ[١٩] .

أما طه الراوي ّ فقد قال : « وللنحت يد سموح في امداد اللغة بالثروة ولا سيما لغة العلم ، ولكن بعض المتأخرين حالوا بين أهل العلم وبينه ، بقولهم انه باب سماعي ّ ، وبذلك أوصدوه في وجوه القوم على حين الحاجة الماسة في فتحه وتوسيعه بقدر المستطاع ، لمعالجة الفاقة اللغوية تجاه المعاني العلمية التي فاض فيضها وعب ّ تيارها في هذا العصر » . وقال : « ثم ما لنا وللمتشددين من متأخري النحاة الذين كلما انفتح امام اللغة باب تنفس منه ، هرعوا اليه وسدوه ، على زعم أنهم يخدمونها بالمحافظة عليها ، وسد ّ مسالك العجمة عنها ، وما أشبه عملهم هذا بعمل تلك الصينية التي تضع قدميها في زوجي خف من الحديد للمحافظة على غضارتهما وجمالهما ، ولم تدر أنه سوف يأتي عليها زمن تفقد فيه هاتان القدمان قوتهما ، وتعجزان عن القيام بوظائفهما ، وكذلك شأن اللغة عند هذا الفريق من القوم ، يوصدون عليها أبواب القياس ، ويأخذون عليها مجامع الطرق ، على زعم أنهم يحرسونها، ويحافظون على نضارتها ، ويبقون على غضارتها ، وفاتهم أنهم بهذا الصنيع يعملون على اماتتها باماتة عناصر الحياة فيها ، وابعاد عوامل النماء عنها . وانهم لايزالون يضيقون عليها السبل حتى يقول المرجفون ، والذين في قلوبهم مرض : انها اصبحت لغة مصابة بفقر الدم ، وذبول الخليات ، ومنيت

(١٨) المباحث اللغوية في العراق :٨٦ .
(١٩) الدراسات اللغوية في العراق :٢٦٥ .

بسائر أعراض الهرم ، فصارت عاجزة عن أن يتسع صدرها للمعاني الجديدة المتكاثرة ، والعلوم العصرية المتدفقة بالمصطلحات ، وبذلك يسجلون عليها عجزها ، وهي غير عاجزة ، وفقرها وهي غير فقيرة ، وانما العجز في نفوس الذين يزعمون أنهم قائمون على خدمتها ، وهم في وأدها مشتغلون ، والفقر في تفكيرهم وهم لايعلمون»[٢٠] .

ولعل من المفيد أن أشير هنا الى بعض المنحوتات الجديدة[٢١] ، ومنها قولهم في (قلم الحبر) : قلحب وقلمح وقحبر و قلبر ، وقولهم في (فحم السكر) : فحمس وفحسك وفحكر ، وقولهم في (حلل الكحول) : حلكح وقولهم (البرمائية) من البر والماء ، و (حينب) من الحيوان والنبات و (الحيمن) أو (الحويمن) من (الحيوان) و (المنوي) و (حلقظة) من (حلم ــ يقظة) و (الفنسجي) أو (النفسجسمي) في الطب النفسي الجسمي ، و (أنغمي) للصوت الذي يتخذ مجراه من الأنف والفم معا، و (قبتاريخ) في (قبل التاريخ) .

وكما أفاد القدماء من (لا) النافية فوضعوا مصطلحات علمية رشيقة فقالوا (لامتناهي) و (لا أدرية) ، وقال المعاصرون (اللاسلكية) و (اللامركزية) و (اللادينية) و (لا ارادي) و (اللا فقريات) .

وتجدر الاشارة الى أن بعض هذه المنحوتات لم ترض اللغويين ، بل استثقلوها ،ورموها بمجافاة الذوق العربي في صوغ الكلمات ، ورأوا أن استعمال كلمتين خير وأجدى ،اذا أدى النحت الى كلمات لا يقبلها الذوق، أو يستغلق بها المعنى[٢٢] . وكان قرار مجمع اللغة العربية في القاهرة حكيماً، حين وافق أعضاؤه على جواز النحت ،عندما تدفع اليه الضرورة[٢٣] .

(٢٠) تاريخ علوم اللغة العربية : ٢٨ ، ٢٩ .
(٢١) الدراسات اللغوية في العراق :٢٦١ــ٢٦٥ ودراسات في فقه اللغة:٢٧٣.
(٢٢) دراسات في فقه اللغة : ٢٧٣ .
(٢٣) نفسه .

التعريب :

من الثابت أن اللغات يستعين بعضها بألفاظ بعض ، وقد حدث هذا بين اللغات القديمة ، ولايزال يحدث بين اللغات الحديثة[٢٤] .

وقد « لجأ العرب الى التعريب قديما حين اتسعت حياتهم وحضارتهم، واتصلوا بالامم المجاورة والثقافات الاجنبية ،فانتقلت الى العربية ألفاظ جديدة ،خضع قسم كبير منها الى النسيج الدقيق للكلمة العربية من حيث الأوزان والصيغ ،وتبدل بعض الحروف وتغير موقع النبر ، حتى أصبحت على صورة شبيهة بالكلمات العربية ، وهي التي سماها علماء العربية بالألفاظ المعربة ، أما غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية ، فأطلق عليها الالفاظ الدخيلة ، وقد يطلق على المعرب اسم الدخيل أيضا »[٢٥] .

غير أن قسما من الباحثين يفرقون بين المعرب والدخيل على نحو آخر ، فيرون أن الدخيل هو اللفظ الذي أخذته اللغة في مرحلة من حياتها متأخرة من عصور العرب الخلص الذين يحتج بلسانهم ، وتأتي الكلمة الدخيلة كما هي أو بتحريف طفيف في النطق ، أما المعرب فهو لفظ استعارة العرب الخلص في عصور الاحتجاج من أمة أخرى[٢٦] .

وقد وقف الباحثون المتزمتون بالتعريب عند عصور الاحتجاج ، بمعنى أنهم قبلوا ما دخل اللغة من الأجنبي في العصر الجاهلي وصدر الاسلام والعصر الأموي ، ثم أوصدوا الباب بوجهه ، فلم يقبلوا ما دخل اللغة منه في العصر العباسي[٢٧] .

ومن هؤلاء المتزمتين أحمد الاسكندري والرافعي وعزالدين علم الدين التنوخي[٢٨] ونازك الملائكة التي آثرت كلمة (المرئي) على التلفزيون لأن

---

(٢٤) من اسرار اللغة : ١٠٢ .
(٢٥) الدراسات اللغوية في العراق :٢٦٦ .
(٢٦) نفسه .
(٢٧) فصول في فقه العربية : ٢٢٠ ، ٢٢١ .
(٢٨) الدراسات اللغوية في العراق : ٢٦٨ ، ٢٦٩ .

كونها عربيـة تجعلها أقـرب الى نفسها من الكلمة الاجنبية[٢٩] . و « يخالف هذه الطائفة مخالفة تامة فريق من الباحثين يذهب الى وجوب تعريب الالفاظ الاعجمية والسماح للكلمة « الاجنبية » بأن تدخل الى متن العربية فتزيدها ثروة الى ثروتها ، ولاسيما تلك الالفاظ التي يمكن أن تعـد مصطلحـات عالمية مشتركة في جميع اللغات »[٣٠]

ومن هؤلاء يعقوب صروف الزهاوي اللذان قبـلا (المكرسكوب) و (المكـروب) و (السينمـا) و (التلسكـوب) كمـا قبل القـدامى (الاسطرلاب) و (الاسفنج) و (الهيولي) ، وكان بامكانهم وضع كلمات عربية بدلا منها بالاشتقاق أو النحت[٣١] .

ومنهم كذلك معروف الرصافي الذي قال : « ان بعض المولديـن من كتاب العصر ايلقوا على (التَـوْمَـبيل) ـ كزَنْجبيل ـ اسـم السيارة ، وهو حسن أيضا لكنه لايمنع من التعريب ، فان أكثر المعربات لها أسماء في اللغة العربية ومع ذلك عربتها العرب واستعملتها في كلامها »[٣٢] . وقـال: «فالصواب أن تفتح باب التعريب على مصراعيه وأن تأخذ منه ما تقـرر باستعمال العامة اياه ، بعد صقله وتحويره ان كان فيه شيء مـن التنـافر أو الثقل او الخشونة بالنسبة الى لهجتنا العربية »[٣٣] .

ويقف أكثر الباحثين موقفا معتدلا ، فيرون جواز الاستعانة بالتعريب عند الضرورة ، وقد مثل هؤلاء خير تمثيل المجمع اللغـوي المصري الذي أصدر قراراً بجواز التعريب ، جاء فيه « يجيز المجمع ان يستعمـل بعض الألفاظ الاعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم »[٣٤] .

---

(٢٩) النقد اللغوي بين التحرر والجمود : ٨٧ .
(٣٠) الدراسات اللغوية في العـراق : ٢٦٩ .
(٣٢) نفسه : ٢٧٨ وينظر مصدره .
(٣٣) نفسه : ٢٧٩ وينظر مصدره .
(٣٤) نفسه : ٢٧٠ ، ٢٧١ وينظر مصدره .

وقد بحث طه الراوي ظاهرة التعريب بحثا مفصلا وافياً ، فأطلق كلمة (المعرب) على كل كلمة نقلت من لغة أجنبية بتغيير أو بدونه . ثم مثل لما غيروه من ألفاظ عند التعريب بكلمة (سكر) فانه معرب (شكر) و (إقليد) وهو المفتاح فانه معرب (كليد) و (بنفسج) فهو معرب (بنفشه) ومثل لما لم يغيروه بالكلمات (النوروز) و (الكاغد) و (البخت) بمعنى الحظ (٣٥) .

واذا كان المجمع المصري قد مثل الفريق المعتدل من اللغويين ، فقيد التعريب بشرطين : أولهما الضرورة ، وثانيهما التزام طريقة العرب في التعريب فان الذي يفهم من كلام طه الراوي أنه أخذ بهذين الشرطين ايضاحين

قال : « أما نحن فيجب علينا ونحن في عصر يتدفق بالمعارف ألا نقف موقف الجبان المتهيب ، وما علينا إلا أن نشق لنا طريقا لاحبا من بين هذه العقاب المنيعة ، وتتخذ من أعمال أولينا مناراً نأتم به في عملنا ، ونستنير به في هذه السبيل ، ولهذا كان من واجب أبناء العربية لهذا العهد أن يقتلوا هذه الناحية بحثا ، ليعرفوا ما يأتون وما يذرون في تمهيد طريق الحياة للغتهم في هذا العصر الذي تطورت فيه الافكار تطوراً هائلا ، وصار من البعيد أن تقوم قائمة للغة إلا اذا مشت مع أفكار بنيها كتفا بكتف»(٣٦) .

وقد أثار الزاوي في كلامه على التعريب أموراً استكمل بها هذا الموضوع ، ووفاه حقه ، سنوجزها فيما يأتي :

(١) الدعوة الى البحث عن أصل الكلمة المعربة والرجوع بها الى اللغة التي نقلت عنها ، وقد رد بذلك على أولئك الذين يرون أن ضبط الكلمات ومعرفة معانيها وضروب اشتقاقها يغني عن معرفة ان هذه الكلمات أصيلة أو مستعارة ، ولاسيما بعد أن نحكم بأن اللفظ المستعار لا يلبث

---

(٣٥) تاريخ علوم اللغة العربية : ٤٨ ، ٤٩ .
(٣٦) تاريخ علوم اللغة العربية : ٥١ .

أن يأخذ مكانه من اللغة المستعيرة ، ويكون له ما للأصل وعليه ما عليه ، فقد رأى الراوي أن معرفة أصل الكلمة المعربة « هو اكبر معين في دراسة تاريخ اللغة وفلسفتها ، وأقوى نصير في معرفة أسرار نمائها ، وعوامل بقائها الى غير ذلك من الفوائد التاريخية واللغوية »[37] .

(٢) الدعوة الى تغيير الكلمة المعربة بحذف ما فيها من حروف ليست في العربية ، كما قالوا في (البرند) : الفرند ، تجنبا للباء الفارسية ، وقالوا في (چك) : صك استبعاداً للجيم غير العربية ، وقالوا في (چين) : صين للسبب نفسه . أو بجعل الكلمة المعربة قابلة للتحريك ، كما فعلوا في تعريب الكلمات المختومة بـ (هاء) ساكنة ، اذ أبدلوا (الهاء) بـ (قاف) أو (جيم) في مثل (دورق) للجرة ذات العروة وأصلها (دوره) و (برنامج) وأصلها (برنامه) . أو بجعل الكلمة أقصر وأخف بحذف بعض حروفها كما قالوا في (سَرْدآب) : سرداب بحذف الهمزة التي تسبق الألف ، أو بحذف شطر الكلمة كما ناي (ناي) في (ناي نرمين) ، وكان يرى ان بعض الكلمات المعربة القديمة قد لحقها التغير من غير ضرورة ، كما قالوا في (كاك) : كعك ، وفي (دهخان) : دهقان وهو رئيس القرية ، ومقدم أهل الزراعة من العجم .

(٣) عدم ضرورة إلحاق الكلمة المعربة بأوزان كلام العرب ، وهذا في رأي طه الراوي هو ما عليه الجمهور ، فربما ألحقوا المعرب بأبنيتهم كما فعلوا في (درهم) و (بهرج) ، وربما لم يلحقوه كما في (الإفرند) و (آجرّ) . ثم عقب الراوي على هذا بقوله : ولكنهم يستحسنون ردّ المعربات الى أبنية اللغة العربية ، اذا جاء ذلك بسهولة ، ولذلك استعملوا (نيروز) اكثر من (نوروز) لأن الاول ادخل في كلامهم وأشبه به ، فهو

---

(٣٧) نفسه : ٥٢ .

كقيصوم وعيثوم . ثم قال : « وبهذا نعلم سخف ما يذهب اليه بعض المعاصرين المتشددين من وجوب الحاق المعربات بأوزان العرب »[٣٨] .

وكان الراوي متسامحاً في دعوته هذه ، فقد ذهب مذهب اكثر اللغويين القدامى ، فهؤلاء يرون جواز تعريب الالفاظ الأعجمية دون إخضاعها للأبنية العربية ، ومنهم سيبويه الذي قال عن المعرب : « فربما ألحقوه ببناء كلامهم وربما لم يلحقوه »[٣٩] . وابن سيده الذي نقل كلام سيبويه ووافقه عليه[٤٠] . وابن بري الذي قال : « وجدنا في كلامهم أسماء كثيرة مما عربوه مخالفا لاوزانهم »[٤١] . وابو حيان الاندلسي الذي ذهب الى أن « الاسماء الاعجمية على ثلاثة أقسام : قسم غيرته العرب وألحقته بكلامها . وقسم غيرته ولم تلحقه بأبنية كلامها ، وقسم تركوه غير مغير»[٤٢] .

ويبدو أن رئيس مجمع اللغة العربية في مصر قد ترخص أيضا في شرط الحاق المعرب بأوزان كلام العرب ، فقد دعا الدكتور مدكور الى فسح مجال التعريب دون أي عائق ، وقال : « وليس بلازم أن يكون التعريب على ابنية العرب ، وعربت فعلا الفاظ على نحو ما كانت تنطق به في اللغة الأصلية ، والعلم هو تراث الانسانية جمعاء ، يجب أن يفسح مجال التبادل فيه ، وان تيسر سبيله ، ومن وسائل التيسير أن يسمح بتبادل الالفاظ كما تتبادل الافكار والمعاني »[٤٣] .

ولبعض الباحثين المعاصرين موقف آخر من هذه القضية ، اذ ذهب الى أن التعريب المتعمد الذي تنجزه المجامع لابد أن يقر فيه المعرب على الابنية العربية ، أما التعريب العفوي الذي يأتي على ألسنة الناس في الاستعمال

(٣٨) تاريخ علوم اللغة العربية : ٦٢ .
(٣٩) الكتاب : ٣٤٢/٢ .
(٤٠) في فقه اللغة : ١٩٧ وينظر مصدره .
(٤١) نفسه : ١٩٧ ، ١٩٨ وينظر مصدره .
(٤٢) ارتشاف الضرب : ٧٢/١ .
(٤٣) في فقه اللغة : ٢٠٠ وينظر مصدره .

العام كتعريب أسماء النبات والحيوان ، والمأكل والمشرب والملابس وآلات الحرب وأسماء المخترعات العلمية والفنية فلا ينتظر ضرورة ، ولا يبحث عن ترخيص أو اجازة أو أن يأتي المعرب على ما في العربية من أبنية وأوزان»(٤٤).

(٤) الدعوة الى عدم البحث عن جمود الأعلام الاعجمية او اشتقاقها ، فلا يجوز في رأيه أن يقال ان (إبليس) مأخوذ من (الإبلاس) بمعنى اليأس والانكسار و (إسحاق) من (أسحقه) الله إذا أبعده ، فالإبلاس والإسحاق لفظان عربيان ، وابليس واسحاق علمان أعجميان ، ولا يعقل أن يشتق الاسم الأعجمي من لفظ عربي (٤٥) . وقال الراوي : « ولا يغرنك ما تراه مبثوثا في معاجم اللغة من هذا القبيل ، لانه صادر عن ذهول في الغالب »(٤٦) .

(٥) الدعوة الى عدم البحث عن اشتقاق أسماء الأجناس الأعجمية « لأن هذا الاشتقاق إما أن يكون من أصل أعجمي لا شأن للعربية فيه .. وإما أن يكون الاشتقاق من لفظ عربي وهو محال ، اذ لايعقل أن يشتق الأعجمي من العربي ، كما لايعقل العكس .. ومن اشتق الأعجمي المعرب من العربي كان كمن ادعى أن الطير من الحوت ، وما ورد في كتب اللغة مما يخالف هذا الأصل فهو تخليط لايعبأ به ، ولايجوز أن يصار اليه»(٤٧).

أما الاشتقاق من أسم الجنس الأعجمي المعرب فمعروف في العربية ـ كما يرى الراوي ـ شائع فيها ، فقد تصرفوا في (اللجام) وهو معرب تصرفهم في لفظ عربي ، فقالوا (ألجم ، يلجم إلجاماً ورجل مُلجم وفرس مُلجَم) وقالوا (تلجّم يتلجّم تلجّما) ، كما تصرفوا في (الديوان) فقالوا (دوّن يدوّن تدوينا) والرجل مدوِّن والعلم مدوَّن ، وقالوا (بهرجه)

(٤٤) المظاهر الطارئة على الفصحى : ١٣٣
(٤٥) تاريخ علوم اللغة العربية : ٦٣ .
(٤٦) نفسه : ٦٤ .
(٤٧) نفسه .

اذا ابطله ، وأصله درهم بهرج أي رديء ، وهو معرب (بهره) ويراد به الزغل والباطل[٤٨] • وقالوا (كهرباء) وهو معرب (كاه‌ربا) الفارسية ، ومعناه فيها جاذب التبن ، ويريدون به المادة التي يعمل منها هذا الخرز الأصفر المعروف اليوم باسم (الكهرب) ، ثم قالوا : (تكهرب الجسم) و (جسم مُكهرَب) و (قد كهربنا الصندوق) ، وكذلك قالوا (التلفون) ثم اشتقوا منه (تلفن فلان يتلفن)[٤٩] •

(٦) الدعوة الى الحيطة والحذر في القطع بأن الكلمة معربة أو أصيلة، والاستئناس بما وضع القدامى من أمارات تنبيء بعجمة الكلمة ، وبما سنه المحدثون من ضوابط في هذا الشأن •

وقد سرد الراوي الوجوه التي وضعها القدماء لمعرفة اللفظ المعرب ، ثم ذكر بعض ما توصل اليه المحدثون من ضوابط جديدة • فأما الوجوه التي نقلتها كتب اللغة فاثنا عشر وجهاً هي [٥٠]:

* أن ينقل ذلك عن أحد أعلام اللغة •
* خروج الكلمة عن أوزان العربية مثل (الإبريسم) •
* أن يكون في أول الاسم نون بعدهاراء مثل (نرجس) ، فهي معرب (نركس) •
* أن يكون آخر الكلمة زاي بعد دال مثل (مهندز) لذلك قالوا (مهندس) ليبعدوا عما لا عهد لهم به •
* أن يجتمع في الكلمة الجيم والصاد مثل (الصولجان) و (الجَص)•
* ان يجتمع فيها الجيم والقاف مثل (منجنيق) و (الجوسق) للقصر و (الجوقة) للجماعة من الناس •

---

(٤٨) نفسه : ٦٥ .

(٤٩) نفسه : ٦٦ .

(٥٠) تاريخ علوم اللغة العربية : ٥٣ وما بعدها .

* أن يكون الاسم رباعيا أو خماسيا وهو خال من أحد حروف الذلاقة التي يجمعها قولك (فر من لب) ، لما في الرباعي والخماسي من ثقل تلخصها منه بعض هذه الحروف لخفتها ، وقد شذ (عسجد) .
* أن يجتمع في الكلمة الصاد والطاء مثل (اصطبل).
* أن يجتمع في الكلمة السين والذال في مثل (ساذج) فهو معرب (ساده) وهو البسيط الخالص مما يشوبه .
* أن يجتمع في الكلمة الجيم والطاء مثل (طازج) فهو معرب (تازه) وهو الطري .
* أن يجتمع في الكلمة السين والزاي مثل (مزاب) وهي بقلة .
* أن يجتمع في الكلمة لام بعدها شين مثل (التفليش) بمعنى (الهدم) لأن الشينات في كلام العرب قبل اللامات مثل (شغل) .

وأما ما وضعه المحدثون من أصول يهتدي بها الباحث الى معرفة اللفظ المعرب فأهمها في نظر الراوي"[51] :

أ ـ اذا كانت الكلمة تطلق على شيء هو من نتاج بيئة معينة ، أو مما يعيش فيها ، على انها أصل في لغة تلك البيئة ، ومنها نقلت الى غيرها من اللغات مثل كلمة (القهوة) التي هي عربية النجار لأنها من منتوجات بلاد اليمن في الأصل ثم انتقلت الى البلاد الأخرى ، وقل مثل ذلك عن (الجمل) و (الغزال) ونحوهما من الحيوانات التي تكثر في بلاد العرب ، ومنها نقلت الى غيرها . وأما (الفلفل) فمصدره بلاد الهند، وان اسمه في السنسكريتية (فيفالا) . وقل مثل ذلك عن (المِسك) الذي هو من نتاج الهند أيضا ، ومنها يحمل الى سائر بلاد العالم ، وان هذه اللفظة مستعملة في السنسكريتية .

---

(٥١) نفسه : ٥٨ ، ٥٩ بتصرف قليل

ب ـ اذا ذهبنا الى القول ان العربية والعبرانية والكلدانيـة هي بنات لأمة واحدة هلكت وعاشت بناتها ،علمنا أن كثيراً من الالفاظ مشتركة بين هذه اللغات ، لـذا لا يمكن الحكم بأصالتها في لغة دون أخـرى ، بل رجحنا أن تكون تلك الالفاظ من ميراث اللغة الأم ، فهي أصل في كل منها . وبالعكس اذا وجد الباحث لفظة في إحدى هذه اللغات تخلو منها سـائر أخواتها شك في كونها أصلا في تلك اللغة . ماثل ذلك اذا وجد لفظة في العبرية والمصرية القديمـة ، ولم يجدها في العربية والكلدانيـة رجـح أنهـا مصريـة .

الترادف :

عرض الراوي لظاهرة الترادف ، وهي أن يكون للمعنى الواحـد لفظان فأكثر « فانهـم مثلا وضعوا الحنطة والقمح والبر والثوم والفوم للحب المعروف . ووضعوا للسيف خمسين اسمـاً وللأسـد مئات وأكثر منهـا للجمل »[٥٢] . وأشار الراوي الى أن بعض اللغويين أقـروا التـرادف ، وألفوا كتبا فيه ، فألف ابن خالويه كتابـاً في أسمـاء الحيـة ، وألف الفيروزابادي كتاباً أسماه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألـوف) وكتاباً آخر في أسماء العسل . وأفرد السيوطي كتاباً لأسماء الأسد[٥٣] . كما أشار الراوي الى أن بعض اللغويين أنكروا الترادف ، وذهبوا الى أن كل مايظن أنه من المترادف انما هو من قبيل المتغايرات التي تختلف باختلاف الصفات[٥٤] . ومن هـؤلاء المنكرين ثعلـب وأحمد بن فارس وأبو علي الفارسي[٥٥] . وقد دفع هذا الموقف جماعة من اللغويين الى التأليف فـي الفروق بين المفردات التي يظن أنها مترادفة . وممن ألـف في هذا البـاب

---

(٥٢) تاريخ علوم اللغة العربية : ٣٣ .

(٥٣) نفسـه .

(٥٤) نفسـه.

(٥٥) نفسـه : ٣٣ ، ٣٤ .

أبو هلال العسكري ّ وقد أسمى كتابه (الفروق اللغوية) ، وقد عني به كذلك الثعالبي ّ في (فقه اللغة وسر العربية) .

وأما طه الراوي ّ فقد كان دقيقاً حذراً في موقفه من هذه الظاهرة ، فهو لم يعترف بها اعترافا مطلقا ، ولم ينكرها جملة ، بل قال : « وعلى هذا ينبغي ألا نقول بالترادف إلا عندما يتعذر الحمل على غيره »(٥٦) .

ومعنى ذلك أنه دعا الى تلمس الفروق الدقيقة التي تكون بين الكلمات التي يظن أنها مترادفة في بادىء الرأي ، فقال : « والحق أن معظم الألفاظ التي يقال في بادىء الرأي أنها متواطئة على معنى واحد هي في الواقع ليست كذلك ، فاذا أمعنت النظر فيها تبين لك أن كل لفظ منها يدل على معنى يختلف ولو قليلا عما يدل عليه اللفظ الآخر »(٥٧) .

وقد ضرب الراوي ّ عدة أمثلة على ذلك ، منها لفظا (الشك)و (الريب) اللذان يختلفان في الدلالة ، فالشك يدل على مجرد التردد بين أمرين لايترجح أحدهما على الآخر ، أما الريب فيدل مع التردد على القلق والاضطراب اللذين ينجمان عن التردد ، ومن ثم يقال : هو في شك مريب ، أي مقلق مزعج ، ولا يقال : في ريب مشكك . ومنها الكلمات (الشرق) و (الغصص) و (الشجى) التي يفسر بعض اللغويين بعضها ببعض ، مع أن الأولى تدل على انسداد مجرى التنفس بالماء ، وكل مائع ، والثانية تدل على انسداده بالطعام ، والثالثة بالعظم وكل صلب . ومنها (جلس) و (قعد) اللتان يظن أنهما مترادفتان في حين أن الكلمة الاولى لاتطلق إلا على الهيئة المخصوصة التي تكون من نوم أو اضطجاع ، وتطلق الثانية على الهيئة التي تكون عقب الوقوف ونحوه ، فيقال : كان مضطجعا فجلس وكان واقفا فقعد . ومما يؤيد هذا أن مادة (ج ل س) تدل على الارتفاع ومنه قيل

---

(٥٦) نفسه : ٣٤ .

(٥٧) نفسه : ٣٤ ، ٣٥ .

للذي ينزل نجداً : جالس ، ومادة (ق ع د) تدل على الانخفاض ومنه قاعدة البناء لأساسه [٥٨] .

والراوي حين لم ينكر الترادف جملة ، انما وافق في رأيه هذا اللغويين الذين اعترفوا به في مفردات مخصوصة ، لوجود عوامل تفضي اليه ، وتقضي به . منها (اختلاف اللهجات) كأنْ تضع قبيلة لمعنى معين كلمة ، وتضع أخرى كلمة ثانية للمعنى نفسه ، فتقول قبيلة (مدية) وتقول أخرى (سكين) وتقول قبيلة (بعث) وتقول غيرها (أرسل) وهكذا [٥٩] . و (التطور الصوتي) في بعض الكلمات مثل (ثوم) و (فوم) و (جدث) و (جدف) و (سراط) و (صراط) . و (القلب المكاني) وهو تقديم بعض الحروف على بعض في الكلمة الواحدة ، فتنشأ كلمتان مترادفتان نحو (صاعقة) و (صاقعة) وخطيب (مصقع) و (مصعق) و (مرزاب) و (مزراب) و (أيس) و (يئس) و (أثول) و (الـوث) و (وحشي) و (حوشي) و (الأوباش) و (الأوشاب) أي الأخلاط من الناس [٦٠] . و (الاقتراض) من الأمم الأخرى مثل (البخت) و(الحظ) و (اليم) و (البحر) ، و (الدمقس) و (الاستبرق) للحرير . و (التطور الدلالي) مثل (العقيرة) التي تعرف في الاصل الساق المقطوعة ، ثم قالوا : رفع عقيرته أي صوته ، وسبب ذلك أن رجلا عقرت رجله فرفعها فصاح ، وقيل بعد ذلك لكل من رفع صوته : رفع عقيرته . و « وتنيجة للتطور الدلالي فقدت كثير من المفردات الفروق الدقيقة بين معانيها ، وأصبحت تؤدي معنى واحداً في الاستعمال ، فالحمد والشكر استعملنا لمقصد واحد ، في حين أن (الحمد) معناه الثناء بكرم أو حسب أو شجاعة ، والشكر الثناء

---

(٥٨) تاريخ علوم اللغة العربية : ٣٥ ، ٣٦ .
(٥٩) دراسات في فقه اللغة : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .
(٦٠) تاريخ علوم اللغة العربية : ٣٠ .

على الشخص بمعروف أولاكلـه » . و (المجاز) فقد يعبر عن بعض المسميات بأسماء مختلفة على سبيل المجاز لأسباب اجتماعية ولاعتبارات نفسية كالحياء والخوف والتشاؤم والتفاؤل والحب وغير ذلك من العوامل التي تدفع الناس الى تسمية الشيء تسمية مجازية بدلاً من التعبير عنه باسمه الحقيقي الصريح[٦١] . ولأن أصحاب المعجمات ـ عدا الزمخشري في أساس البلاغة ـ كانوا يخلطون المعنى الحقيقي بالمجازي حين يتحدثون عن تلك الالفاظ ، أدى هذا الخلط الى أن تشيع الالفاظ المجازية شيوعاً ينس معه الأصل المجازي فتستعمل كأنها حقيقية[٦٢].

تبويب المعجم العربي الحديث :

ألم الراوي بالمعجم العربي وتطوره واتجاهاته[٦٣] ، وأشار الى أنه ألف على طريقتين : الأولى (لفظية) تبتدىء باللفظ وتنتهي بالمعنى ، ومثالها قولهم : القطار عدد من الابل مقطورة على نسق واحد ، والقطر بكسر القاف النحاس ، والقطر بضم القاف الجهة والناحية ، والقطر بفتح القاف المطر . والثانية (معنوية) تبتدىء بالمعنى وتنتهي باللفظ ومثالها قولهم : ولد الناقة يسمى الحوار ، وولد الفرس : الفلو وثمر النخلة يصفر أو يحمر يسمى البسْر ، فاذا نضج فهو الرطب ، فاذا تم جفافه فهو التمر .

وأشار الراوي الى أن الطريقة الاولى تسهل على القارىء فهم ما يمر به من ألفاظ مبهمة ، والثانية تسهل على الكاتب وغيره معرفة الالفاظ الدالة على الاشياء التي تقع تحت نظره او المعاني التي تمر بذهنه ولايحضره اللفظ الدال عليهـا .

كما أشار الراوي الى أن الطريقة المعنوية أقدم من الطريقة اللفظية ، اذ اتبعها رجال اللغة في الصدر الاول ، فألوا في ضروب من المعاني كخلق الانسان وخلق الفرس والنبات والنخل والكرْم والأنواء ، وأما التأليف على

(٦١) الترادف في اللغة ١٠٤ .

(٦٢) فقه اللغة: ١٠٢ .

(٦٣) نظرات في اللغة والنحو : ٧٢ وما بعدها .

الطريقة الثانيــة فيعد الخليل أبا عذرتهــا حين صنف كتاب (العين) أو وضع خطوطه العامة على بعض الأقوال .

ثــم أوضح الراوي ان الطريقة اللفظية سارت في اتجاهين : الأول ابتكره الخليل في العين ، واشهر من تبعه فيه ابن دريد في الجمهرة وابــن سيــده في (المحكم والمحيط الأعظم) . والثاني عند الجوهري أشهر سالكيه ، وفيه رتبت الالفاظ باعتبار أن أواخر حروفهــا الاصليــة ابواب واوائلها فصول . وممن اتبعه في ذلك الفيروز ابادي في القاموس .

غير أن من أصحاب المسلك اللفظي من تنكبوا هاتين الطريقتين ، وسلكوا مسلكا ثالثا هو أوضح معالم من سابقيه ، فرتبوا الكلم على أساس حــروف الهجاء واعتبر أصول أوائل الكلم أبواباً وما يليها من الحــروف الاصليــة وما يثلثها فصولا ، فنجد كلمة (أسد) مثلا قبل كلمة (أسر) وهذه قبــل (أسف) وهذه كلها قبل (أشر) . ويعد ابن فارس في (المجمل) أول من سلك هذا المسلك ثم تبعه الزمخشري في (أساس البلاغة) وجاء بعده الفيــومي في (المصباح المنير في غريب الشرح الكبير) . وكذلك سلك هذا المسلــك من مؤلفي المعجمات الخاصة الراغب الأصفهاني في مفرداته وابــن الاثــير في (النهاية في غريب الحديث والأثر) .

وأتباع هذا المسلك كثيرون منهم مؤلفو المعجمــات من المعاصرين . والمؤلفون على هذا النمط يعتبرون من الكلمة حروفها الأصليــة فيضعــون (اتصل) في باب (الواو) لأنها مادة (وصل) ومثلها (اتأد) و (اتسع) و (اتكــأ) و (اتســق) و (اتهــم) و (اتكــل) لأنهــا مــن (وأد) و (وسع) و (وكأ) و (وسق) و (وهم) و (وكل) . ويضعــون كلمة (تترى) مثلا في هــذا الباب لأنها من مــادة (وتر) ، وفي هــذا ما فيه من العسر على الذين لا علم لهم بمبادىء اللغة وأصول تصريفها .

لهذا دعا بعضهم الى أن تؤلف المعجمات على أساس تكون العبرة فيه بحروف الكلمة كلها سواء في ذلك الاصلية والزائدة ، فتوضع كلمة (تترى) في باب التاء والتاء وما يثلثهما ، وكلمة (اتقى) في باب الهمزة والتاء وما يثلثهما • وتوضع كلمة (المعلى) في باب الميم والعين وما يليهما • ولو طلبت هذه اللفظة الاخيرة في القاموس لوجدت في فصل العين من باب الواو والياء ، ولو طلبت في المصباح المنير لوجدت في باب العين واللام وما يثلثهما •

وقد علق الراوي على هذه الدعوة بقوله : « ونحن نرى أن هذا الرأي على ما فيه من ظاهر جذاب ، غير سديد ، لأننا لو سلكنا في وضع معاجم اللغة هذا المسلك لجاءت ضخمة جداً ، كثيرة التكرار ، مضطربة التبويب والترتيب ، وذلك لما في لغتنا العزيزة من الوفرة من المشتقات والتنوع في المصادر والجموع ، فاذا أردنا أن نأخذ مثالا على ذلك ما اشتق من مادة (خرج) وما يتصل بها ، كان علينا ان نثبت كل واحدة من الكلمات الآتية في موضع يختلف عن موضع اخواتها : خرج ، يخرج خروجا مخرجا مخارج خارج خراج خوارج اخراج استخرج يستخرج استخراج المستخرج أخاريج ••الخ وكل كلمة تذكر في موضع تحتاج الى تفسير قائم بنفسه ، وفي هذا ما فيه من التطويل الذي لاطائل تحته • وكذلك القول في المصادر ، فرب فعل له اكثر من مصدر واحد مثل كتب ومصادره كتبا وكتابا وكتابة وكِتْبة ، فاذا اخذنا بهذا الترتيب المقترح وجب علينا ان تفرق هذه المصادر في مواضع شتى ، مع أنها في الترتيب التقليدي في موضع واحد • وكذلك القول في الجموع ، فرب كلمة لها عدة جموع مثل كاتب فانك تجمعه على كَتَبَة وكتّاب وكاتبين ، فاذا نحن مشينا على الترتيب المقترح وجب علينا أن تفرق بين هذه الجموع في مواضع مختلفة ، مع أن جمعها في موضع واحد ألصق بحاجة المراجعين من تفريقها على مواضع شتى ، وتفسيرها في كل موضع»[٦٤] •

(٦٤) نظرات في اللغة والنحو : ٧٧ ، ٧٨ .

وقال الراوي ايضا : « أما القول بان الكثيرين من الذين يحتاجون الى مراجعة المعاجم لايهتدون الى اصل الكلمة فهو من المغالاة بمكان ، لأن الذين لايميزون بين الأصول والزيادات ولو على سبيل الاجمال لايحتاج الى مراجعة المعاجم »[٦٥].

وقال : « أما الكلمات التي يتعسر على جمهرة المتعلمين معرفة أصولها فلا مانع من أن تذكر في موضع يسهل على المراجع العثور عليها ، ثم يشار الى موضعها الأصلي ، فتوضع كلمة (تترى) مثلا في موضع تأتي فيه التاء والتاء وما يثلثهما ثم يشار الى مراجعتها في مادة (وتر) ، وكذلك يفعل في كلمة (اتصل) من الوصل و (اتعد) من الوعد وهكذا »[٦٦].

وكان الراوي يرى أن العربية تحتاج الى تأليف ثلاثة أنماط من المعجمات على الطريقة اللفظية : مبسوط للعلماء ووسيط لأوساط المتعلمين وموجز للمبتدئين . وتحتاج أيضا الى تأليف ثلاثة أنماط اخرى من المعجمات على الطريقة المعنوية : مبسوطة للمتبحرين والعلماء ووسيط لأوساط المتعلمين والمؤلفين والمترجمين وموجز للشداة[٦٧].

تاريخ العامية :

تتضارب أقوال اللغويين في تاريخ اللغة العامية ، ومبدأ نشوئها ، فبعضهم يرتقي بها الى العصر الجاهلي ، استناداً الى ما يجمع عليه اللغويون المعاصرون من أن « الازدواجية ظاهرة طبيعية في جميع اللغات »[٦٨]. ومن القائلين بهذا الرأي ابراهيم السامرائي الذي قال : « ومن هنا فالعربية شفعية التعبير منذ أن كانت ، ذلك لأن فيها لغة فصيحة يتوخاها الكاتب في كتابته ، ملتزمة بضوابط الاعراب ، ولغة أخرى يقولها الناس ويستعملونها دون أن

(٦٥) نفسه : ٧٩.
(٦٦) نفسه .
(٦٧) نفسه .
(٦٨) دراسات في اللغة : ١٧ .

يلزموا أنفسهم بعناء هذه الضوابط وربما تعدى الامر مسألة الاعراب الى الالفاظ نفسها ، فقد يكون في الفاظ الثانية ما هو بعيد عن العربية ، وانه قد دخل فيها نتيجة اتصال العرب انفسهم بغيرهم من الاقوام ، والاتصال حاصل في كل عصر ، فالعرب في أطراف الجزيرة قد تهيأ لهم أن يتاخموا اقواماً غيرهم فلم تسلم بذلك سليقتهم »(*).

وعائشة عبدالرحمن التي قالت : « ولا مفر من التسليم بأنه قد كانت ـ في العصر الجاهلي ـ لغة عليا مشتركة ولغات محلية للحياة اليومية ، خضوعاً للطبيعة الاجتماعية للحياة اللغوية التي تقضي بوجود لغة الفن والثقافة والفكر غير اللغة المستعملة في الحياة اليومية »(٦٩).

وذهب غيرهما الى أنه « كان للعرب في الجاهلية مستويان لغويان ، بينهما فرق ظاهر ، فرق الازدواجية ، أو لهما في اللغة المشتركة التي يصطنعها الشاعر او يصطنعها العربي اذا امتد خارج قبيلته في الحج والتجارة ، ويتمثل الثاني في لهجته الخاصة التي يتكلم بها في نطاق بيئته القبلية وشؤون المعيشة اليومية وفي أهله »(٧٠).

غير أن طه الراوي الذي عرض لتاريخ العامية رفض أن تكون في العصر الجاهلي ازدواجية لغوية بالمعنى الذي نفهمه من هذا التعبير ، فقال : « زعم بعض العلماء أن العامية رافقت الفصحى منذ عهد عهيد ، وأنه كان للعرب في جاهليتهم الأولى لغتان : فصحى وعامية ، محتجين على ذلك بأمارات لاتتماسك امام محك النقد ، وبالأخص اذا عارضها الجهبذ النقاد ببراهين الحزب المعارض»(٧١).

وذهب الراوي ايضا الى أن الذي حدث في ذلك العصر هو أنه ظهر بجوار اللغة العالية المشتركة التي تمثلت في تراث الجاهلية الأدبي لغات زاغت

(٦٩) لغتنا والحياة : ٥٠ .
(٧٠) قضية التحول الى الفصحى : ٦٤ .
(٧١) نظرات في اللغة والنحو : ٨١ ، ٨٢ .

عن المنهج العام في ابـدال بعض الحـروف وقلب بعض ، واستعمال مستبشع الالفاظ ومستهجن التراكيب ، ولكن ذلك لم يؤلف مستوى لغويا قائما بنفسه، يمكن أن يدعى لغة عامية[٧٢] .

والى مثل هذا ذهب نهاد الموسى فقال : « ولكنا نذهب الى أن الفرق بين مستوى اللغـة المشتركة ومستوى اللهجـة الخاصة لم يبلغ يومذاك أن يمثل وضعاً ازدواجياً »[٧٣] . أما العامية « التي أصبحت عاطـلا من حلي الاعراب ، غاصة بدخيـل الالفاظ ، مفعمة بالتراكيب المضطربـة والأساليب المستهجنة والالفاظ المصحفة المحرفة ، فلا جرم أن هذه ولدت ـ كما يرى الراوي ـ بعد بزوغ الشريعة الغراء ، يوم أخذ الناس يدخلـون في دين الله أفواجاً ، وفيهم الفارسي والرومي والقبطي والحبشي .. فتعرب معظمهم شغفا بلغة القرآن، أو طمعا في الاندغام في الشعب العربي الكريم ، ومعلوم أن التطبع غير الطبع (ليس التكحل في العينين كالكَحَل) ، فسـرت عدواهـم الى ألسنة بعض المتحضرين من العرب ، وبدت طلائع اللحن في كلامهم »[٧٤] .

ولا شك في أن هذا الذي أجمله الـراوي من تاريخ العامية يمثل الرأي الذي تطمئن به النفس ، ويركن اليه العقل ، فأهم ما تمتاز به العامية ، زيادة على فشو الدخيـل فيها ، واضطراب تراكيبها ، هو تركها الإعـراب ، وتخليها التام عنه ، وليس في كتب اللغة ما يشير الى أن العـرب في العصر الجاهلي والعصر الأموي قد هجروا الإعـراب ، أو تحللوا من ضوابطه ، وكل ما فيها إشارات يفهم منها أن التخفف من قيد الإعراب قد لمـح في كلام بعض العرب ، ولكنه لم يبلغ أن يكون إسقاطا لذلك القيـد على وجه تام ودائم . لقـد روي أن بعض الأعراب لم يكونوا يحققون الإعراب ، أو يظهرونه في لغتهم العاديـة على منهج الصنعة الذي يرسمه التعلم .

---

(٧٢) نفسه : ٨٢ .

(٧٣) قضية التحول الى الفصحى : ٦٥ .

(٧٤) نظرات في اللغة والنحو : ٨٢ .

« قال ابو العيناء : ما رأيت مثل الأصمعي قط ، أنشد بيتا من الشعر ، فاختلس الإعراب . ثم قال : سمعت أبا عمرو بن العلاء يقول : كلام العرب الدرج ، وحدثني عبدالله بن سوار أن أباه قال : العرب تجتاز بالاعراب اجتيازاً ، وحدثني عيسى بن عمر أن ابن أبي اسحاق : العرب ترفرف على الإعراب ولا تتفيق فيه . وسمعت يونس يقول : العرب تشام الإعراب ولا تحققه . وسمعت أبا الخطاب يقول : اعراب العرب الخطف والحذف »(٧٥) .

ولاشك في أن هذه البوادر لم تتبلور ، ولم تصبح طرحاً تاماً لقيد الإعراب إلا بعد طي بساط الدولة الأموية ، على نحو ما أشار اليه الراوي ، وعند ذلك تكاملت ملامح العامية ، وقامت لغة بازاء الفصيحة .

اللغـة الوسطى :

قسم الراوي مستويات الأداء في عصرنا الحديث على مستويات ثلاثة : اللغة المعربة وهي لغة القرآن ولغة العلوم والاداب والصحافة والخطابة والمحاضرات والاذاعة ، واللغة العامية وهي لغة الدهماء في أسواقهم ومجالسهم « وهي خليط من عربية سليمة ومحرفة ومولدة ومعربة والفاظ لايعرف لها سنخ ، وهي الى ذلك تفتقد الإعراب وصحة التركيب ، وتعتمد في أواخر كلماتها على التسكين »(٧٦) .

أما المستوى الثالث فهو لغة « بين اللغتين ، فتشارك العامية بفقد الإعراب والاعتماد على التسكين في أواخر الكلم ، وتشارك المعربة بعربية الالفاظ وصحة التراكيب على الأعم الأغلب ، وهي أداة التخاطب بين العلماء والأدباء وفي حلقات التدريس في الكثير الأعم ، وأصح ما يطلق على هذه اللغة اسم اللغة الوسطى »(٧٧) .

---

(٧٥) قضية التحول الى الفصحى : ٧٣ ، وينظر مصدره .
(٧٦) نظرات في اللغة والنحو : ٦٠
(٧٧) نفسه : ٦٠ ، ٦١ .

وكان الراوي يرى أن الاعتماد على هذه اللغة هو ارتقاء بمستوى الاداء ، وتقريب ما بين أبناء الوطن العربي ، الذين يعسر عليهم التفاهم بلغاتهم العامية الصرف . والحق أن ما سماه الراوي (اللغة الوسطى) لا يعدو أن يكون عامية وان اشتملت على الفاظ اكثر تهذيباً من الفاظ عامية الدهماء ، والذي يجعل هذه اللغة عامية هو فقدها الإعراب . ولذا لم يكن الراوي على حق حين دعا الى استعمال اللغة الوسطى في التدريس ، اذ لايجوز أن تتردد في قاعات الدرس إلا اللغة المعربة .

(٢)
قضايا نحوية

الشواهد :

لقد كانت لطه الراوي اراء وملاحظات مهمة تناولت الشواهد النحوية ، وانصبت على موقف النحاة من كلام العرب . واذا علمنا أن هذه الاراء صدرت عن صاحبها في الاربعينيات من هذا القرن ادركنا أنه كان من أوائل اللغويين المحدثين الذين فطنوا الى نقائص الدرس النحوي ، وسعوا إلى إصلاحه .

وأولى ملاحظاته المهمة هذه وصفة استقراء النحاة الكلام العرب بأنه ناقص ، فقد فاتهم في رأيه مما تكلمت به العرب جانب كبير ، وند عنهم كثير من الشعر والنثر « ولاجرم أن يتعذر على الفرد الواحد الاستقصاء في الاستقراء مهما أوتي من بسطة في العلم ، ومثابرة على الكد والجد ... بمعنى أن الواحد لا تمكنه الاحاطة بكل ما في العربية من منظوم ومنثور »[٧٨].

وقد أشار الراوي الى عمل كان ضرورياً ولكنه غاب عن النحاة القدامى ، وهو أن يقف كل منهم على ما جمعه غيره قبل أن يشرع في الاستنباط ، أو يأخذ في صوغ القواعد ، قال : « فالاستقراء الفردي لايؤدي الى الطمأنينة فلابد من المصير الى استقراء الجماعات »[٧٩].

---

(٧٨) نظرات في اللغة والنحو : ١٣ .

(٧٩) نفسه : ١٣ ، ١٤ .

واستقراء الجماعات الذي يشير اليه الراوي هنا هو ما يسميه اللغويون المحدثون بـ (عمل الفريق) الذي يتولى المسح اللغوي قبل الوصف ، واستخلاص القواعد .

وقد أدى نقص الاستقراء الى تشعب الكثير من القواعد بكثرة ما أعقبها من الاستدراك ، واختلاف وجوه النظر[٨٠] .

وثاني ملاحظاته أنه أنكر موقف النحاة العرب من القراءات ، وهو موقف يتلخص في أنهم لم يعيدوا النظر في أقيستهم في ضوء ما انتهى إليهم من تلك القراءات ، بل تأولوها حينا ، ووصفوها بالشذوذ أو الخطأ حينا آخر ، وقد نبه الراوي على « أن أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفش في اللغة والأقيس في العربية ، بل على الأثبت في الأثر ، والأصح في النقل . والرواية اذا ثبتت عنهم لا يردها قياس عربية ولا فشو لغة ، لأن القراءة سنة متبعة ، يلزم قبولها والمصير اليها »[٨١] .

وقد ضرب الراوي عدة أمثلة على تمسك النحاة بقواعدهم على الرغم من مخالفتها للقرآن ، من ذلك قولهم ان الجملة الاسمية اذا وقعت جوابا للشرط وجب ربطها بالفاء ، وقد تنوب عنها (اذا) الفجائية ، ولما واجهوا قوله تعالى : (والذين اذا أصابهم البغي هم ينتصرون)[٨٢] و (واذا ما غضبوا هم يغفرون)[٨٣] ، فزعوا الى التأويل ، وقالوا ان (اذا) في الايتين ليست شرطية ، وانما هي ظرفية ، واذا سألتهم الدليل قالوا لو كانت شرطية لوجب اقتران جوابها بالفاء ، وهل هذا إلا مصادرة ذميمة على حد تعبير الراوي[٨٤] . ثم قال الراوي : « ولما ورد عليهم قوله (ان ترك خيرا الوصية للوالدين)[٨٥] ، لم

(٨٠) نفسه .
(٨١) نفسه : ١٥ .
(٨٢) الشورى : ٣٩ .
(٨٣) الشورى : ٣٧ .
(٨٤) نظرات في اللغة والنحو : ١٧ .
(٨٥) البقرة : ١٨٠ .

يتمكنوا من القول بأن (إن) غير شرطية ، ولكنهم زعموا أن الشرط محذوف والتقدير : كتب عليكم اذا حضر أحدكم الموت الوصية للوالدين ان ترك خيراً فليوص ، ولا يخفى ما فيه من تكلف ظاهر »[86].

ومن ذلك قول فريق من النحاة أنه لا يجوز تسكين لام الأمر بعد (ثم) إلا في ضرورة شعر ، ولم يراعوا القراءة المتواترة (ثم ليقطع) و (ثم ليقضوا) فقد قرأ جمهور القراء السبعة بتسكين اللام[87].

ومن ذلك ذهاب طائفة من النحاة الى أنه لا يجوز صوغ اسم التفضيل من (أفعل) الرباعي إلا شذوذاً ، ولم يلتفتوا الى قوله تعالى (ذلكم أقسط عندالله وأقوم للشهادة)[88] وفيه اسما التفضيل مصوغان من (أقسط) و (أقام) الرباعيين ، ولا يجوز أن يقال انه من (قسط) الثلاثي لأن معناه (جار) وهو عكس المراد في الآية[89].

ومن ذلك قولهم « ان الهمزة تبدل من حرف المد الزائد الواقع بعد ألف (مفاعل) نحو (عجائز) و (صحائف) و (سفائن) والأصل (عجاوز) و (صحايف) و (سفاين) . وقالوا اذا كان حرف المد أصلياً امتنع قلبه همزة ، مثل (معايب) و (معاون) فلا يقال فيهما (معائب) و (معائن) ولما عورضوا بقول العرب (مصائب) و (منائر) قالوا بشذوذهما . وحين وردت عليهم قراءة نافع (لهم فيها معائش) بلغت ببعضهم الجرأة أن زعموا أن هذه القراءة خطأ « كأن نافعاً جاء بها من عند نفسه ، ولم يروها عن العشرات من الثقات»[90].

---

(86) نظرات في اللغة والنحو : 18 .

(87) نفسه . وينظر الحج 15 ، 29 .

(88) البقرة : 282 .

(89) نظرات في اللغة والنحو : 18 .

(90) نفسه : 16 ، 17 قوله (مفاعل) وهم صوابه (فعائل)

وثالث هذه الملاحظات أنه أخذ على النحاة موقفهم من الحديث النبوي فلم يؤثر عنهم أنهم احتجوا به في مباحثهم ، ماعدا ابن خروف (٦٠٩هـ) وابن مالك (٦٧٢هـ) الذي توسع في الاستشهاد بالحديث ، فأقام اللغويون عليه النكير ، « ورموه بالخروج عن سنن النحويين المتقدمين منهم والمتأخرين وكان اشدهم انكاراً عليه ابو حيان الاندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ وقد أطال في تعليل انحراف النحاة عن الاحتجاج بالحديث ، ويتلخص تعليله في أمرين : أولهما أن المحدثين أجازوا نقل الأحاديث بالمعنى ، ولم يتقيدوا باللفظ ، والثاني وقوع اللحن في بعض الاحاديث ، لأن في الرواة من ليس عربياً بالطبع »[٩١].

وقد ناقش الراوي التعليل الاول بأن رواة الحديث عرفوا بالتحري والضبط مع قولهم بجواز النقل بالمعنى ، فيغلب على الظن من أجل هذا أن الأحاديث لم تبدل ، ويكون اعتقاد التبديل فيها مرجوحاً فيلغى ولا يقدح من صحة الاستدلال بها ، يزاد على ذلك أن الاحاديث رويت « في الصدر الاول قبل فساد اللغة العربية حين كلام أولئك المبدلين — على تقدير تبديلهم — يسوغ الاحتجاج به ، وغايته — يومئذ — تبديل لفظ بلفظ يصح الاحتجاج به »[٩٢].

ثم ناقش التعليل الثاني فرأى « أنه أوهى من أن يقوى على محك النقد ، لأنه ضرب من ضروب المصادرة في الاستدلال ، اذ لو احتجوا بالاحاديث لما وسعهم اتهامها باللحن ، ولكان ما اعتبروه لحنا مثالاً يحتذى في العربية ، وبرهانا على صحة امثاله من ضروب القول ، كسائر الكلام الذي يحتج به .

والقول بان رواة الاحاديث أعاجم ليس بشيء ، لأن ذلك يقال في رواة الشعر والنثر اللذين يحتج بهما ، فأن فيهم الكثير من الأعاجم ، وهل في وسعهم أن يذكروا لنا محدثا ممن يعتد به يمكن ان يوضع في صف (حماد) الرواية الذي

(٩١) نظرات في اللغة والنحو : ٢١ .
(٩٢) نفسه : ٢١ .

كان يكذب ويلحن ويكسر ومع ذلك لم يتورع الكوفيون ومن نهج نهجهم عن الاحتجاج بمروياته »[٩٣].

ولم يفت الزاويّ أن في الأحاديث طائفة كبيرة « تتوافـر الدواعي على الاحتفاظ بنصوصها من غير ما تغيير مثل الأدعية والأذكار والأحاديث القصار التي سارت مسـير الأمثال ، والكتـب التي بعث بهـا الرسول الكريـم إلى الأطراف ، والعهود المدونه .. الخ »[٩٤].

ورابع هذه الملاحظات أن الراويّ أخذ على النحـاة أنهم لحنّوا جزيراً والفرزدق والأخطل ومن في طبقتهم ، بل لقد « ارتقى الامر ببعضهم الى تلحين بعض فحول الجاهلية »[٩٥]. قال طـه الراويّ : « ليس في الدنيا من يزعم أن الشعراء معصومون من الخطأ ، ولكن ذلك انما يقع في المعاني لا في الألفاظ والتراكيب التي هي نتاج سلائقهم ، وهدتهم اليها طبائعهم » .

وقال : « ولا نـدري بعد تلحينهم أبنـاء اللسان عـلام (كذا) يستند النحويّ ؟ وبم يحتج ؟ وهل قواعد هذا النحو واصوله إلا منتزعة من استقراء كلام هؤلاء وأمثالهم ، وكيف يسوغ لنـا أن نطاب الى امـراء القول وقادة القريض ان يدينوا في قولهـم لقواعد وضوابط انتزعناها مـن بعض كلامهم وكلام أمثالهم .. نعم لو قالوا فيما لا ترضـاه مقاييسهم الوصفيـة : هي لغة ولكن المتكلمين بها ليسوا الأكثر حصى ولا بالأنبـه قبيلا ولا بالأفصح قيلا ، لهان الأمـر لأن القبائـل تتفاوت بلغاؤها تفاوتـا كبيراً ، فلغة أزدعمان مثلا لا تسامي لغة هذيل ، وهذه لا ترتفع الى موازاة لغة قريش ، بسطة في الرقعة ، وثـروة في الفصاحـة ، ولكنهم أبوا إلا أن يجعلوا لضوابطهم سلطاناً يستبد

(٩٣) نفسه : ٢٣ .
(٩٤) نفسه : ٢٤ .
(٩٥) نفسه .

جتى بافواه أصحاب اللسان ، امع أنهم القدوة واليهم المصير في مادة هذه الضوابط واستخراج تلك القوانين »[٩٦].

والواقع أن الراوي لم يكن على حق في ملاحظته الرابعة هذه ، إذ أنها تمثل نظرة في اللغة سيطرت على اذهان العرب حقبة ، ثم تخلى بعضهم عنها بعد حين ، وادركوا ما فيها من ضلال مبين .

لقد وقر في نفوس العرب في الصدر الأول أن اللغة شيء يورث « كأنهم ولدوا وهي تجري في أعراقهم ، شأنها شأن سحنهم وطباعهم »[٩٧]. ومن أجل هذا أبوا أن يعترفوا بما وقع من خطأ في كلام الشعراء الذين عاشوا فيها أسموه عصور الاحتجاج ، بل ذهبوا يتأولون بعضه ، ويحملون على الضرورة بعضه الآخر .

ولكن هذه النظرة التي تربط اللغة بالوراثة لم تعمر طويلا ، بل سرعان ما ارتفعت أصوات تجهر بان اللغة تكتسب ، وأن كل فرد معرّض لأن يخطىء فيها مهما كان عصره . فقد أنكر الآمدي عصمة القدماء من الخطأ فقال : « لأن اللحن لايكاد يعرى منه أحد من الشعراء المحدثين ولا سلم منه شاعر من شعراء الاسلاميين ، وقد جاء في اشعار المتقدمين ما علمتم من الاقواء وغير الاقواء ، مما لايقوم العذر فيه إلا بالتأويلات البعيدة »[٩٨].

وذهب الى مثل هذا القاضي الجرجاني حين قال : « ودونك هذه الدواوين الجاهلية والاسلامية فانظر هل تجد فيها قصيدة تسلم من بيت أو اكثر لايمكن لعائب القدح فيه إما في لفظه ونظمه أو تركيبه وتقسيمه أو معناه واعرابه ؟ ولولا أن أهل الجاهلية جدوا بالتقدم ، واعتقد الناس فيهم أنهم القدوة والأعلام والحجة ، لوجدت كثيراً من اشعارهم معيبة مسترذلة ،

---

(٩٦) نظرات في اللغة والنحو : ٢٤ ، ٢٥ .

(٩٧) في اللغة ودراستها : ١٤ .

(٩٨) الموازنة : ٢٨/١ .

ومردودة منفية ، لكن هذا الظن الجميل والاعتقاد الحسن ستر عليهم ، ونفى الظنة عنهم ، فذهبت الخواطر في الذب عنهم كل مذهب ، وقامت في الاحتجاج لهم كل مقام »(٩٩) .

ولم يخرج ابن فارس عما قرره هذان الناقدان حين قال : « إن ناساً من قدماء الشعراء ومن بعدهم أصابوا في أكثر ما نظموه من شعرهم ، وأخطؤوا في اليسير من ذلك ، فجعل ناس من أهل العربية يوجهون لخطأ الشعراء وجوهاً ، وينتحلون لذلك تأويلات حتى صنعوا فيما ذكرناه أبواباً ، وصنفوا في ضرورات الشعر كتبا »(١٠٠) . وقال : « وما جعل الله الشعراء معصومين يوقون الخطأ ، فما صح من شعرهم فمقبول ، وما أبته العربية وأصولها فمردود »(١٠١).

وكان ابو علي الفارسي قد حاول أن يلتمس علة لما وصفه بـ (اغلاط العرب) فقال : « انما دخل هذا النحو في كلامهم لانهم ليست لهم أصول يراجعونها ، ولا قوانين يعتصمون بها ، وانما تهجم بهم طباعهم على ما ينطقون به ، فربما استهواهم الشيء فزاغوا عن القصد »(١٠٢) .

وجاء ابن خلدون فرد على اللغويين القدامى الذين ظنوا أن العرب يتكلمون لغتهم بالطبع ، وأنهم كانوا يولدون واللغة الفصيحة في دمائهم ، شأنها شأن الملكات والقدرات الفطرية كالتنفس والأكل والمشي وغيرها . قال: « يظن كثير من المغفلين ممن لم يعرف شأن الملكات ان الصواب للعرب في لغتهم اعراباً وبلاغة أمر طبيعي ، ويقول كانت العرب تنطق بالطبع ، وليس كذلك ؛ وانما هي ملكة لسانية في تعلم الكلام ، تمكنت ورسخت ، فظهرت في بادىء الرأي أنها جبلة وطبع »(١٠٣) .

---

(٩٩) الوساطة : ٤ .
(١٠٠) ذم الخطأ في الشعر : ٢٩ .
(١٠١) الصاحبي : ٢٧٦ .
(١٠٢) الخصائص : ٢٧٣/٣ .
(١٠٣) المقدمة : ٥٦٢ .

وقال ابراهيم اليازجي يـرد على من يبرىء البدوي من الخطأ اللغوي :
« ولا يخفى ما في هذا القول من الحزق والغلو لأنا لا نعلم وجها يعصم البدوي عما ركب في طبائـع البشر من قبول السهو والشطط ، فضـلا عن كونه أدنى من غيره الى الوهم ، لانه كان ينطق عـن السليقة المحضة ، ولم تكن له من القوانين ما يرده الى الصواب اذا شذ عنه »[١٠٤] .

وقد أيّد اللغويـون المحدثون هذا الرأي فقالـوا : « ان اللغة ملك من يتعلمها لا أثر فيها للوراثة والجنس »[١٠٥].

واذا كانت اللغة تكتسب فان من يكتسبها عرضة لأن يخطىء فيها لهذا العامل أو ذاك ، وان العصمة من ذلك الخطأ أمر وراء طاقة الانسان . ومعنى ذلك ان ما تعلق به اللغويون من اخطاء على الشعراء القدماء ليس بالامر الذي يجحـد .

مفهـوم النحـو :

لقد ذهب النحاة القدماء الى أن النحو « هو علم العربية الذي تعـرف به وجهة كلام العرب ، وما يقصدون اليه »[١٠٦] ، ولكن « المتأخرين قد ألزموه فرعاً من فروع هذا المعنى ، وصرفوه اليه ، وجعلوه فنا مختصا بالاعـراب والبناء »[١٠٧] .

لقد كان المفروض أن يكون نحو العربية « هو في الحقيقة قواعـد التعبير بها ، وطريقة تركيبها قبل كل شيء »[١٠٨] . ولكنه انحرف عـن هذا المفهوم ، وانحاز الى جانب منه هو علم الاعراب .

وقد فطن الدارسون المحدثون الى انحراف النحو عـن وظيفته ، وعنايته بجانب ضيق منها هو الاعراب ، فعللوا ذلك باسباب منها أن « أوليات نحونا

---

(١٠٤) حركة التصحيح اللغوي : ٢٠٩ .
(١٠٥) في اللغة ودراستها : ٥ .
(١٠٦) نحو التيسير : ١٧ .
(١٠٧) نفسه .
(١٠٨) نفسه : ٢٠ .

هي رد الفعل على فوضى ضبط حركات الأواخـــر وبخاصة في القرآن الكريم ، ومن ثم فهو واجب ديني مقدس ، ومن ثم كان النحو عملا من أعمال الدراسة الدينية التي ظل المتقدمون والمتأخرون يؤكدون ارتباطهما ذلك الارتباط الذي رسم للنحو المنهجية غير الأصيلة ، فأنتزعته من دائرة العلوم اللغوية »[109] .

ومنها أن « الاعراب في الواقع هو أعسر ما في النحو وأصعبه وأكثره مشقة ، أما دراسة التركيب وطبيعته واسلوب التعبير باللغة عـــن الافكـــار والمشاعر فقد يكون أمراً يسيراً اذا قيس بالإعراب »[110] .

ومنها أيضا « أن أول ما اختل من الكلام العربي هو الإعراب ، ومن كون هذه البادئة منعكسة على النص المقدس ولأن ثقـــة المتكلمين بدلالة الاعراب على معان تركيبية لم تتزعزع بعد ، وبما كان للحركات الاعرابيـــة من المهمات التنغيمية في الأداء الشـــعري والتأثـــيرات الروحية في الخطب الإلهابية من كل هذا أحتلت حركات الاعراب ، وكان ينبغي لها أن تحتل ، دائرة البحث النحوي برمتها ، فكان علم النحو هو علم الإعراب »[111] .

ويبدو أن الراوي كان من أوائل اللغويين المحدثين الذين تنبهوا الـــى انحراف النحو عـــن مفهومه الصحيح[112] ، فقال : « ان النحو يعنى بمهمتين الأولى صحة تأليف الكلام للابانة عما في النفس من المقاصد ، والثانية معرفة أحوال الاواخر من اعراب وبناء »[113] . ثم ذكر أن النحاة ولا سيما المتأخرين صرفوا جل عنايتهم ألى معالجة الشق الثاني ، وأكـــد ان الاهتمام بالتأليف كان ينبغي أن يكون له القسط الأوفـــر من عنايتهـــم ، لأنه أوثـــق ارتباطـــا بجوهر الكلام . قال الراوي : « ولذلك نجد مـــن يعرف صحـــة تأليف القـــول

---

(١٠٩) الاتجاهات النحوية الحديثة : ١١٢ ، ١١٣ .

(١١٠) نحو التيسير : ٢١ .

(١١١) الاتجاهات النحوية الحديثة : ١١١ .

(١١٢) نفسه : ١٢٢ .

(١١٣) نظرات في اللغة والنحو : ٣٠ .

بممارسة كلام الفصحاء أقدر على تفهيم ما يريد وتفهّم ما يراد ممن يعرف حقائق الإعراب ، ويجهل أصول تأليف الكلام »[١١٤] .

وحين ظهر (إحياء النحو) لإبراهيم مصطفى قرر مؤلفه أن النحو ينبغي أن يكون قانون تأليف الكلام ، وبيانا لكل ما يجب أن تكون عليه الكلمة في الجملة ، والجملة مع الجمل ، حتى تتسق العبارة ، ويمكن ان تؤدي معناها[١١٥] . واذ رفض إبراهيم مصطفى أن يقتصر النحو على بحث أواخر الكلمة ، استأنس بكثير من اللغات التي « لا إعراب فيها ، ولا تبديل لاواخر كلماتها ، ولها مع ذلك نحو وقواعد مفصلة تبين نظام العبارة ، وقوانين تأليف الكلام »[١١٦] .

وذهب عدد ممن جاء بعد هذين العالمين الكبيرين الى مثل ما ذهبا اليه من مزج علم النحو بعلم المعاني ، فمصطفى جواد قال : « والمفهوم من كلام كثير من قدماء النحاة أن ما يسمى علم المعاني انما كان من النحو ، وقد أختل النحو اختلالا تاما بفصله عنه ، لان منطق تركيب الكلام مستند اليه ومعتمد عليه »[١١٧] .

وذهب أحمد عبدالستار الجواري الى أن وظيفة النحو مركبة ، فهي في جانب منها تتيح للدارس القدر الذي يستقيم به لسانه ، وينأى به عن الغلط ، وفي جانب آخر تمكنه من دقة التعبير ، واتقان التأليف . ولكي يوضح الجواري تداخل هاتين الوظيفتين أثار السؤال الآتي : « هل الصحة في الكلام صفة لها استقلالها عن صفة البلاغة والفصاحة والجمال ؟ » ثم أجاب عنه قائلا : « وفي الاجابة عن هذا السؤال وأمثاله ينبغي ان تتذكر الحقيقة الآتية وهي أن انتحاء كلام العرب والقصد الى طريقتهم في التعبير لابد أن

---

(١١٤) نظرات في اللغة والنحو : ٣١ .
(١١٥) احياء النحو : ١ .
(١١٦) نفسه : ٢ .
(١١٧) المباحث اللغوية : ٩ .

يشتمل على الصفتين متداخلتين متكاملتين في وقت معاً ، وهي الصحة والبلاغة ؛ بل أن من أهل العلم بالعربية من لا يقبل أن يقيم حاجزاً ، ولا يرى أن يكون بينهما إفتراق »(١١٨) .

وقد أشار الجواري الى ان توسيع مفهوم النحو ومدّ وظيفته لتشمل قوانين تأليف الكلام ، لن يقتصر على تجديد الدرس النحوي ، بل سيتعدى ذلك إلى إصلاح الدرس البلاغي ، ولا سيما ما يعرف منه بعلم المعاني . قال الجواري : « ولكن الذي هو جدير بالتنبيه عليه ان علوم البلاغة ولا سيما علم المعاني قد قام معلقا أو كالمعلق في فضاء ، لا يستند الى قواعد تمسك به أن يزول أو يتزعزع ، وتلك القواعد هي قواعد النحو التي قضى عليها نأيها عن معاني النحو أن يفيض ماؤها ، ويجف مددها في حسن التعبير وجودة التركيب »(١١٩).

وذهب مهدي المخزومي الى أن « من سموا علماء المعاني هم النحاة الحقيقيون وهم الذين دفعوا بالدرس النحوي الى أمام ، وقدموا للدارسين فيه نتائج طيبة خليقة بأن يستفاد منها »(١٢٠).

وجاء تمام حسان فدعم هذا الاتجاه فقال : « انه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمة الدراسة النحوية ، أو فلسفتها ان صح التعبير »(١٢١).

تيسير النحو :

ذهب طه الراوي الى أن هناك أربعة مذاهب لاصلاح النحو ، المذهب الأول اصولي سلفي وخلاصته « الرجوع الى الاصول الأصلية من كتب الاقدمين فنرجع بالنحو مثلا الى كتاب سيبويه ومؤلفات أبي الفتح الموصلي وشيخه أبي علي وكتب الزمخشري وامثالها من كتب الأئمة الأولين . وينبغي

---

(١١٨) نحو المعاني : ٢٢ .
(١١٩) نحو المعاني : ١٣ .
(١٢٠) في النحو العربي نقد وتوجيه : ٢٩ .
(١٢١) اللغة العربية معناها ومبناها : ١٨ .

الزهد في كتب المتأخرين التي اصيبت بعاهات كثيرة تمكن الاشارة الى بعضها فيمـا يأتـي :

- الاختصار المخـل في بعضها حتى اصبحت أشبـه بالمعميات منها بكتب التدريس •
- التشاغل بالالفاظ عن المعاني ، والتلهي بالقشور عن اللباب ، كما وقع في كثير من الشروح والتعاليق •
- التوخي لامـور ليست من صلب الموضوع ، ولا تمت اليه بسبب ، فبينما أنت تقرأ فصلا من كتاب نحوي ، اذا بك تقع على تحقيـق مسألة منطقية أو كلامية او تاريخية وهذا خلط يضل القارىء ، ويربك الطالب •
- الاكثار من حشد الاراء ورص المسائل في الكتب المؤلفة لأصاغر الطلبة ، وأوساطهم من غير نظر الى مستوى الطالب العقلي ، ومبلغ قدرتـه على فهم هذه المسائل ، وهضم تلك الاراء •
- الاكثار من العلل الفلسفية التي تجهد العقل ، ولا تغني اللسان ولا القلم •

« المذهب الثانـي مذهب التهذيـب والتشذيب ، واصحـاب هـذا المذهب يرون أنه ينبغي ان توضـع كتب حديثة لجميـع فروع العربيـة وعلى مراحل تتفـاوت بتفـاوت قابليـات الناشئـة من الطلبـة على ان تكـون هـذه الكتب مقصورة على المسائل التي لايسع الطالب جهلها ، جامعة بين دقة التبويب والترتيب وسهولة التعبير بما يلائـم عقول ابناء هذا الجيـل ، سالكة أوضح الطرق العصرية في اصول التعليم •••

« المذهب الثالـث مذهب الانقـلاب والتجديـد ، وبمقتضى هـذا المذهب يعاد النظر في النحو مثـلا ، فتحذف بعض ابوابـه ، وتـزاد ابواب أخرى ، وتختصـر بعض فصولـه وتبسط بعضها ، ويستعاض من بعض المصطلحـات بمصطلحات تلائم النظرية التعليمية في العصر الحاضـر • وعلى الجملة يسار

بعلوم اللغة العربية سيرة تشبه بكثير من الوجوه سيرة الامم الاخرى في تعليم لغاتها الحية المبنية على الطرق التعليمية الحديثة ...

« المذهب الرابع العجز والتقصير ، وهو مذهب لايستحق أن يعد في جملة مذاهب الاصلاح ، لأنه مذهب هدم وتدمير ، واهل هذا المذهب يرون أن تترك لغتنا جانبا معترفين بعجزها وتقصيرها عن أن تتسع لعلوم العصر ، وعلينا ان تتعلم تلك العلوم بلسان أعجمي نختاره من بين الالسن الغربية»(١٢٢).

وقد بين الراوي رأيه في هذه المذاهب فقال : « ان اجدرها بالاعتبار هو المذهب الثاني (مذهب التشذيب والتهذيب) بالنسبة للمبتدئين ، ويمكن الجمع بينه وبين المذهب الأول بالنسبة للشداة من المتعلمين الذين يأخذون من علوم الأدب بنصيب ، فعلى المصلحين من رجال العلم أن يتوافروا على وضع الكتب السهلة في جميع فروع العربية على ضوء الحقائق العلمية التي أقرها رجال التربية والتعليم في العصر الحاضر »(١٢٣).

(٣)

النقد اللغوي

لقد شهد أواخر القرن الماضي والقرن الحالي حركة نشيطة في مجال النقد اللغوي ، فقد انبرى عدد كبير من اللغويين في العراق والشام ومصر يذودون عن سلامة اللغة العربية ، ويردون من يخطىء في مفرداتها واساليبها الى الوجه الصحيح(١٢٤).

والملاحظ أن رجال النقد اللغوي لم يتفقوا على مقياس صوابي موحد ، بل تفاوتوا في نظراتهم الى الخطأ والصواب ، فأمكن تصنيفهم في اتجاهين : الاتجاه المتشدد الذي لايرضى من الكلام إلا أفصحه ، ولا يجيز من اللغات

(١٢٢) نظرات في اللغة والنحو : ٤٧-٥١ .
(١٢٣) نفسه : ٥٣ .
(١٢٤) للاطلاع على هذه الحركة ينظر (الدراسات اللغوية في العراق) و (حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث) .

إلا أنقاها ، وأسماها درجة ، ويمثل هذا الاتجاه إبراهيم اليازجي وأسعد داغر والكرملي ومصطفى جواد وكمال إبراهيم[125] . والاتجاه المتساهل الذي يجيز الاستعمالات المرجوحة والمولدة مادامت تؤدي المعنى ، وما دامت الألسنة والأقلام تتداولها وتجري بها على نطاق واسع . ويمثل هذا الاتجاه معروف الرصافي وجميل صدقي الزهاوي وطه الراوي[126] .

ولم يكن طه الراوي قد تصدى للألسنة والأقلام بالنقد والتقويم على نحو مافعل رجال النقد اللغوي الآخرون ، وانما اكتفى بالتعليق على جهودهم ، والحكم على ما صدر عنهم من منع واباحة ، وتحريم وتحليل ، في مقال رصين نشره في مجلة (الأديب) البيروتية عام ١٩٤٥ ، جعل عنوانه (النقد اللغوي) .

لقد آثر الراوي أن يسمي عملية (تنقية اللغة) ، ورد المخطئين فيها الى الصواب نقداً لغوياً ، كما آثر هذه التسمية الكرملي ومصطفى جواد وغيرهما ممن أسهم في هذا العمل ، وكان له نشاط فيه . والملاحظ أن بعض اللغويين والكتاب يؤثرون أن يطلقوا عليها مصطلح (التصحيح اللغوي) أو (التصويب اللغوي) . وقد سبق أن عالجت هذا الأمر في كتابي الموسوم بـ (النقد اللغوي عند العرب حتى نهاية القرن السابع الهجري) وكتابي الموسوم بـ (النقد اللغوي بين التحرر والجمود) ، فأوضحت فيهما أن عملية (تنقية اللغة) هي عملية نقد ، تخضع لضوابط وأسس ونظرة منهجية ، على نحو ما تخضع لهذه الأمور اتجاهات النقد الأخرى ، ومذاهبه المتعارفة ، وليست مجرد تصحيح لخطأ ، أو إرشاد الى الصواب فيه ، كما يعمل المصحح اللغوي في جريدة أو إذاعة أو مطبعة .

وقد دعا طه الراوي في مقاله المشار اليه آنفا الى معالجة هذا الضرب من النقد لعظيم فائدته في صيانة العربية في عصر تذاءبت فيه عليها عوامل الفساد

---

(١٢٥) الدراسات اللغوية في العراق : ١٣٦ وما بعدها
(١٢٦) نفسه .

والانحلال ، بقصد وغير قصد . لقد أقبل الكتاب يحررون في الصحف ، ويؤلفون في العلوم « فتورطوا في أوهام لغوية كثيرة ، وجارت بهم أقلامهم عن سواء السبيل ، فانبرى لهم ناس من اهل الغيرة على اللغة ، وأولي الاقدام الراسخة فيها ، واخذوا ينقدون ما يصدر عن أقلام اولئك الكتاب نقداً دقيقا ، يميزون فيه بين صحيح القول وبهرجه ، ورفيعه ووضيعه ، وقد الف بعضهم رسائل خاصة في هذا الموضوع كما كان يفعل الأقدمون ... ونحن لانشك في أن منافحة أولئك المخلصين من اللغويين عن بيضة اللغة المعربة كان له أثره البارز في حمايتها من أوصاب كثيرة ، وعاهات كادت تودي بسلامتها لولا هذه المنافحة »[127].

غير أن الراوي ّ لاحظ على النقد اللغوي وجود عيبين فيه : الأول أن بعض الذين تصدوا له لم يستكملوا عدته ، ولم يتزودوا له الزاد الكافي ، الذي ينأى بهم عن الخبط فيه ، ويقيهم الضرب في مسالكه على غير هدى ، فيبيحون الممنوع ، ويمنعون المباح . إن بعض النقاد اللغويين لم يحيطوا بمفردات اللغة ومذاهب اللغويين ، فاذا وقف أحدهم على رأي عدّه ضربة لازب ، وحكم على المنشئين بمقتضاه ، « مع أنه لو أبعد في النظر ، وانعم الفكر ، لوجد رأيا أو آراء تخالف ماذهب اليه»[128]. وأن بعضهم الآخر يجهلون قوانين التصريف والنحو « فينكرون كل صيغة لايقفون عليها في المعاجم التي بين أيديهم مع أن اصحاب المعاجم كلهم أو جلهم لايذكرون في معاجمهم الصيغ القياسية الا قليلا ، اعتماداً منهم على ما يقرره علم التصريف وعلم النحو من القواعد »[129]. وقد وصف الراويّ هؤلاء النقاد بأنهم « يضرون اللغة من حيث يقدرون أنهم يخدمونها ، لأن تحريم الحلال لايقل اساءة عن تحليل الحرام »[130] والثاني التزمت والتشدد اللذان يحولان دون

(١٢٧) نظرات في اللغة والنحو : ٦٨ . (١٢٨) نفسه : ٧٠ .
(١٢٩) نفسه :
(١٣٠) نفسه : ٧١ .

الأخذ بما في اللغة من رخص وجـوازات . ان التشدد لايخـدم اللغة ، وان المتزمتين فيها عندما يضيقون الواسع انما « يظهرون اللغة بمظهر ضيـق جاف متحجر ، ويوهمون الكاتبين من الناشئين أن هـذه اللغة ضيقة الصدر ، صعبة المنال ، جمة العقبات ، كثيرة المنعطفات والملتويات ، لايتسع صدرها لهذا الفيض الفائض من علوم العصر وفنونه ، مع أنها براء من كل ذلك»[١٣١].

وقد رمى الراويّ المتشددين بأنهم « لم يقدموا على ذلك النقد المفلوج إلا ليظهروا بمظهر العارفين ، ويظهروا غيرهم بمظهر الجاهلين ، وهـي شنشنة قديمة ، لم يكد يسلم منها عصر من عصور التاريخ »[١٣٢].

فالتعجل والتشدد هما آفتا النقد اللغويّ في هذا العصر ، كما كانا آفتيه في عصور خلت .

أما بعد ، فقد كان طه الراويّ علما من أعلام الدرس اللغويّ والنحويّ ورائداً من رواد هذا اللـون من البحث العلميّ في العـراق الحديث ، وقد حاولت فيما تقدم أن أرسم لجهده في هذا الجانب صورة جلية الملامح ، واضحة القسمات ، فان وفقت لذلك فهو حسبي ، والله وليّ التوفيق .



---

(١٣١) نفسه .

(١٣٢) نفسه .

المصــــادر

* الاتجاهات النحوية الحديثة ، فيصل احمد فؤاد ، رسالة ماجستير مخطوطة في جامعة بغداد .
* احياء النحو ، ابراهيم مصطفى ط ١٩٥٩ .
* ارتشاف الضرب من لسان العرب، ابو حيان التوحيدي الأندلسي، تحـ . د. مصطفى النحاس ، ط١ ، ١٩٨٤ .
* تاريخ علوم اللغة العربية ، طه الراوي بغداد ١٩٤٩ .
* الترادف في اللغة ، حاكم مالك لعيبي ، وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٠.
* حركة التصحيح اللغوي في العصر الحديث ، د. محمد ضاري ، وزارة الثقافة والاعلام .
* الخصائص ، ابن جني ، تحـ . محمد علي النجار ، ط٢ ، بيروت .
* دراسات في فقه اللغة ، د. صبحي الصالح ، ط٦ بيروت ١٩٧٦ .
* دراسات في اللغة ، د. ابراهيم السامرائي ، بغداد ١٩٦١ .
* الدراسات اللغوية في العراق ، د. عبدالجبار جعفر ، بغداد ١٩٨١ .
* ذم الخطأ في الشعر ، احمد بن فارس ، مطبوع في ذيل (الكشف عن مساوىء شعر المتنبي) عنيت بنشرهما مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٤٩ هـ .
* الصاحبي في فقه اللغة ، ابن فارس ، تحـ . الشويمي ١٩٦٣ بيروت .
* طه الراوي ، حارث طه الراوي ، القاهرة ١٩٦٥ .
* فصول في فقه العربية ، د. رمضان عبدالتواب ط١ ، ١٩٧٣ .
* فقه اللغة ، د. عبدالحسين المبارك ، جامعة البصرة ١٩٨٦ .
* فلسفة اللغة العربية وتطورها ، جبر ضومط ، القاهرة ١٩٢٩ .
* في فقه اللغة ، د. سميح ابو مغلي ، ط ١ عمان ١٩٨٧.
* في اللغة ودراستها ، د. محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة .
* في النحو العربي نقد وتوجيه ، د. مهدي المخزومي ط١ ـ، بيروت ١٩٦٤.
* قضية التحول الى الفصحى في العالم العربي الحديث ، د. نهاد الموسى ط ١ ، ١٩٨٧ .
* الكتاب ، سيبويه ، تحـ . عبدالسلام هارون ، الهيئة المصرية .

* اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان ، القاهرة ١٩٧٣ .
* لغتنا والحياة ، د. عائشة عبدالرحمن ، دار المعارف بمصر .
* المباحث اللغوية في العراق ، د. مصطفى جواد ط ٢ ، ١٩٦٥ .
* المظاهر الطارئة على الفصحى ، د. محمد عيد ، عالم الكتب القاهرة ١٩٨٠ .
* المقدمة ، ابن خلدون .
* من أسرار اللغة ، د. ابراهيم انيس ، ط٢ ، ١٩٦٦ .
* المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري ، مطبعة الترقي ، دمشق ١٩٤٥ .
* الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري ، الآمدي ، تح . السيد أحمد صقر .
* نحو التيسير ، د. أحمد عبدالستار الجواري ط٢ ، ١٩٨٤ .
* نحو المعاني ، د. أحمد عبدالستار الجواري ، ط١ ، ١٩٨٧ .
* نظرات في اللغة والنحو ، ط هالراوي ، ط١ ، ١٩٦٢ .
* النقد اللغوي بين التحرر والجمود ، د. نعمة رحيم العزاوي ، الموسوعة الصغيرة ١٤١ .
* الوساطة بين المتنبي وخصومه ، القاضي الجرجاني ، تح . أبي الفضل ابراهيم ط٣ .



نشاطـات المجمــع العلمـــي

بعد صدور قانون المجمع العلمي وتولي الهيئة العامة للمجمع بتشكيلتها الجديدة بموجب المرسوم الجمهوري ذي الرقم (١٢١)في ١٥ من شهــر محرم الحرام ١٤١٧هـ المصادف ١/٦/١٩٩٧م ـ قــام المجمــع بــدوائره الخمس بالنشاطات العلمية والثقافيــة الآتيــة :

أولاً :ــ أقامت دائرة العلوم الانسانية في المجمع العلمي موسمها الثقافي في موضوع الحضارة مهتدية بمقولة السيد الرئيس القائــد المنصــور بالله صــدام حسين (حفظه الله) :

« كل الحضارات الأساسية التي نشأت في الوطن العربــي هي تعبير عن شخصية أبناء الأمة الذين نبعوا من أصل المنبع الواحد . واذا كانت لتلك الحضارات خصوصيــة وطنيــة فــان الخصوصية الوطنية انمــا هــي جــزء من الســمــة القوميــة الأعـــم والأشمــل »

الرئيس القــائد

صـــدام حســين

وقد تضمن الموسم المحاضرات الآتيــة :

* المحاضرة الاولى : التربية والحضــارة ــ أ. د. مســارع الــراوي ــ ٤/١١/١٩٩٦ .
* المحاضرة الثانية : الفلسفة والحضــارة ــ أ. د. حســام الآلوســي ــ ١١/١١/١٩٩٦ .
* المحاضرة الثالثة : علــم النفس والحضارة ــ د. ريكــان ابراهيــم ــ ١٨/١١/١٩٩٦ .
* المحاضرة الرابعة : مذهبيــة الحضــارة الاسلاميــة ــ أ. د. محسن عبدالحميد ــ ٢٥/١١/١٩٩٦ .
* المحاضرة الخامسة : الطاقــة الروحيــة والحضارة ــ أ. د. مصطفى الزلمــي ــ ٢٥/١١/١٩٩٦ .
* المحاضرة السادسة : التاريخ والحضــارة ــ أ. د. هاشــم المــلاح ــ ٢/١٢/١٩٩٦ .
* المحاضرة السابعة : السياســة والحضــارة ــ أ. د. مازن الرمضاني ــ ٢/١٢/١٩٩٦ .
* المحاضرة الثامنة : المدينــة والحضــارة ــ أ. د. خالص الأشعــب ــ ٩/١٢/١٩٩٦ .
* المحاضرة التاسعة : الاجتمــاع والحضارة ــ أ. د. قحطان الناصري ــ ١٦/١٢/١٩٩٦ .
* المحاضرة العاشرة : (الحضارة) : موقف وحوار ــ أ.د. منذر الشاوي ــ ٢٣/١٢/١٩٩٦ .

ثانيا :ـ لمناسبة مرور (٤٩) عاماً على تأسيس المجمع العلمي ظمت دائرة اللغة العربية في المجمع (ندوة اللغة العربية والنهضة القومية)بتاريخ ٢٦/١١/١٩٩٦م الموافق ١٥ /رجب/١٤١٧هـ • وتضمن منهجها ما يأتي :

المحور اول : العربية والفكر الانساني :

تعريب التعليم الجامعي والنهضة القومية : أ•د جميل الملائكة

المحور الثاني : العربية وتحديات العصر •

١ ـ اللغة العربية والوحدة : أ•د أحمد مطلوب

٢ ـ اللغة العربية والنهوض القومي : أ•د• عبدالله الجبوري

المحور الثالث : منهجيات اللغة •

الألسنية المعاصرة والعربية : أ• د• رشيد العبيدي

المحور الرابع : الادب والنهضة القومية •

١ ـ الوعي القومي في الشعر العربي الحديث ـ أ•د عناد غزوان

٢ ـ دور النثر الحديث في النهضة القومية ـ الاستاذ حميد الهيتي

ثالثاً ـ أقامت دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية في المجمع العلمي موسمها الثقافي مهتدية بمقولة السيد الرئيس القائد المنصور بالله صدام حسين (حفظه الله) :

« لايمكن أن تنهض الأمة إلا عندما تنهض علمياً سواء باحترام العلم والثقافة أو بتطبيق العلم والثقافة تطبيقاً جيداً ، الينبوع العراقي ينبغي أن يتغير لكي يكون ثقله في الميزان أعلى من أية مرحلة سابقة وينبغي أن تمتزج المبادىء بالعلم امتزاجاً جدياً إلى أقصى حدود التفاعل » •

الرئيس القائد

صدام حسين

وقد تضمن المحاضرات الآتيـــة :

* تنفيذ العراق لالتزاماته ضمن القـــرار ٦٨٧ لمجلس الامن الدولي وصيغة العلاقة مع اللجنة الخاصة : الفريـــق الدكتور عامـــر حمودي السعدي ، ٣٠/١٢/١٩٩٦ •
* الزراعـــة النسيجية والهندسة الوراثية في تأمـــين الغذاء : أ• د• هـــدى صالح عماش ـ د• جلادت محمد صالح ، ٢٧/١/١٩٩٧ •
* أسس تنمية الصناعـــة الكيميائية في العـــراق : أ• د• نعمان سعدالدين النعيمـــي ، ٣/٢/١٩٩٧ •
* تطور الاتصالات والتحدي الثقافي : السيد فيصل الياسري ، ١٧/٢/١٩٩٧ •

رابعا : احتفاءاً بيوم العلم في العراق الذي يصادف يوم ١٨ كانون الثاني من كل عام • استذكاراً واحتفاءاً لسقوط أول صـــاروخ عراقـــي (صـــاروخ الجسين) على الكيان الصهيوني فـــي منازلـــة أم المعارك ، أقـــامت دائرتي العلوم الصرفة والتطبيقية ودائرة المصطلحات والترجمة والنشر اسبوعا ثقافيا علمياً تضمن المحاضرات الآتيـــة :

* الافادة من التـــراث العلمي العربي في توحيـــد المصطلحات الهندسيـــة : أ•د• محمد طارق الكاتب ، ١٣/١/١٩٩٧ •

٢ ـ ندوة التناسب الهندسي في العمارة العربية والاسلامية : ١٥/١/١٩٩٧•

* مراجعة استطلاعية في التناسب الهندسي ـ المهندس سعد الزبيدي •
* النسب الهندسية في تخطيط المدينة والعمارة ـ الدكتور حنين لطف الله•
* الاسس الرياضية لهندسة العمارة الاسلامية ـ أ• د• عوني كامل شعبان•
* المنظومـــات التناسبيـــة في العمـــارة العربية الاسلامية ـ الدكتورة قبيلة فـــارس المالكي •

* التناسب الهندسي وانعكاساته الجمالية في العمارة الاسلامية ـ طالب حميد الطالب .

٣ ـ حلقة نقاشية عن « كيفية وضع المصطلح وتوحيده ووسائل نشره واستعماله » : ا.د. محمد ضاري ، أ.د. جميل الملائكة ، أ.د. محمود حياوي ، أ.د. بدري عويد ، ١٦/١/١٩٩٧ .

٤ ـ ندوة يوم العلم عن صناعة الصواريخ العراقية وتنفيذ الضربات الصاروخية على الكيان الصهيوني : الفريق الدكتور عامر حمودي السعدي ، الفريق الركن حازم عبدالرزاق شهاب ، ١٨/١/١٩٩٧ .

٥ ـ البحث العلمي في البلاد العربية (الواقع والتحدي) : أ.د. طه تايه النعيمي ، ٢٠/١/١٩٩٧ .

خامسا : لمناسبة مرور عام على رسالة السيد الرئيس القائد المنصور بالله صدام حسين (حفظه الله) الموجهة الى السادة اعضاء مجلس الوزراء المؤرخة في ٢/١٢/١٩٩٥م . عقدت دائرة العلوم الانسانية بتاريخ ٢/١٢/١٩٩٦ حلقة نقاشية حول محتوى الفكر الاقتصادي في رسالة القائد .

١ ـ الرسالة من منظور النظرية النقدية : د. طليعة كوركيس توما .

٢ ـ الرسالة من منظور المالية العامة : أ.د. طاهر الجنابي .

٣ ـ الرسالة من منظور الاقتصاد الكلي : أ. د. اسماعيل عبيد حمادي .

سادسا : عقدت دائرة التراث العربي الاسلامي حلقة نقاشية حول المنطلقات الاساسية لتاريخ العلوم بتاريخ ٤/١/١٩٩٧م تحضيراً لندوة تحت هذا العنوان .

سابعاً : أقامت دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية بالتعاون مع الجمعية العراقية لعلوم الحاسبات بتاريخ ٢٢/١٢/١٩٩٦م ندوة بعنوان (الحسابة واللغة العربية) حاضر فيها كل من الدكتور أكرم عثمان والدكتور سعد عبدالستار .

ثامناً : ضمن نشاط دائرة العلوم الانسانية ألقت الدكتورة ثريا عبدالرحيم محاضرة بعنوان (التضخم والظاهرة الدولارية) بتاريخ ٣/٣/١٩٩٧م عقب عليها كل من :

الاستاذ حكمت العزاوي وزير المالية والدكتور محمد مهدي صالح وزير التجارة ٠

تاسعاً : أقامت دائرة التراث العربي الاسلامي موسمها الثقافي في موضوع التراث وتضمن المحاضرات الآتية :

* مفهوم التراث : أ٠د٠ هاشم الملاح ، ١٠/٣/١٩٩٧م ٠
* القانون في التراث العراقي القديم : أ٠د٠ عامر سلمان ، ١٧/٣/١٩٩٧م٠
* مضمون التراث : أ٠د٠ عبدالحليم الحجاج ، ٢٤/٣/١٩٩٧ ٠

عاشراً : نظمت دائرة العلوم الصرفة والتطبيقية بتاريخ ١٧/٣/١٩٩٧م ندوة عن (نظام الري في العهد العباسي) وتضمن منهجها البحوث الآتية :

١ ــ ري سواد العراق قبل العصر العباسي (عصر الراشدين والامويين) : أ٠د٠ حمدان الكبيسي ٠

٢ ــ بعض مشاريع الري في العصر العباسي : أ٠ د٠ نجيب خروفة ٠

٣ ــ ري سواد بغداد في العصر العباسي : الدكتور حميد نشأت ٠

٤ ــ المشاريع الاروائية في العصر العباسي : أ٠ د٠ حميد رشيد ٠

٥ ــ مشاريع الري في العصر العباسي وعلاقتها بمشاريع الري الحديثة : المهندس خيون مطير ٠

٦ ــ مشروع النهروان ــ انشاؤه واستخداماته واندثاره وامكانية احيائه في الوقت الحاضر : المهندس وصفي عبدالامير ٠

أحد عشر : ــ ضمن نشاط دائرة العلوم الانسانية ألقى اللواء الركن المتقاعد علاءالدين حسين مكي خماس محاضرة بعنوان السّوْق(الستراتيجية) بين النظرية والتطبيق بتاريخ ٣١/٣/١٩٩٧م ٠

(الترجمــة الآليــة)

عقـــدت في المجمــع العلمــي حلقــة نقاشيــة فــي ١٧/١١/١٩٩٦ لمناقشة الدراسة التي أعدها فرع المعلوماتية والحسّابة في المجمع العلمي وقد استعرض ، الاساتذة أعضاء الفرع الدكتــور سعد عبدالستار مهدي مدير عام شركــة بابل للبرمجيات والاستاذ أكــرم محمد عثمان رئيس الجمعية العراقية لعلوم الحاسبات ، الدراسة بالاضافة الى عـرض بعض المعلومــات الخاصة باللسانيــات الحاسوبية • ونستعرض فيما يأتي المفاهيــم الاساسية للترجمة الآليــة التي وردت في الدراسة واستعرضت خلال الحلقة النقاشية •

١ ـ المقدمـــة

انتشرت تطبيقات الذكاء الاصطناعي (Artificial Intelligence Applications) انتشاراً واسعاً في العالم منذ عقدي السبعينات والثمانينات الى الوقت الحاضر، أذ ركز مشروع تطوير الجيل الخامس من أجيــال الحاســوب الذي بــدأ اليابانيون العمل به في بدايــة الثمانينــات على الأساليــب والتطبيقــات التي ينتهجها الذكاء الاصطناعي ، ويقف في مقدمة أهداف تلك التطبيقات فهــم اللغة الطبيعية (Natural Language Understanding) الذي يهدف الى جعل الحاسوب يفهم لغة البشر ، تمكين مستخدم الحاســوب من التعــامل مــع حاسوبه باللغة الطبيعية (العربية ، الانكليزية ، الفرنسية ، ••• الخ) •

تستند تطبيقات معالجة اللغة الطبيعية بشكل أساســي الى علم اللسانيات الحاسوبيــة (Computional Linguistics) وهــو العامل المشتــرك لعلمــي اللسانيات والحاســوب • فاللسانيات تعــد الأرضية النظريــة لصياغة اللغــة صياغة رياضية ومنطقية ، أما علم الحاسوب فهو يحوّل الصياغات اللسانيــة الى منظومات حاسوبية تكون قادرة على جعل الحاسوب يفهم لغة البشــر أولاً ويتعامل مع مستخدمي الحواسيب بهذه اللغة ثانياً •

ان أبــرز تطبيقات معالجــة اللغــات الطبيعية هو الترجمــة الآليــة (Machine Translation) الذي يهدف الى بناء منظومات للترجمة الآلية يقوم

الحاسوب من خلالها بترجمة النصوص من لغـة الى أخرى وفي مجـال محدد من مجالات العلـم والمعرفـة ، ويتحقق هذا الهـدف أولاً بجعـل الحاسوب يفهم لغة البشر ، واعطاء ترجمة صحيحـة ودقيقـة دون اللجـوء الـى المترجمـين ثانيـاً .

نالت اللغة العربية مؤخراً اهتماماً واسعاً من المختصين في علم الحاسوب بغية تطوير وسائل معالجتها وأساليبها حاسوبياً اسوة بما وصلت اليـه بقية اللغات العالمية وعلى وجه الخصوص اللغات الأوربية ، حيث كان التركيز في هذا العمل خلال السنوات العشر المنصرمة منصباً على تطوير تطبيقات لمعالجة اللغة العربية حاسوبياً في الاقطار العربية تتلاءم مع خصوصيات اللغـة العربية (الصرف والتركيب والدلالة والمعجم) .

مما تقـدم وللأهمية الكبيرة للغتنـا العربية لغـة (القـرآن الكريم)، فان أقل مانقدمه لها هي تظافـر جهود علمائنا العرب (اللغويين والحاسوبيين) نحو ترسيخ عجلة العمل ودعمها ودفعها في هذا المجال للوصول الى بنـاء منظومات متكاملة لمعالجة اللغة العربية حاسوبيا تتناسب ومكانـة هذه اللغة ، فضـلاً عن استجابتها لمتطلبات العصر الحاضر في مختلف مجالات المعلوماتية .

في هذا التقرير سوف نقدم عرضاً نؤشر فيه أهم الامور التـي تتعلق بموضوعات اللسانيات الحاسوبية ومعالجة اللغات الطبيعية والترجمة الآلية وتطورها وتجارب الدول الأجنبية والعربية في هذا المجال ، كمـا سنتطرق الى تجربة العراق وما وصلت اليه هذه التجربة لوضع الخطط المستقبليـة والمقترحات التي من شأنهـا رفـع مسـيرة العمـل باتجـاه متقـدم ومواز للتوجهـات العالميـة .

٢ ـ اللسانيات الحاسوبية وفهم اللغة الطبيعية

من الاهداف المهمة التي تشغل الباحثين في مجال الذكاء الاصطناعـي هو جعل الحاسوب يسلك سلـوك البشـر . ومن أولويـات هذا السلوك هو

فهم اللغات الطبيعية التي يتداولها الناس في حياتهم اليومية إلا ان كلمة فهم معقدة بحيث لايمكن جعل الحاسوب يستوعب الكثير من الامور البسيطة التي يفهمها البشر والتي تعد بديهيات ، وذلك لما يوجد من تداخلات لعناصر كثيرة في عمليات الفهم أبرزها العناصر اللغوية والصورية والنفسية والحركية .. الخ .

لقد وضع اليابانيون في قمة أهداف حواسيب الجيل الخامس (Fifth Generation Computers) هدفاً اساسياً ألا وهو جعل الحاسوب يفهم اللغات الطبيعية . وقد قام الباحثون في مختلف أرجاء العالم بتطوير لغات وبرامجيات مساعدة في هذا الاتجاه ، فقد أنجزت بعض المنظومات في مجالات محددة لها امكانية التخاطب والتحاور مع البشر باستخدام لغة طبيعية (مثل الانكليزية أو الفرنسية) ، بل هناك منظومات قادرة على الترجمة من لغة طبيعية الى اخرى وضمن مجال محدد أيضاً مثل مجال (الطب الباطني أو صناعة التعليب) .

ان الترجمة بمساعدة الحاسوب (Computer Aided Translation) تعد حلم البشرية ، فعندما يستطيع الحاسوب الترجمة من لغة الى اخرى فانه بالتأكيد يفهم تلك اللغات وبالاسلوب الذي يفهمه البشر . لقد قطعت اللغات (الهندو ــ أوربية) مثل (الالمانية والانكليزية والفرنسية) شوطاً كبيراً في اتجاه معالجتها حاسوبياً ، وبالتالي فهم منظومات الحاسوب لها ، ويعود السبب في ذلك الى وجود أبحاث كثيرة منها أساسية ومنها تطبيقية أوصلتها الى هذا المستوى . أما لغتنا العربية فلم تنل القسط الوافر من البحث في هذه الجوانب المهمة وهي بالتالي متأخرة عن الركب في مجال المعالجة والفهم حاسوبياً ، ولكن هناك وخلال السنوات العشر الماضية مبادرات في هذا الاتجاه نأمل أن يكتب لها النجاح لنتمكن من التواصل في هذا الجانب الحيوي المهم .

لقد حافظت اللغة العربية على ثبات المنظومة اللغوية العربية ، وقد قام العلماء العرب مثل أبي الاسود الدؤلي وابن جني وعبدالقاهر الجرجاني بوضع الأسس المنطقية للنحو والصرف والدلالة ، وما البحوث التطبيقية الجارية حالياً في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية إلا تطوير للمنهج اللغوي العربي الذي وصفه النحاة الأسلاف .

تميزت مرحلة الثمانينات بانجاز العديد من البحوث في المجالات العلمية والتعليمية التي أثرت كثيراً في ستراتيجيات إنتاج أجهزة الحواسيب وبرامجياتها وأصبح الاتجاه السائد في تصميم تلك الأجهزة يأخذ بنظر الاعتبار معمارية أداء العقل البشري وأسلوبه . هذا التغيير في الاتجاهات والستراتيجيات نابع أساساً من محاولة تطبيق مفاهيم الذكاء الاصطناعي ، الذي يهدف الى جعل الحاسوب يمتلك قدرات ذكية تشابه تلك الموجودة لدى البشر ، أو بمعنى آخر صناعة حاسوب لديه المقدرة على التفكير (A computer which can think) . هذا الهدف الكبير لابد من تجزئته الى أهداف فرعية تتطلب أن يبذل الاختصاصيون جهداً كبيراً للوصول الى هذا الحلم . وكان لابد من النزول الى مستويات البحوث الاساسية لتحقيق ذلك الحلم وهي :ـ

أ ـ كيفية تعامل الحاسوب مع اللغات الطبيعية التي يتعامل بها البشر في حياتهم اليومية .

ب ـ كيفية فهم الحاسوب لتلك اللغات .

كما ذكرنا سابقا ، فان فهم الحواسيب للغات البشر الطبيعية يعد حلم البشرية وهو العامل المشترك لمعظم تطبيقات أهداف مشروع حواسيب الجيل الخامس ، ولعل أبرز مثال على هذا التفاعل هو امتلاك منظومات الحواسيب القادرة على الترجمة من لغة طبيعية الى لغة أخرى . ففي هذه العمليات لابد أن يمتلك الحاسوب المعارف المختلفة في اللغة المترجم منها واللغة

المترجم اليها وبالمستوى نفسه الذي يمتلكه الشخص المترجم ولا سيما المعارف الآتيـة الخاصة باللغتـين :

- قواعـد اللغـة •
- معاني الكلمات والمصطلحـات
- معاني الجمل والعبارات
- مجال الموضوع

وبدون هذه المعارف لايمكن للشخص المترجم ولا لمنظومة الترجمة الآلية فهم اللغات وانتاج الترجمة المطلوبة وعلى هذا الاساس برز موضوع الترجمة الآلية منذ الخمسينات وواجه مشاكل كثيرة خلال مراحلـه الاولى • إلا أن أهميته جعلت العاملين في حقلي اللسانيات والحاسوب يركزون على الجوانب النظرية والعملية لهذا المجال وعلى موضوعة معالجة اللغات الطبيعية بالذات، الذي يمكن تعريفه ببساطة بأنه الموضوعة التي تختص بالنظريات والتقنيـات الخاصة بمشاكل الاتصال بين أجهزة الحواسيب واللغات الطبيعية •

إن أهم الأهداف البحثية في هذا المجال هو تصميم برامجيات (Software) تمكن البشر من التعامل مع الحاسوب بأسلوب التخاطب الطبيعي (كتـابةً أو كلامـاً) ، وأن تطوير منظومة معالجـة لغات طبيعية هي مسألة من أكثـر المسائل العلمية تعقيداً وصعوبة فـي مجال علوم الحاسـوب واللسانيـات (Linguistics) ، وذلك لكونها تحتاج الى تكامل عدة عناصر من مكونات المعرفة الأساسية للغة واستخدامها بكفاءة في أثناء معالجة تلك اللغة •

للتعرف على هـذا الموضوع المهـم لابد من تقديم بعض التعريفـات الاساسية للمفردات والمفاهيـم المستخدمـة فيه • ان المقصود باللغات الطبيعية هي تلك اللغات التي يستخدمها الناس للاتصال فيما بينهم خلال نشاطاتهم اليومية مثل (الانكليزية والعربية والصينية ••• الخ) • أما لغات برمجة الحواسيب فانها لغات أصطناعيـة ، تستخـدم للتعبير عـن أفكار محددة مثـل جعل

الحواسيب تفهم إيعازات وأوامر معينة باستخدام جمل محـددة بالأشكال • ان أهم مايميز اللغة الطبيعية عن اللغة الاصطناعية هو أن الكلمـة في اللغة الطبيعية يمكن أن تحمل أكثر من معنى ويمكن أن يكون هناك أكثر من تفسير لجملة معينة فضـلاً عن وجود قواعد معقـدة للتفسير والأستنتاج • ولغرض جعل الحواسيب تفهم اللغات الطبيعية فلابد من توفر معرفتين أساسيتين يكون الفهم بدونهمـا مستحيلاً وهما :

أ ــ معرفة الأفكار المتبادلة •

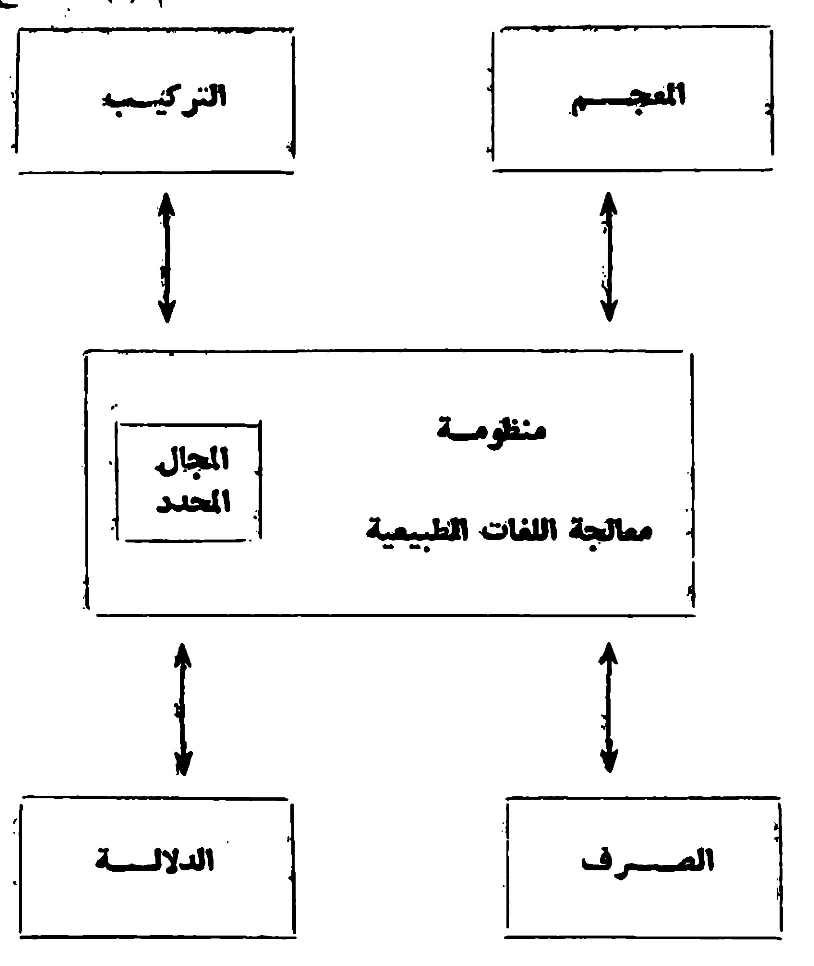
ب ــ معرفة الطرق التي أدخلت بها تلك الافكار الى اللغة •

يعود الاهتمام بمعالجة اللغات الطبيعية الى حوالي خمسين سنة ــ أي مع ولادة أول حاسوب ــ • وقد جرب عدد من الطرق في هذا الجانب ، إلا ان البحوث في مجال الذكاء الاصطناعي وهو المجال الذي يختص بدراسة الافكار التـي تجعـل من الحـواسيب ذكيـة ، وعلـم اللسانيـات الحاسوبيـة (Computational Linguistics) وهو المجال الذي يهتم بدراسة العلاقات بين علم الحاسوب واللغات والفلسفة وعلم النفس ، لم تتوصل الى وضع أسلوب محدد أو عام لمشاكـل فهم اللغة الانكليزية أو أية لغـة طبيعية أخرى بوساطة الحاسوب • والسبب الأساسي في ذلك يعود الى انه لغرض تمكن الحاسوب من فهم اللغات الطبيعية ، فان ذلك يتطلب جعل الحاسوب قادراً على استخدام اللغة الطبيعية بحرية وبالطريقة التي يستخدمها الناس في حياتهم اليـومية نفسها • وبالرغم من هذه الصعوبات إلا ان البحوث والتجارب توصلت الى تطوير عدد من الأساليب التقنية التي جعلت الحواسيب قادرة على التعامل مع أجزاء من اللغات الطبيعية وفي مجالات محددة من مجالات العلم والمعرفـة • ان هذا التطور في استخدامات اللغة وضمن مجال محدد ، بدلاً من محاولات فهم كامل اللغة وفي المجالات كافة ، يعد خطوة مهمة قد توصلنا يوماً ما الـى امكانية بناء منظومات حواسيب تفهـم اللغة فهماً كاملاً ، ان فهم الحواسيب

للغات الطبيعية المكتوبة يعتمد اعتماداً كلياً على وصف جوانب لغوية محددة بتلك اللغة وبالأخص ما يأتي :

- التركيب Syntax
- الصرف Morphology
- الدلالة Semantics
- المقاميات Pragmaties

فضلاً عن ضرورة معرفة جانب آخر لايقل أهمية عن الجوانب الأربعة أعلاه وهو مجال المعرفة(world knowledge) والشكل رقم (١) يوضح ذلك .



شكل رقم (١)

وفيما يأتي شرح عام للجوانب اللغوية الثلاثة الاساسية .

ا ـ التحليـل التركيبـي (Syntactical Analysis)

إن أول خطوة في معظم أنظمة معالجة اللغات الطبيعية تتعلـق بقواعد اللغة . ويتم ذلك بوصف رياضي ومنطقي للطرق التي تترتـب بهـا كلمات تلك اللغة لبناء هيكل عبارة أو جملة مقبولـة في تلـك اللغة . إن الهدف الأساسي من التحليل التركيبي للغات الطبيعية هو الحصول على عناصر يمكن إستخدامها في المعالجات اللاحقة . ولغرض انجاز مرحلة التحليل التركيبي للغة معينة لابد من الاعتماد على قواعد تلك اللغة ، التي تحدد الجمل والعبـارات السليمـة التركيب في تلك اللغة ، فضلاً عن قواعـد استعمـال الكلمـات في تركيب العبارات والجمل ، وهذه العملية تحتاج الى اختصاصي في علم اللغة يأخذ على عاتقه مهمة وصف هيكلة اللغة الطبيعية وبنائها بطريقة وصفاً رياضياً لتوليد الجمل والعبارات السليمة أو المقبولة في تلك اللغة .

إذن فالهدف الأساسي لهذه المرحلة في معالجة اللغات الطبيعيـة هـو الحصول على هيكل تركيبي (Syntactic Structure)لعناصر الجملة ، ولتحقيق ذلك لابد من وجود طريقة قياسية لوصف معرفتنا لتراكيب تلك اللغة وذلك باستخـدام مجموعـة مـن القوانـين مثـل قـواعد السيـاق المتحـرر (Context Free Grammar) وهو أحد الأساليب القياسية المستخدمة لوصف قواعد اللغات الطبيعية . ويمكن استعمال قواعد السياق المتحرر في وصـف قواعد اللغات الطبيعية واللغات غير الطبيعية مثل لغات برمجـة الحواسيب ، فضلاً عن تلك القواعـد لتمييز الجمل وبناء هيكل تركيبي لهـا . وتسمى هذه العملية بالاعراب (Parsing) . ولغرض اجراء عمليـات الاعراب يجـب استخدام قواعد اللغة التي تصف هيكلية تلك اللغة . وباستخدام تلك القواعد فـان المعـرب (Parser) يمكن أن يعطي البنية الهيكلية لكل جملة صحيحة تمرر عليه .

وترسم هذه البنية الهيكلية كشجرة يطلق عليها شجرة الإعراب (Parse tree) • وعلى هذا الاساس فان معالجة الجمل بوساطة المعرب يمكن أن تؤدي الى :ـ

(١) تحديد الجمل المقبولة إعرابياً في تلك اللغة •

(٢) إعطاء شجرة الإعراب للجمل المقبولة تركيباً في تلك اللغة •

وهناك العديد من النظريات تتناول موضوع التحليل التركيبي لعبارات اللغات الطبيعية وجملها سوف نوضحها في الفقرة الآتية :

ب ـ التحليل الصرفي للكلمات (Morphology)

لغرض إعطاء إعراب صحيح لجملة ما ، فان للتركيب الصرفي للكلمات دوراً أساسياً في تحديد نوع الكلمات (اسم ، فعل ، حرف •• الخ) خلال عمليات التحليل الاعرابي • ويواجه مستخدمو اللغات السامية ــ مثل العربية ــ مشاكل عندما يواجهون كلمة غير مفهومة • هذه المشاكل أعقد بكثير من تلك التي تواجه مستخدمي اللغة الانكليزية مثلاً • إذ يقوم مستخدم اللغة الانكليزية عندما يواجه كلمة مثل (Presupposition) باستخراج معنى (أو معاني) هذه الكلمة من المعجم الانكليزي بالبحث أبجدياً تحت الحرف (P) وبالتالي يأخذ كل حرف من الحروف التي تلي حرف (P) في الكلمة الى أن يجد تلك الكلمة متبوعة بالمعنى أو المعاني التابعة لها •

ان عملية البحث في المعاجم العربية هي أعقد بكثير من تلك المتبعة في الانكليزية • ففي المعاجم العربية تكون كل الكلمات المستخرجة من الجذر نفسه مجموعة ومدرجة تحت ذلك الجذر • وبذلك ، فان مستخدم المعجم العربي يجب أن يأخذ الكلمة اولاً ويستخرج جذرها ومن ثم يأخذ ذلك الجذر ويبدأ البحث في المعجم • وعليه فان العملية تتطلب استيعاباً وفهماً للتركيب الصرفي للكلمة والمضمون الذي وردت فيه تلك الكلمة •

وعلى هذا الاساس ، ففي معالجة لغة ــ مثل العربية ــ يتطلب اجراء التحليل الصرفي للكلمة كخطوة أولى لكي تتمكن من معرفة جذر الكلمة ، ومن ثم تحديد حقائق دقيقة عن نوع الكلمة (اسم ، فعل ، صفة،ظرف..الخ). فعلى سبيل المثال ، لو أخذنا كلمة مثل (العراقيون) ، فهي تتحال صرفياً الى الأجزاء الآتية :

السوابق : ال أداة تعريف

الجذع : عراق

الجذر : ع ر ف

الوزن الصرفي : فعال

اللواحق : ون لجمع المذكر السالم

ان القليل جداً من منظومات معالجة المعلومات استخدمت هذه الخاصية في اللغات . ولا يغيب عن بال مستخدمي اللغة العربية الاهمية الفائقة لهذه الخاصية في اللغة ، في توفر استخدام معجم يحتوي على جذور الكلمات ويترك لنظام تحليل الكلمات امكانية التعرف على الكلمة وتحديد جذورها والتراكيب الملحقة بها .

جـ ـ الدلالة (Semantics)

كما أسلفنا فان التحليل التركيبي للجملة ينتج منه التمثيل التركيبي لتلك الجملة على شكل شجرة تمثيل هيكلي لعناصر الجملة . ان هذه الخطوة هي الاولى نحو فهم الجملة . وعليه يجب الحصول على التمثيل الدلالي لها. ان عملية التحليل الدلالي للجملة تعطينا معنى الجملة في اللغة الطبيعية . وللوصول الى هذه الغاية ، يمكن استخدام قواعد الدلالة ، فتمثيل المعنى هو من المشاكل الأساسية في مجال معالجة اللغات الطبيعية .

وما زالت البحوث تناقش بدائل مختلفة لستراتيجيات تتركز على معلومات دلالية فقط ، فيما تذهب الاخرى الى اعتماد الأسلوب التتابعي الذي

يتضمن اجراء التحليل التركيبي أولاً ويليه التحليل الدلالي . في حين يذهب بعض الباحثين الى المزج بين التحليل التركيبي والدلالي وجعلهما متكاملين في نموذج حسابي للوصول الى تمثيل معنى الجملة في اللغة . وهذا البديل الاخير هو الذي يطغى حالياً على ستراتيجيات معالجة اللغات الطبيعية .وكمثال على الاسلوب التتابعي للحصول على تمثيل دلالي لتركيب جملة فأننا نحتاج الى المحلل الدلالي . مثل هذا المحلل يأخذ الوصف التركيبي للجملة كمدخلات له ويعطي تمثيلاً دلالياً كمخرجات .

تمر معالجة الجمل الداخلة الى الحاسوب والحصول على معنى لها بمرحلتين ، الأولى هي إعراب الجملة باستخدام القواعد التركيبية للغة ، والثانية هي قيام المنظومة باستنتاج المعنى من أجزاء تلك الجملة . ولغرض القيام بهذه العملية فان المنظومة تحتاج الى ثلاث مجموعات من المعلومات هي:

(١) معاني الكلمات التي تتألف منها الجملة .

(٢) كيفية تكوين معاني العبارات من معاني الكلمات .

(٣) كيفية تنظيم كل هذه في منظومة المعالجة .

وبذلك فان كل جزء من أجزاء الجملة يدخل في معالجات تتضمن التركيب (معلومات عن القواعد اللغوية) والدلالة (معلومات عن المعاني) لغرض إعطاء تمثيل لمعنى أجزاء الجملة . وبالتالي لمعنى الجملة الكاملة .

تعد الدلالة (Semantics) من أعقد مراحل المعالجة التي تمر بها الجملة في منظومات معالجة اللغات الطبيعية والسبب يعود الى ان الكثير من الجمل في اللغات الطبيعية لها أكثر من معنى أو يشوبها الغموض . ولغرض إزالة هذا الغموض والخروج بالمعنى الصحيح لتلك الجمل فلابد من تزويد المنظومة بالمعارف المطلوبة ذات العلاقة بموضوع الجملة أو محورها .

تتوزع تلك المعارف على أجزاء المنظومة ومراحلها في المعالجة فمنها مايكون على مستوى المعجم بحيث تكون على شكل مؤشرات دلالية

(Semantic Markers) لتحديد معاني تلك الكلمات ومنها مايكون على مستوى الوصف التركيبي للجمل كمحددات أنتقائية (Selectional Restrictions) وهي محددات تحدد المعنى الذي يمكن للجملة أن تعطيه من خلال انتقاء الكلمات التي يمكن لفعل الجملة أن يأخذها لإعطاء معنى لتلك الجمل •

٠٣ ما هو المطلوب من اللسانيات الحاسوبية العربية ؟

هناك مجالات عديدة يمكن اجراء البحوث فيها ضمن اللسانيات الحاسوبية العربية وهي :

* في مجال التدقيق الإملائي :

ـ التمييز الحاسوبي للنصوص العربية المطبوعة ، وتوليد الأحرف العربية بأشكال وحجوم مختلفة بحسب السياق •

* في مجال المعالجة الصرفية ذات الصيغ المتعددة :

ـ القدرة على التحليل الصرفي حاسوبياً ، وإرجاع الكلمات العربية الى جذورها سواء أكانت مشكلة كلياً آم جزئياً أم غير مشكلة ، والقدرة على توليد الكلمات العربية بناءً على المعلومات الصرفية والنحوية الموضوعة في شكل جذور وصيغ صرفية •

* في مجال المعجم المحوسب المزيد :

ـ تقديم معجم عربي مبني على أساس صرفي ودراسة الزيادات على وفق المعلومات النحوية والدلالية ، وتوفير قاعدة بيانات معجمية تدعهما حصيلة ضخمة من المعلومات اللغوية الخاصة بالمفردات العربية •

* في مجال المعالجة النحوية ذات الصيغ النحوية :

ـ القدرة على إعراب الجمل العربية حاسوبياً مع تحليل الانواع الرئيسة لها بأنماط تشكيل مختلفة ، والقدرة على توليد جمل عربية بأنماط تشكيل مختلفة استناداً الى الصيغ المنطقية والحصيلة المعجمية المتوفرة •

* في مجال المعالجة الدلاليـة :

- القـدرة على فهـم معانـي الجمل العربية الغامضة حسـب تشكيلهـا وعرض المفاهيـم المختلفة .

* في مجال المعالجة اللفظية :

- القدرة على فهم المحادثة العربية والالفاظ المحددة وتوليد نصوص منطوقة قادرة على توصيل معانٍ ذات دلالة .

٤. الترجمـة الآليـة

لكي يتضح حجم المشكلة لابد من طرح سؤال أساسي هو : ما الامكانيات والقدرات اللغوية والمعلومات غير اللغوية التي تجعـل الانسان قـادراً على الترجمـة من لغـة الى أخرى ؟

من بين الامكانات والقدرات اللغوية والمعلومات غير اللغوية المتوفـرة للمترجم الإنسان ما يأتـي :

أ ـ معجم (في ذاكرته أو تحت تصرفه) يحتوى على المفردات مثل (قرأ ؛ فوق) ، وكذلك يحتوي على السوابق واللواحق مثل :ال ، و ، نا .

ب ـ معجم (في ذاكرته أو تحت تصرفه) يحتوي على معاني العبارات التـي تختلف دلالتها عن المعاني الحرفية لمفرداتها ، مثل : (ركـب رأسه) ، (رق لها قلبه) ، (كان يقدم رجلاً ويؤخر أخرى) ، (قطـع علـى نفسه عهـداً) الـخ .

ج ـ مجموعة من القواعد الصرفية (قواعد تركيب الكلمة) تجعله قـادراً على تحليل الكلمات وتركيبها في عمليتي الفهم والتعبير .

د ـ مجموعة من القواعد النحوية (قواعد تركيب الجملة) تجعلـه قادراً على تحليل الجمل وتركيبها في عمليتي الفهم والتعبير .

هـ ــ مجموعة من القواعد الصوتية تجعله قـادراً على تحويـل البنى العميقة الى البنى السطحيـة .

و ــ القدرة على الاستعانة بالسياق اللغوي والسياق الدلالي من أجل تحديد المعنى المطلوب للكلمة أ والعبارة أو الجملة من المعاني المتعددة الممكنة ، سواء أكان السياق اللغوي ضيقاً (العبارة أو الجملـة) أم واسـعاً (الجمل السابقة و / أو التالية في النص) .

ز ــ معلومات واسعة عن الحياة والعالم تعينه على تحديد معنى الجملـة ذات المعاني المتعددة اذا كان السياقان اللغوي والدلالي لايكفيان لتحديد ذلك.

ح ــ القدرة على التعبير عن المعنى المقصود الذي توصل اليه تعبيراً صحيحا باللغة الأخرى (اعتماداً على معجمه اللغـوي وقواعده الصرفية والنحوية والصوتيـة الخاصة بهذه اللغة) .

إن قيام الانسان بالترجمة وبصورة عفوية أحياناً يحتاج الى المعـارف المذكورة أعلاه . ولكن كيف يتسنى للحاسوب القيام بالترجمة الآلية على وفق المستلزمات التي تحتاجها هذه العملية ؟

فالترجمة الآلية هي تحويل عبر لغتين يتولى الحاسوب بهذا التحويل نقل المعنى من لغة الى أخرى وعلى هذا لابد من وضع صيغة لغوية رياضية شكلية يكون بمقدور الحاسوب استيعابها والعمل بها .

ولانجاز الترجمة الآلية لابد من القيام ، خلال عملية الترجمة ، بأربعـة أشكال من التحـويلات النحوية :ــ

أ ــ اعادة ترتيب مكونات الجملة المترجمة في اللغة المترجم اليها .

ب ــ استبدال قواعد توليـد أو تحويل في اللغة المترجـم منها بقواعد توليد أو تحويل في اللغة المترجم اليها .

جـ ــ الاضافة في اللغة المترجم اليها .

د ـ الحذف في اللغة المترجم اليها •

ولايمكن ان تتحقق ترجمة سليمة التركيب والمعنى إلا بتطبيق هذه التحويلات عبر اللغتين •

تمر الترجمة بالمراحل الثلاث الآتية والمبينة تفاصيلها بالشكل رقم (٢) :

أ ـ إعراب الجملة المراد ترجمتها إعرابا نحوياً ودلالياً •

ب ـ التحويل الذي يتولاه المحول •

جـ ـ إعادة بناء الجملة في اللغة المترجم اليها •

هناك مناهج نحوية عديدة للغة الحاسوب جميعها تتخذ من الجملة وحدة للتحليل ، وبعض هذه المناهج مستمدة من معالجة اللغات الطبيعية مثل :

أ ـ نحو الحالات الإعرابية (Case Grammar)

ب ـ النحو الدلالي (Semantic Grammar).

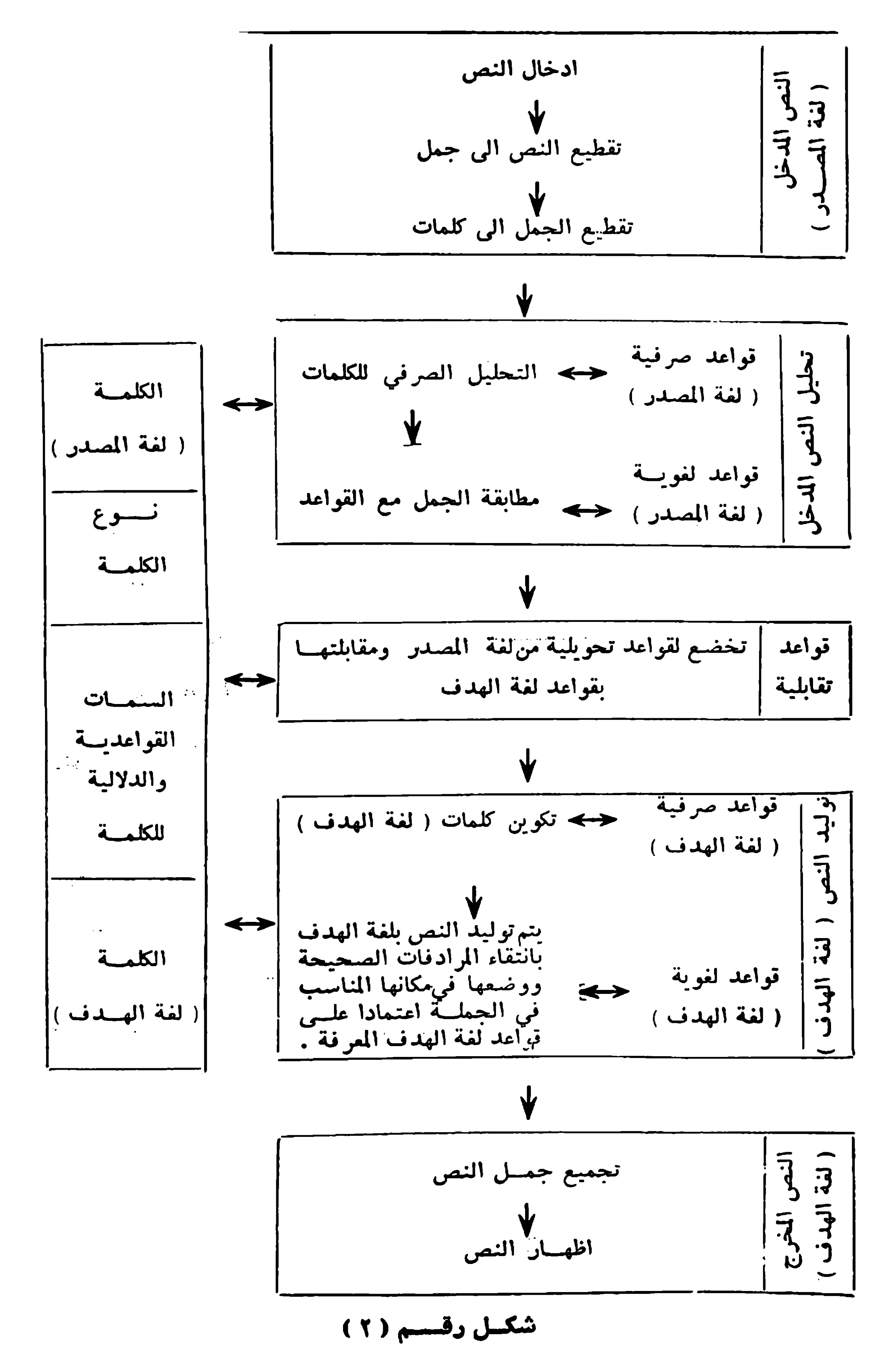
جـ ـ النحو التحويلي التوليدي
(Transformational - Generative Grammar).

وبعضها الآخر لغات مستمدة من الذكاء الاصطناعي ولاتستند الى أية نظرية نفسية في الطريقة التي يتعلم بها الانسان اللغة مثل :

أ ـ نحو الشبكة الانتقالية المعززة (Augmentd Transition Network).

ب ـ نحو شبكة الانتقالية المعممة (Generalized Transition Network)

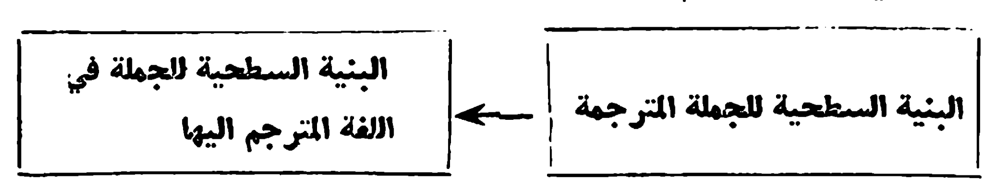
جـ ـ نحو بنية العبارة المعمم (Generalized Phrase Structure Grammar)



النص المدخل (لغة المصدر)
ادخال النص
تقطيع النص الى جمل
تقطيع الجمل الى كلمات
تحليل النص المدخل
قواعد صرفية (لغة المصدر)
التحليل الصرفي للكلمات
قواعد لغوية (لغة المصدر)
مطابقة الجمل مع القواعد
الكلمة (لغة المصدر)
نوع الكلمة
السمات القواعدية والدلالية للكلمة
الكلمة (لغة الهدف)
قواعد تقابلية
تخضع لقواعد تحويلية من لغة المصدر ومقابلتها بقواعد لغة الهدف
توليد النص (لغة الهدف)
قواعد صرفية (لغة الهدف)
تكوين كلمات (لغة الهدف)
قواعد لغوية (لغة الهدف)
يتم توليد النص بلغة الهدف بانتقاء المرادفات الصحيحة ووضعها في مكانها المناسب في الجملة اعتمادا على قواعد لغة الهدف المعرفة .
النص المخرج (لغة الهدف)
تجميع جمل النص
اظهار النص

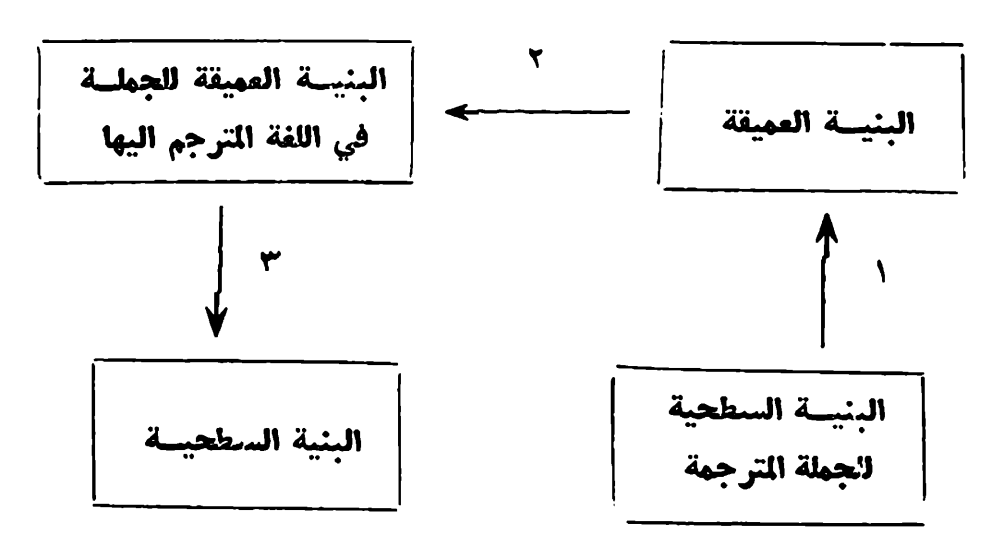
شكل رقم (٢)

وسواها من النظريات الاخرى . ان وضع نموذج للترجمة الآلية يستند الى أية نظرية لغوية لاتميز بين البنية العميقة (Deep structure) والبنية السطحية (Surface structure) يتطلب من الحاسوب أن يؤدي الترجمة نحوياً بخطوة واحدة كما في الشكل رقم (٣) .



شكل رقم (٣)

أما النموذج الثاني للترجمة الآلية فهو يستند الى نظرية النحو التحويلي التوليدي الذي يميز بين البنية السطحية والبنية العميقة ، وبذلك يتطلب من الحاسوب ان يؤدي الترجمة نحوياً بثلاث خطوات كما في الشكل رقم (٤) .



شكل رقم (٤)

يكون اتجاه الترجمة الآلية بحسب هذا المنهج بتحويل للبنية السطحية للجملة المزمع ترجمتها الى بنيتها العميقة ، ثم يتولى الحاسوب ترجمة البنية العميقة لهذه الجملة الى البنية العميقة للجملة في اللغة المترجم اليها • وبعد ذلك يقوم الحاسوب بتحويل هذه البنية العميقة الى البنية السطحية في اللغة المترجم اليها •

عند وضع منهج لغوي للترجمة الآلية نكون أمام خيارين : أن نضع منهجاً يساير قدرة الحاسوب الفعلية ويطور هذا المنهج اللغوي كلما تقدم تصنيع الحاسوب تقنياً • وعلى وفق هذا الرأي يكون المنهج اللغوي الذي يمكن استعماله في الجيل الخامس للحاسوب أعقد بكثير من المنهج الذي استعمل في الجيل الاول ، وفي كل الاحوال سيكون مثل هذا المنهج محدد الغرض ولايفي بالكفاية الوصفية للمنهج المصمم •ويدعو الخيار الثاني الى تبني منهج لغوي على درجة عالية من الكفاية الوصفية يمكن تطبيقه ولو على نطاق محدد ، ولكن نتائجه دقيقة وسليمة • ويستند هذا المنهج الى المنهج نفسه الذي يتعلم فيه الانسان اللغة ويولدها • الترجمة في الاصل نشاط بشري ، واذا أردنا ان يتولى الحاسوب هذه المهمة فلابد أن يتبع الحاسوب المنهج الذي يتبعه الانسان في الترجمة •

لذلك فان منهجية الترجمة الآلية المتكاملة لايمكن أن تتم إلا من خلال الصلة الوثيقة بين خبرات المتخصصين في علم اللسانيات العامة وخبرات المتخصصين في علم الحاسوب •

٥. الصعوبات في الترجمة الآلية

تبدأ صعوبات الترجمة الآلية من خصائص اللغتين المترجم منها والمترجم إليها ومشاكلهما والتقابلات بينهما بكافةأنواعها(المعجمية والنحوية والدلالية)• وتبرز هذه الصعوبات في مواطن ومراحل عديدة في الترجمة الآلية ندرج أهمها:

أ ــ الصعوبات فى صياغة قواعد اللغتين حاسوبيـاً بمـا ينسجم وامكانيات الحواسيب من حيث حجم الذاكرة وسرعـة الاسترجـاع ومطابقـة الجمـل مع القواعـد •

ب ــ الاستثناءات التي لاتخضع للقواعد اللغوية •

ج ــ الصعوبات في تمثيل المفردات المعجميـة للغتين حاسوبياً ، وما تحمله كل مفردة من سمات وظيفية ودلالية تصف معناها ومرادفاتها ضمن الجملة والنص ، فضلاً عن كيفية اختيار الأساليب المثلى لتمثيلها حاسوبياً •

د ــ الكلمات المركبة(Compound words) وكيفية صياغتها حاسوبياً من ضمن مفردات المعجم من جهة ، ومن جهة اخرى كيفية معالجتهـا على أساس انها كلمات منفصلة ترد في النص •

هـ ــ الغموض واللبس اللغوي يعد من المشاكل والصعوبات الأساسية فـي الترجمة الآلية ولاسيما الغموض الصرفي والقواعدي والدلالي •

و ــ الانتقال في الترجمة من مستوى الجمل الى مستوى النصوص ، حيـث يؤدي ذلك الى مشاكل الربط في المعنى وصعوباتها بين الجمل مثل ربط الضمائر وارجاعها الى عائدياتها الأصلية في جمل النص •

ان الصعوبات التي يواجهها الانسان خـلال عمليات الترجمـة يعالجها بالقدرات الذاتية والمعارف الآنية والمقامية ومجال المعرفة التي تتوفر له لتجاوز المشاكل والصعوبات في وقتهـا والخروج بترجمـة صحيحة لكن توفـر مثل هذه المعلومات ليس بالشيء اليسير لمنظومات الترجمة الآلية ، فمهما كان مستوى اكتمال الجوانب أعلاه في الترجمة الآلية تبقى هناك قواعد وعبارات ومعارف أخرى ناقصة لاتكتمل إلا من خـلال تدخل الانسـان المتخصص في اضافتها الى منظومـة الترجمة الآليـة •

إن التداخلات بين الانسان والآلة خلال عمليات الترجمة لابد أن تأخـذ دورها • حيث أثبت الواقع العملي بأنه لايمكن بأي حال من الأحوال القيـام

بما يسمى بالترجمة الحرة (Free Translation) وانه لابد من وجود دور للانسان ، هذا الدور في قيام الانسان المترجم باجراء عمليات التنقيح والتهيئة للنص المطلوب ترجمته في الحاسوب وهذا يعني ان هذا الانسان لديه معرفة مسبقة بمنظومة الترجمة من حيث نوع القواعد اللغوية المسموح بها والكلمات التي يتعامل معها ٠ فضلاً عن ذلك فعند خروج النص المترجم في اللغة المترجم إليها فان للانسان دوراً في تنقيح هذا النص من خلال التعامل المباشر مع منظومة الترجمة ٠ وهنا يكون للحاسوب دور إضافي بمساعدة الانسان في الترجمة حيث توفر له المعاجم ومنظومات الصرف والقواعد في اللغتين ٠

٦٠ تجارب الدول في اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية

كانت بدايات الترجمة الآلية مع بداية ظهور أول حاسوب حيث اعتمدت في أساليبها الاولى على الترجمة (كلمة ــ كلمة) وهو أسلوب يعد اليوم باطلاً لأنه لايعتمد على تركيب الجمل مما يؤدي الى عدم فهم النصوص المترجمة ٠ ومع تطور نظريات اللسانيات واعتماد كل منها على منهجية أو نظرية لغوية تأخذ بنظر الاعتبار المفاهيم اللغوية الشاملة في اللغة أدى هذا التطور الى بلورةحاسوبية متطورة في ايجاد منهجيات وستراتيجيات جديدة للترجمة الآلية٠

برزت الحاجة الى انظمة الترجمة الآلية كانت في نهاية الخمسينات وبداية الستينات لدى الاميركان والروس في الحرب الباردة بينهما فكانت الحاجة الى بناء أنظمة ترجمة آلية تترجم من اللغة الروسية الى الانكليزية وبالعكس للوثائق الفنية العسكرية ٠ وقد طورت هذه المنظومة بحيث أصبحت كفاءتها بحدود ٩٨٪ ٠

أما في أوربا ، فقد كانت الحاجة الى منظومة ترجمة يستخدمها أعضاء السوق الأوربية المشتركة ، ووقع الاختيار لمنظومة (Systran) التي تمتلك حقوقها شركة (غاشو) الفرنسية ، هذه المنظومة تم تطويرها لتأخذ بنظر الاعتبار الترجمة بين أي زوجين من أزواج اللغات المعتمدة في

السوق الاوربية المشتركة وبنتيجة الاستخدام طورت هذه المنظومة لاعتمادها في مجالات عملية وفنيـــة ، وما زالت هذه المنظومـــة تعد من أهـم المنظومات المستخدمة والمنفذة على حاسبات متوسطة ــ كبيرة .

إضافة الى ذلك فقد تم تطوير منظومة (Systran) لترجمة بعض الوثائق التجارية والقانونية من اللغتين الانكليزية والفرنسية الـى العـربية وبكفاءة ترجمـــة تبلغ ٧٥٪ .

كما ذهبت بعض الشركات لانتاج برمجيـات تجارية للترجمة الآليـة تقوم بالترجمة الآلية من لغات متعددة الى لغة معينة . تهدف هذه البرمجيات في معظمها لارشاد السياح على أمور السياحة . وصممت هذه الانظمة كدليل للسائح ، ويعتمد الكثير من هذه الأنظمة على اساليب قريبة للترجمة (كلمة ــ كلمة) ولأهميتها راجت رواجاً تجارياً كبيراً في السوق .

أما في جانب اللغة العربية ، فالغة العربية هـي أكثـر اللغات السامية تعقيداً . من هنا وخلافاً لما يقوله بعض الباحثين فانها تمثـل مجالاً خصبـاً وممتعاً للتحدي التقني . وتعـد العربية في كثير من الجوانب لغة منتظمة الى حد كبير مما حدا ببعض الباحثين الى اعتبارها لغة قابلة للحوسبـة لأن فيها مجموعة من الخصائص التـي تتيـح لهـا حوسبة فعالة سـواء في المعالجة أو في المخرجات المطلوبة .

وقد نشرت مجلة بايت الشرق الاوسط (كانون الثاني / ١٩٩٥) تقريراً تفصيلياً عن (الغة العربية والحاسوب) تطرق التقرير الى مشاكل اللغة العربية وحوسبتها نتيجة التجربة العربيـــة خلال السنوات العشر الماضيـــة وفيما يأتي مقتطفات مما جاء في التقرير المذكور .

من المؤسف ، انصبت معظم الجهود التي بذلت في مجـال اللسـانيات الحاسوبية العربية على تقليد التقنيات التي استخدمت لمعالجة اللغة الانكليزية .

وقد أدى هذا الى تجاهل الحاجات الأساسية للمستخدم العربي ، والإخلال بالخصائص المميزة للغة العربية .

لكن هذه التوجهات خاطئة من ناحية لغوية نظراً لانها تجمع بين النقيضين من حيث مستوى صعوبة اللغة ، فالعربية هي أكثر اللغات السامية تعقيداً ، بينما الانكيزية أبسط اللغات (الهندو ـ أوربية) كما ان العربية تعتبر من ناحية حاسوبية أفضل من الانكليزية ، وتضمينها فيها يشبه تضمين مجموعة كلية في مجموعة فرعية في الرياضيات والمنطق . كما أن هذه التوجهات تفتقر الى التكامل في عملها مما يؤدي الى تشتت وسائل المعالجة المستخدمة . ومن جانب آخر ، تبدو المعجمة العربية بعيدة عما نريد ، فهي مملوءة بالمفردات غير المستخدمة ، فضلا عن أن القواعد النحوية العربية ما زالت بحاجة الى صياغة رياضية واضحة . تضاف الى ذلك ثمة حالة من عدم التوافق في علاقة اللغة العربية باللسانيات المعاصرة التي بنت صيغاً لغوية معضمها يتجاهل وجود اللغة العربية . ووصل الأمر ببعضهم الى ادعاء عدم وجود الجملة الفعلية في العربية . ومن هنا أدى التعامل مع هذه الجملة كجملة اسمية الى تحويلات محوسبة متعددة خرجت بالجملة عما يريده ، أو ما يفهمه المستخدم العربي .

وفيما يتعلق بهدف التطبيقات العربية ، فان معظمها ما زال يتعامل مع المعالجة على مستوى الأحرف ، وان كان بعضها انتقل حديثاً الى المعالجة الصرفية . لكن السيء في الأمر أن بعض المطورين قد اتجهوا الى تقليد المعالجة الصرفية الفرنسية ذات المدى الأوسع ، نظراً لعدم كفاية المعالجة الصرفية الانكليزية التي كانوا يقلدونها .

وهنالك بعض المحاولات الطموحة في مجال التوليد الآلي للكلام العربي، لكنها ما زالت مقتصرة على توليد الكلمات المنطوقة وليس النصوص .

من المهم أن نؤكد ضرورة وجود دراسات جادة ومنهجية في مجال اللسانيات الحاسوبية العربية ، وذلك نظراً للعوامل الآتية :

* تزايد استخدام تطبيقات الحاسوب في العلوم الانسانية المختلفة •
* دخول التعليم باستخدام الحاسوب الى حلبة المنافسة ، بما يعنيه ذلك من حاجة الى التحليل اللغوي والاسلوبي للمادة ، وضرورة وجود واجهة مستخدم مرنة تتقبل التحاور مع المستخدم •
* الانتشار الواسع لقواعد بيانات النصوص الكاملة مما يتطلب أنظمة استرجاع ذكية قادرة على البحث في محتويات الوثائق ، وليس عن أسمائها فقط • وهذا يعني ضرورة استخدام التحليل اللغوي العميق لمحتويات انصوص •
* استخدام الأنظمة المعرفية التي تتعامل مع الأنظمة المختلفة مثل الشبكات الدلالية ، وتوليد النصوص ، وما الى ذلك •
* ازدياد الحاجة الى برامج نشر مكتبي أكثر تطوراً ، تتجاوز معالجة الكلمات الى معالجة النصوص ، وقراءتها حاسوبياً •
* الأزمة الناتجة عن تعليم اللغة العربية من قبل معلمين غير أكفاء ، مما يشير الى أهمية وجود أداة فعالة لاكتساب اللغة ، حيث يمثل الحاسوب بديلاً محموداً •
* الترجمة الآلية الى المغة العربية ، التي تمثل مجالاً واعداً ذا أهمية كبيرة•
* إعادة نمذجة النحو العربي ضمن اطار قواعد اللسانيات المعاصرة •
* عدم جدوى استيراد حلول لهذه المشاكل نظراً لخصوصيتها الثقافية والبيئية للتطبيقات المرتبطة باللغات الاخرى •

وبذلك ينبغي أن تبنى المعالجة الآلية للغة العربية على أسس واضحة ومتوافقة • وينبغي أن تؤخذ في الاعتبار المصادر المعرفية المختلفة مثل أهداف التنمية الاجتماعية ، واللغة نفسها ، والتقنيات ، والمستخدمين ، والتطبيقات •

إن الحالة المتداخلة لتكنولوجيا المعلومات باعتبارها أداة اللغة العربية ، واللغة العربية كوسيط في تكنولوجيا المعلومات تمثل مجالاً واسعاً للبحث ،

ومع الوضع الحالي يبدو من المجدي أن نقترح مجموعة من المسارات للمعالجة المحوسبة للغة العربية ، نرى أنها هامة وضرورية . وهذه المسارات هي :

* إن اللغة ، ليس الحاسوب ، هي التي ينبغي أن تكون نقطة البداية ، بحيث يكون الهدف هو اخضاع التكنولوجيا للغة ، وليس العكس .

* دراسة النظام اللغوي ، كاملاً ، لتوضيح الآليات المختلفة للغة ، وبيان تداخلاتها ، وينبغي الاستفادة هنا من تقنيات انسياب المعلومات .

* إن اعادة نمذجة النحو العربي يجب ألا يرتبط بنموذج لغوي بعينه ، من النماذج الحديثة ، وانما ينبغي الاستفادة من الاتجاهات المختلفة ، وحتى المتضادة للتحليل اللغوي من أجل حل تعقيدات اللغة العربية ، وكشف خباياها .

* إن علم الدلالة ينبغي أن يعطى دوراً رئيساً في الابحاث اللغوية وذلك ان النظر الى ظاهرة لغوية من ناحية دلالية يعطي عمقاً أكثر للبحث .

* ينبغي اعطاء الأولوية للغة العربية المستخدمة في العصر الحديث ، كتابةً ولفظاً .

* ينبغي التعامل مع اللغة العربية كحالة خاصة في الإطار العالمي للسانيات مما يتيح ازالة المفاهيم المسبقة الغامضة عن العربية .

* ينبغي تعريف أكثر من مستوى التشكيل في الأنماط المختلفة للمعالجة الحاسوبية للغة العربية ، خاصة وان استخدام مستوى واحد مكتمل التشكيل سيكون مكلفاً كثيراً.

* ينبغي أن تبنى المعالجة الحاسوبية للغة العربية ، بشكل أساسي على وجود معالج صرفي فعال ومرن .

* ظراً لتداخل خصائص اللغة العربية ، فان خطة التحكم في المعالجة المحوسبة لها ، يجب أن يتم بأسلوب يكامل الخبرات المختلفة في هذا

المجال ويزيد من أهمية اعتماد خطة للتحكم بالعلاقة العضوية بين الصرف والنحو العربيين .

* من الضروري ، إعادة ترتيب المعجم العربي وتنظيم محتوياته كجزء من التخطيط للمعالجة الحاسوبية للغة العربية .
* هناك حاجة لإعداد خوارزمية تعتمد التحليل السياقي المعقد لتوليد الأشكال المختلفة للأحرف العربية ؛ بغض النظر عن حجم البنط .
* ينبغي أن يستند توليد النطق العربي الى اختيار دقيق للوحدات الصوتية الأساسية .
* من الضروري البحث في تقنيات للفهم المحوسب للنطق العربي ، وليس تمييزه فقط .

الخلاصة والاستنتاجات

ان موضوع اللسانيات الحاسوبية يعد من حقول المعرفة العلمية التي تلم الشمل بين علم اللغة وعلم الحاسوب .

وكون لغتنا العربية تمتاز بخصائص تنفرد بها عن باقي اللغات التي شقت طريقها في التطبيق المحوسب ، فان هناك حاجة في زيادة الاهتمام في التطبيق المحوسب للغة الضاد . كانت نتيجة الاهتمام الأولي في وطننا العربي خلال السنوات العشر الماضية هي انتاج العديد والمتنوع من التطبيقات الحاسوبية للغة العربية ، وقد عالجت هذه التطبيقات جوانب عديدة في اللغة العربية في الصرف والتركيب والدلالة والمعجم .

في العراق ، وللأسف ، هناك فجوة كبيرة في هذا الاتجاه المعاصر . وخلال مسيرة عمل بدائيةفي السنوات الخمس الماضية نجمعنها خلق نواة بسيطة من الملاك المتخصص في اللسانيات الحاسوبية . وبناء هيكل تنظيمي بسيط أعطى بعض النتائج التطبيقية والبحثية البسيطة .

فموضوع معاجة اللغة العربية حاسوبياً فيه الكثير من الصعوبات والمشاكل ، منها المادة كتوفير المستلزمات (حواسيب ومصادر وبرمجيات..الخ)، ومنها البشرية في توفير ملاكات متخصصة في اللسانيات العامة والذكاء الاصطناعي ومعالجة اللغات الطبيعية ، ومنها الفنية وهي المتعلقة بالجوانب اللغوية في الصرف والتركيب والدلالة للغة العربية وصياغتها الصياغة الرياضية المناسبة ، وكذلك في الجوانب الحاسوبية من حيث اختيار أفضل الطرق لتمثيل تلك القواعد حاسوبياً وتنفيذها على شكل منظومات حاسوبية .

هذا ، بكل تأكيد ،يحتاج الى دعم كبير للنهوض بمستوى متطور في العلوم ولتقنيات ، ولا سيما وان عراقنا العظيم يعيش ظروفاً غير اعتيادية ، وان دخول غمار هذا العلم الواسع والحيوي أصبح اليوم علامة بارزة من علامات التقدم والتحدي والوصول الى الحالة التي يجب أن يكون فيها عراقنا العزيز في هذا المضمار أسوة بباقي دول العالم .

المصادر والمراجع

١ ـ ابراهيم السامرائي ، فقه اللغة المقارن ، دار العلم للملايين ، بيروت .
٢ ـ ابن جني ، المنصف ، تحقيق ابراهيم مصطفى وعبدالله امين ، دار احياء التراث القديم ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي ، بمصر .
٣ ـ ابن جني ، الخصائص ، تحقيق محمد علي النجار ، دار الهدى للطباعة والنشر ، بيروت .
٤ ـ ابن خلكان ، وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق احسان عباس ، دار صادر ، بيروت .
٥ ـ ابن عصفور الاشبيلي ، الممتع في التصريف ، تحقيق فخر الدين قباوة ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .
٦ ـ أبو البقاء العكبري ، التبيان في اعراب القرآن ، تحقيق علي البجاوي ، دار الجيل ، بيروت .
٧ ـ ابن منظور ، لسان العرب ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والانباء والنشر ، الدار المصرية للنشر .

٨ ـ ابن هشام الانصاري ، اوضح المسالك الى الفية ابن مالك ، دار احياء التراث العربي ، بيروت .
٩ ـ أحمد الحملاوي ، شذا العرف في فن الصرف ، الطبعة ١٦ .
١٠ ـ احمد سليمان ياقوت ، في علم اللغة التقابلي « دراسة تطبيقية » دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية .
١١ ـ اسماعيل باشا البغدادي ، هدية العارفين ، مكتبة المثنى ، بغداد ، المجلد الاول .
١٢ ـ جلال الدين السيوطي ، بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحويين ، تحقيق محمد ابو الفضل ، دار الفكر .
١٣ ـ الخليل بن احمد الفراهيدي ، العين ، تحقيق د. مهدي المخزومي و د.ابراهيم السامرائي ج٦ .
١٤ ـ جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في علم أصول النحو ، قدمه وضبطه احمد الحمصي وآخرون .
١٥ ـ خيرالدين الزركلي ، الاعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الخامسة
١٦ ـ رضي الدين الاستراباذي، شرح الشافية، تحقيق وضبط محمد نورالحسن وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
١٧ ـ سيبويه ، الكتاب ، تحقيق وشرح د عبدالسلام هارون ، عالم الكتب ، بيروت .
١٨ ـ عبدالرحمن الانباري ، الانصاف في مسائل الخلاف ، دار الفكر .
١٩ ـ عبده الراجحي ، التطبيق الصرفي ، دار النهضة العربية ، بيروت .
٢٠ ـ عبدالصبور شاهين ، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ، مكتبة الخانجي ، القاهرة .
٢١ ـ عبدالفتاح الحمور ، ظاهرة القلب المكاني في العربية ، دار عمار ، عمان .
٢٢ ـ محمد محي الدين عبدالحميد ، الانتصاف ، حاشية ١ .
٢٣ ـ محمد مرتضى الزبيدي ، تاج العروس من جواهر القاموس .
٢٤ ـ مصطفى جواد ، قل ولا تقل ، مكتبة النهضة العربية ، بغداد .
٢٥ ـ محمود فهمي حجازي ، اسس علم اللغة العربية ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة .
٢٦ ـ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، وكالة المطبوعات ، الكويت .
٢٧ ـ حاشية الصبان على شرح الفية ابن مالك ، دار احياء الكتب العربية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٧

Journal

of the

ACADEMY OF SCIENCES

Quarterly Journal - Established 1369 H - 1950

Add: ACADEMY OF SCIENCES.

P. O. Box 4023 WAZYRIA, AADAMEA, BAGHDAD - IRAQ

Tel: 4221733 - 4222066 Fax: (964 - 1) 4254523

— Annual Subscribtion : In IRAQ (4000) I. D.

Outside IRAQ (50 Dollar) air mail not included



Journal

of the

ACADEMY of SCIENCES

No. 1

Vol. 44

1417 H - 1997